

دررالألفاظ العوالي

في الرد على الموجان والحوالي

تأليف

غيث بن عبد الله الغالبي

الاصدار الثاني

[/http://www.aslein.net](http://www.aslein.net)

مقدمة الإصدار الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أما بعد:

فقد سبق أن كتبت من مدة طويلة رداً على الأخ الشيخ سفر الحوالي .
وتمنيت أن يكون ذلك الرد وافياً بالغرض ، وكنت أعتقد أن الأمر من أعوام مديدة إلى يومنا هذا سيكون للأفضل ،
ولكن للأسف فلا زال هناك من طلبة العلم في بعض البلاد من لا يريد أن ينصف من نفسه ، ولا أن يعود عن خطيئه ،
بل كأن طلبة العلم مغيبون عن الحقائق العلمية ، وغارقون فيما لا ينفعهم ، والأمة تتكالب عليها الأمم من سائر الجهات
في عقائدنا وثوابتنا ، ومساجدنا فيلى الله المشتكى . ورغبة مني في إيصال الحقيقة كما هي قررت إعادة نشر هذا المكتوب
مرة أخرى لمن كان له قلب وإقبال على معرفة الحق ، خصوصاً بعد أن رأيت في شهر رمضان المبارك أثناء زيارتي إلى
تلك الديار المباركة كتاباً للشيخ عبد الله الموجان عفا الله عنه ، فدفعني ذلك إلى تصحيح و بيان ما يمكن بيانه، والهداية
بيد الله وحده عليه توكلت ، وإليه أنيب .

وقد زدت في بعض المواضع بما يناسب التطورات الحالية ، وزدت في النقل والتوثيق ، وزدت ما رأيته مفيداً من بعض
الكتب التي ألفت حديثاً ، ككتاب "الأشاعة ودعاوى المناوئين"، وكتاب أهل السنة الأشاعة، وغيرهما ، وحذفت بعض
الأشياء التي تغيرت إلى الأفضل .

وأصل الرد هنا على رسالة الشيخ الحوالي ، و أما الموجان فالرد عليه تبعاً في مسائل عديدة . ونسأل الله للجميع الهداية
، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين ، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه .
أما بعد :

قال الله تعالى ((ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)) ..

إن من أعظم الواجبات الملقاة على عواتق العلماء ، والكتاب ، وقادة الأمة في هذا العصر وكل عصر أن يخلصوا تياتهم ، و ينزّوها أقلامهم عن كل ما يورث الوهن والفشل ويؤدي إلى الضعف في صفوف المسلمين ، وأن يتّقوا الله فيما يقولون ، فلا يكتسبوا الحق ، و لا ينشروا الأباطيل التي تثير العصبية البغيضة الممزقة للأمة بدون وجه حق ، بل هي افتراءات لا رصيد لها من الواقع ، وقد دفعت الجهلاء إلى تنمية التباغض والصدام ، و فعل ما لا يرضي الخالق العلام ، ولا يسرّ من عنده أدنى فقه بواقع الحال ، ولا بد لأصحاب العلم أن ينتهجوا أسلوب الأنبياء عليهم السلام في المناقشة والجدال ، والدعوة إلى الحق ؛ على ضوء ما أدبنا به المولى - عزوجل - في كتابه العزيز حيث قال تعالى : ((ولا تحادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)) وقال سبحانه ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن))

وقد اطلعت على رسالة للأخ الشيخ - سفر الحوالي - كان الغرض منها نقد السادة الأشاعرة ، وقد خرج الشيخ الحوالي من رسالته بنتيجة مفادها : كون الأشاعرة - رحمهم الله - مبتدعة ضلال ومتوعدون بالنار و ليسوا من الفرقة الناجية . وقد كانت هذه النتيجة حتمية بناء على تصوراته المسبقة عن المسائل العقديّة التي تكلم عنها . وقد اعتمد اعتماداً كلياً على كتب ابن تيمية .

فرأيت في هذه الرسالة بمقدماتها ومضمونها وتناجها من الظلم والتجني ما لا يسرني أن يلقي الله به .

وأرجو أن يكون قد تاب مما خط بيمناه ، ولعله اندفاع في زمن الشباب ، فغفر الله لنا و له .^٢

و قد بينت المسائل بقدر ما استطعت :

١- فبحثت كل مسألة منها بمراجعة كتب الأشاعرة نفسها ، و صورت المسائل على ما هي عليه عند أربابها من العقائديين ، لأن الأحكام فرع عن التصورات . ولا أعول في ذلك إلا على القول المعتمد عندهم على ما بينه علماؤهم ، مجاناً ، لشذوذات من شذ عن آراءهم ولو كان من رؤوسهم لأن خطأ الفرد لا يعم الجماعة ، خصوصاً بعد تنبيههم عليه كما هو شأنهم رحمهم الله تعالى .

٢- ذكرت مذهب أصحاب الحديث في بعض المسائل إن احتاج الأمر إلى ذلك.

٣- و وثقت النقول عن الكتب التي نقلت عنها .

٤- و كتبت كلام مؤلف الرسالة كما هو في أغلب المسائل تقريباً.

^١ بتصرف يسير

^٢ الفهم الخاطيء لمعتقد الأشاعرة وقع فيه كتاب ومشايخ كثير ، بل وموسوعات كتبت في الفرق ، وإنما كانت رسالة الحوالي نموذجاً لذلك فقط ، بفحصها والبحث عن حقائق ما فيها . إن شاء الله . يتبين الحق لمن أراد الحق (فقط) .

٥. ذكرت تعريفاً بالأشاعرة رحمهم الله تعالى و ذكر بعض علمائهم في شتى الفنون.

٦. قدمت بمقدمات لا بد منها.

و للعلم فإن محتوى هذه الأوراق ما هو إلا بعض جهود علماء الأمة على مر السنين إلى عصرنا هذا، وما أنا إلا ناقل لعلمهم، و مرتب لجهودهم، مع زيادات للبيان والإيضاح .

والثمرة من هذه الرسالة: إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وتجلية الحقائق كما هي، والذب عن سادة الأمة من علماء الأشاعرة رحمهم الله تعالى، لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم ((من ذب عن عرض أخيه ذب الله عن وجهه النار يوم القيامة)). ولم يكن الذب عنهم ذبا عن الباطل أو تلميعاً لأقوالهم أو زخرفة لاختياراتهم. وإنما أتيت بمذهبهم كما هو في جميع المسائل دون خلط للمصطلحات. فإن خلط المصطلحات ظاهرة نعيشها في عصرنا والله المستعان. فأرجو أن يكون في هذا سلامة للأخ الكاتب من تبعات أقواله، وأن لا يجد الأخ الحوالي من هذه الرسالة امتعاضاً فهي مدخرة ليوم لا ريب فيه. و من ثمراتها المرجوة بإذن الله ترشيد مسار الصحوة العلمية و الفكرية. وأسأل الله أن ينفع بها كل من قرأها مبتغياً وجه الله والدار الآخرة، وصلى الله و سلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة الأولى

التعريف بالأشاعرة رحمهم الله تعالى

من المؤسف أن يحتاج المرء إلى التعريف بالمعارف الغنية عن مثله، فالأشاعرة هم الأشاعرة وكفى!! هكذا كان يجب أن يقال وبه يكتفى، ولكن حين زيفت الحقائق و احلوك الظلام في بعض المجتمعات، فقد يُذكر الإنسان ببند مختصرة جداً عن مثل هؤلاء القوم، وهو مقام تذكير بهم لا مقام تعريف .

ما ضرَّ شمس الضحى في الأفق طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

فإذا كان التعريف بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم صار ضرورة في بعض المجتمعات التي أصابها لوثة التغريب عن دينهم، فكيف بمن هو دونه من البشر؟! ومن هذا الباب فقط أذكر القارئ الكريم بعظيم منزلتهم في حمل الشريعة الإسلامية و تعليمها .

كتب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله فقال: { الأشعرية أعيان أهل السنة وأنصار الشريعة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية وغيرهم، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، و إذا رُفع أمر من يفعل ذلك إلى الناظر في أمر المسلمين وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كل أحد } . و وقَّع على هذا الجواب أيضاً بالموافقة: الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي تلميذ الشيخ أبي اسحاق. اهـ

١. فمن حيث العلم فهم جمهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فلا تكاد تقلّب فناً من الفنون إلا و وجدتكم رؤو س

ذلك العلم ؛ في علم العقيدة ،وعلم الفقه ،وأصول الفقه، والحديث بجميع علومه ،والتفسير ،واللغة بجميع علومها ،والتاريخ ،والقراءات ،والتجويد ،وليس هناك علم إلا والناس عالة عليهم فيه .

٢. من حيث العبادة : فهم من سادة الناس في الزهد و العبادة رحمهم الله تعالى ، وانظر كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي ، تجد الجم الغفير من عبّادهم ، و تجّول بناظريك في كتاب إحياء علوم الدين ومنهاج العابدين للإمام الغزالي ، وكتب الإمام النووي ، وكتاب التذكرة بأحوال الموتى للإمام القرطبي ،والرسالة القشيرية، وكتاب "أصناف المغترين" وغيرها كثير .

٣. الأشاعرة ينصرون منهج السلف بالعقل والنقل : وقد صنّف إمام أهل السنّة والجماعة في عصره وبعده إلى يومنا هذا الإمام الأشعري المصنفات العظيمة في الردّ على طوائف المبتدعة والمخالفين للإسلام، مملوءة بحجج المنقول والمعقول، وكانت وفاة الأشعري في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة. وصنّف أتباعه من بعده المئات من المجلدات في الردّ على المبتدعة والمخالفين للإسلام بالحجج الدامغة الكثيرة ،والمناظرات العديدة ،قطعوا بها أفحل طوائف المبتدعة من المعطلة والمشبّهة والدهريين ،والمفلاسفة ، ورفعوا لواء مذهب أهل السنة والجماعة في الخافقين؛

وأبرزهم في نشره ثلاثة : الأستاذ أبو بكر بن فُورك، و أبو إسحاق الإسفراييني، والقاضي الباقلاني. فالأولان نشره في المشرق، والقاضي نشره في المشرق والمغرب، فما جاءت المائة الخامسة إلا و الأمة الإسلامية أشعرية وماتريديّة و مفوّضة لم يشدّ عنها سوى نزر من المعتزلة و الشيعة وشرذمة من المشبّهة وطائفة من الخوارج؛ فلا تجد عالماً محقّقاً أو فقيهاً مدقّقاً إلا وهو أشعري أو ماتريدي أو حنبلي مفوّض .

وهو موافق لمذهب السلف غير مخالف، وكان منهجهم توضيح النوازل التي تشكل نحو الثوابت العقدية، فردعوا شبهات الفلاسفة والماديين ،ونحوهم بكتب عظيمة إلى يومنا هذا . ولم تكن كتب عويل و صراخ عاطفي و إنما كتبنا منظمة بمقدمات علمية أصيلة يتفق عليها كل العقلاء مسلمهم وكافرهم لا يكابر في ذلك إلا أهل الفوضى الفكرية بأصنافهم فلا كلام يتوجه لهم أصلاً .

فالمذهب الحق الذي كان عليه السلف الصالح هو ما عليه الأشعرية والماتريديّة والمفوضة ، وهم مئات الملايين من المسلمين فكيف يكون هؤلاء السواد الأعظم على ضلال؟! ويدل على ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما: "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة" وعند ابن ماجة زيادة: ((فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم)). ويقوي هذا الحديث الحديث الموقوف على أبي مسعود البدرى: "وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة" قال الحافظ ابن حجر: "وإسناده حسن"، والحديث الموقوف على عبد الله بن مسعود وهو أيضاً ثابت عنه: "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح"، قال الحافظ ابن حجر: "هذا موقوف حسن".

وكذا ما صح مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه سلم من قوله: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة".

شبهة الأطوار الثلاثة للإمام أبي الحسن الأشعري^٣:

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى الأشعري.

ولد رحمه الله سنة ستين ومائتين بالبصرة، وفي تاريخ وفاته اختلاف منها أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين، وقيل: سنة ثلاثين، توفي رحمه الله ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة.

كان أبو الحسن الأشعري سنيًا من بيت سني، ثم درس الاعتزال على أبي علي الجبائي وتبعه في الاعتزال، ثم تاب، و رقي كرسياً في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأني أعرفه بنفسي. ثم أعلن توبته من الاعتزال والرجوع إلى طريقة أهل السنة والجماعة. وكانت هي العقيدة التي دافع عنها حتى مات رحمه الله فقد كان تارة يبينها بطريقة التأويل الشرعي الصحيح، وتارة بالتفويض الشرعي الصحيح، فكلاهما مسلكان صحيحان لأهل السنة.

قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: "كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السماسم". ونقل ذلك غيره.

وقد كتب عنه وعن فضله مؤرخ الشام وحافظها أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في كتابه الذي ألفه في الدفاع عن الشيخ أبي الحسن الأشعري (تبيين كذب المفتري على الإمام أبي الحسن الأشعري)، مع ذكر مناقبه، ومؤلفاته، وثناء الأئمة عليه. وقد أفرد قاضي القضاة الشيخ تاج الدين ابن الإمام قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي فصلاً خاصاً بذكر أكابر المنتسبين إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري، وذلك أثناء ترجمته في كتابه طبقات الشافعية. قال التاج السبكي في طبقاته أثناء ترجمة الأشعري ما نصه:

{ دُحِّرُ بيان أن طريقة الشيخ - يعني الأشعري - هي التي عليها المعتبرون من علماء الاسلام، والمتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام، والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: قدمنا في تضاعيف الكلام ما يدل على ذلك، وحكي لك مقالة الشيخ العز ابن عبد السلام ومن سبقه إلى مثلها، وتلاه على قولها حيث ذكروا أن المالكية والشافعية والحنفية، وفضلاء الحنابلة أشعريون، هذه عبارة سلطان العلماء العز بن عبد السلام شيخ الشافعية، وابن الحاجب شيخ المالكية، والحصيري شيخ الحنفية، ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ومنتسب له و راض بحميد سعيه في دين الله، مثنٍ بكثرة العلم عليه غير شرذمة قليلة تضمر التشبيه، وتعادي كل موحد يعتقد التنزيه، أو تضاهي قول المعتزلة في ذمه، وتباهي بإظهار جهلها بقدر سعة علمه؟! ". ١ هـ. ٤

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: { اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث،^٥ ومذهبه مذهب أصحاب الحديث. تكلم في أصول الدين على طريقة أهل السنة، و رد

^٣ أنظر طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣٦٠، وكتاب تبيين كذب المفتري.

^٤ طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٥

^٥ مصطلح اصحاب الحديث يوازي مصطلح أهل السنة والجماعة.

على المخالفين من أهل الزيغ والبدع، وكان على المعتزلة والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة سيفاً مسلولاً، ومن طعن فيه أو قدح أو سبّه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة {اهـ}.

ووصفه المؤرخ ابن العماد الحنبلي بالإمام العلامة البحر الفهامة المتكلم صاحب المصنفات، ثم قال: {وَمِمَّا يَبْضُ بِهِ وَجْوه أهل السنة النبوية، وسوّد به رايات أهل الاعتزال والجهمية فأبان به وجه الحق الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج، مناظرته مع شيخه الجبائي التي قصم فيها ظهر كل مبتدع مرائي} اهـ.^٦

وذكره شمس الدين بن خلكان في الأعيان و وصفه بقوله: {صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب أهل السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه} اهـ.^٧ وقال أبو بكر بن قاضي شبهة في طبقاته:

{الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري إمام المتكلمين في العقائد وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين} اهـ.^٨

ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشعري ثناء الحافظ البيهقي عليه، وهو محدث زمانه وشيخ أهل

السنة في وقته، فقال كلاماً أورده التاج السبكي بطوله، وفيه ذكر شرف الإمام الأشعري علماً ونسباً وحسن اعتقاد، وذكر فضله، وكثرة أصحابه، ثم قال البيهقي رحمه الله: {..إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حَدَثًا ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين} اهـ.^٩

وقد صنف الشيخ العلامة ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر القرطبي رسالة سماها "زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري" ردّ فيها على بعض المبتدعة الذين تجاسروا على الإمام الأشعري، ولما وقف عليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قرظها تقریظاً مفيداً.

أما مؤلفات الشيخ الأشعري رحمه الله فكثيرة قيل إنها بلغت ما يقارب الخمسين مصنفاً وقيل أكثر من ذلك. وكان رحمه الله يقصد إلى مواطن المعتزلة لينظرهم، فقليل له: كيف تخالط أهل البدع، وتقصدهم بنفسك، وقد أمرت بهجرهم؟ فقال: هم أولو رئاسة منهم الوالي والقاضي، ولرئاستهم لا ينزلون إليّ، فإذا كانوا هم لا ينزلون إليّ، ولا أسير أنا إليهم، فكيف يظهر الحق ويعلمون أن لأهل السنة ناصراً بالحجة؟! .

وكان لا يتدبّر مناظرته بالسؤال، بل يقف موقف الحبيب المدافع؛ حضر الأستاذ أبو عبدالله بن خفيف مناظرة بين الأشعري وبعض مخالفه، فقضى العجب من علمه وفصاحته، وقال له: لم لا تسأل أنت ابتداء؟ فقال الأشعري: أنا لا أكلم هؤلاء ابتداء، ولكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين الله رددنا عليهم بحكم ما فرض الله سبحانه وتعالى علينا من الرد على مخالفني الحق.^{١٠}

إذا علمنا ذلك فإن شبهة تنقل الأشعري بين أطوار ثلاثة هي مجرد دعوى عارية عن الدليل للأسباب التالية:

^٦ شذرات الذهب .

^٧ وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤-٢٨٦)

^٨ طبقات الشافعية (١/ ١١٣).

^٩ تبين كذب المفتري ١٠٣، والطبقات الكبرى للتاج السبكي ٣/ ٣٩٧

^{١٠} صفحة من حياة الإمام أبي الحسن الأشعري بقلم الإمام محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى شيخ الجامع الأزهر.

١. أن الإمام الأشعري كان على طريقة المعتزلة، ثم هداه الله تعالى إلى طريقة أهل السنة والجماعة وجعله شوكة في نخور طوائف أهل البدعة من المعتزلة والمشبهة وغيرهم وهذا أمر لا خلاف فيه.
٢. أن طريقة أهل السنة والجماعة مبنية على مسلكين اجتهديين :
الأول : مسلك التفويض : و عليه أكثر السلف .
الثاني : مسلك التأويل : و عليه أغلب الخلف، وقد ثبت أن السلف أولوا في مواضع يأتي بيانها إن شاء الله .
وعلى هذا فالأشعري دار في كتبه على المسلكين تارة بالتأويل وتارة بالتفويض، والأشاعة إلى اليوم . كقاعدة أغلبية . مقرّون بأن التفويض أولى إذا اندحر التشبيه والتجسيم.
٣. أن الإمام الأشعري أشهر من نار على علم ، ولو كان لهذه الدعوى رصيد من الحق لاشتهرت بين المؤرخين والمترجمين لسيرته ، و لا يوجد من أصحاب الأشعري -و هم أقرب الناس إليه- من ذكر أن الإمام له مراحل ثلاث ، بل و لم يقله المتأريفة ، ولا حتى أعداءه المعتزلة .

- وأهل السير و التاريخ لم يذكروا هذه المراحل الثلاث أبداً في جميع من ترجم له ؛ انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٢٨٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٨٩ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٨٥٣ ، وكذلك جميع كتب السير التي ترجمت له : طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٤٥) . تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١ / ٣٤٦ - ٣٤٧) . شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٥) . مرآة الجنان لليافعي (٢/ ٢٩٨) . الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢١/ ٥٤٤ - ٥٤٥ هـ (٥٤) للقرشي الحنفي . طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (١/ ١١٣) .
٤. أن مبنى هذه الشبهة هو أن الإمام الأشعري على طريقة ابن كلاب ، قال ابن تيمية في "درء التعارض" (٢/ ١٦) : ((وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب ، و مال إلى أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها ؛ كالإبانة والموجز والمقالات وغيره)) اهـ .
- وعلى هذا فليعلم الجميع أن الأشعري رأس من رؤوس أهل السنة بلا ريب ، وأما ابن كلاب رحمه الله فسوف يأتي الكلام عنه ، وهو من رؤوس أهل السنة والسلف الصالح رضي الله عنه أيضا .

ذكر أسماء بعض الأشاعرة والمتأريفة في بعض العلوم:

ملحق بأسماء بعض علماء الأشاعرة والمتأريفة المشاركين في مختلف العلوم

علم القراءات:	السيرة النبوية:	الرقائق والزهد	الحديث:	علوم القراءات:	العقيدة:
ابن الجزري.	علي بن إبراهيم	القشيري.	الدارقطني.	الزركشي.	الأشعري.
أبو عمرو الداني.	الحلي.	الغزالي.	الإسماعيلي.	الراغب	إمام الحرمين.
شهاب الدين	ابن سيد الناس.	الرفاعي.	ابن حجر	الأصفهاني.	الباقلائي
القسطلاني.	يوسف النبهاني.	الجنيد.	العسقلاني.	الماوردي.	المتولي.
الشاطبي.	القاضي عياض .	الشيخ زروق.	السيوطي.	الكافيجي.	الآمدي.
أبو شامة المقدسي.	أبو نعيم الأصبهاني	ابن عساكر.	العز بن عبد السلام		
التاريخ:	الديميائي.	الخلاف:	البيجوري.		
الفقه:	السخاوي.	تعبير الرؤيا:	البيهقي.	الدبوسي	
السيكي.	ابن خلدون.	النايلسي.	البرهان الحلي.	الحنفي.	اللغة:
النووي.	ابن الأثير.	ابن المقرئ.	ابن الصلاح.	الشيرازي.	الزبيدي.

٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٦ م	٢٩ / رمضان المعظم / ١٤٢٧ هـ	مصر -	الأحد
أبو حيان	القُدوري.	الخطيب البغدادي.	الرافعي.
الأندلسي.	ابن المنذر.	سبط بن الجوزي.	البلقيني.
الفيومي.	ابن الحاجب.	الفاسي.	زكريا الأنصاري.
الفيروزآبادي.	القراقي.	التاج السبكي.	الشبرمليسي.
ابن منظور.	البيضاوي.	ابن قاضي شهبة.	الفاكهي.
	علاء الدين		الطرطوشي.
	البخاري.		ابن عابدين.
	البزدوي.		الشيخ نظام.
	ابن الهمام.		الغيممي.

و نذكر طائفة من القادة والمجاهدين و أصحاب السياسة الأشعرين:

الوزير نظام الملك. القائد المجاهد نور الدين زنكي. فاتح القدس الناصر صلاح الدين الأيوبي.
فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح وهو ماتريدي . أغلب قادة الدولة الأيوبية والمملوكية والسلجوقية والموحدية و
الدولة العثمانية (و هم أحناف ماتريدية) .

فتوى ابن رشد الجدل في منتقص الأشاعرة

سئل الإمام ابن رشد الجد المالكي رحمه الله تعالى الملقب عند المالكية بشيخ المذهب عن رأي المالكية في السادة الأشاعرة
و حكم من ينتقصهم كما في فتاواه (٢ / ٨٠٢) وهذا نص السؤال والجواب {السؤال: ما يقول الفقيه القاضي الأجل
أبو الوليد وصل الله توفيقه و تسديده ، و نرجع إلى كل صالحة طريقه ، في أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني
وأبي بكر الباقلاني^{١١} وأبي بكر بن فورك و أبي المعالي ، ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم في أصول الديانات

١١: طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الإمام الجليل القاضي أبو الطيب الطبري أحد حملة المذهب ورفعائه
كان إماماً جليلاً بحراً غواصاً متسع الدائرة عظيم العلم جليل القدر كبير المحل أخذ العراقيون عنه العلم وحملوا المذهب الشافعي ولد القاضي
بأمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وسمع بنيسابور من شيخه أبي الحسن الماسرجسي وبغداد من الحافظ أبي الحسن الدارقطني وأسند
عنه كثيراً في كتابه المنهاج روى عنه الخطيب البغدادي وأبو إسحاق الشيرازي وهو أخص تلامذته به ذكره تلميذه الشيخ أبو إسحاق
فقال فيما أخبرناه أبو عبد الله الحافظ بقرائه عليه أخبرنا ابن القواس أخبرنا الكندي إجازة أخبرنا أبو الحسن بن عبد السلام أخبرنا أبو
إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي قال ومنهم شيخنا وأستاذنا أبو الطيب توفي عن مائة وسنتين لم يختل عقله ولا تغير فهمه يفتي مع
الفقهاء ويستدرك عليهم الخطأ ويقضي ويشهد ويحضر المواكب إلى أن مات وحضر مجلس الشيخ أبي حامد ولم أر فيمن رأيت أكمل
اجتهاداً وأسد تحقيقاً وأجود نظراً منه شرح المزني وصنف في الخلاف والمذهب والأصول والجدل كتباً كثيرة ليس لأحد مثلها
وقال الخطيب: كان أبو الطيب ورعاً عارفاً بالأصول والفروع محققاً حسن الخلق صحيح المذهب وذكره أبو عاصم في آخر الطبقة
السادسة وهو آخر مذكور في كتابه وقال فيه فاتحة هذه الطبقة شيخ العراق أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وقال أبو الحسن محمد بن
محمد بن عبد الله القاضي ابتداء القاضي أبو الطيب يدرس الفقه ويتعلم العلم وله أربع عشرة سنة فلم يخل به يوماً واحداً إلى أن مات وعن
أبي محمد الباقي أبو الطيب الطبري أفقه من أبي حامد الإسفراييني وقال القاضي أبو بكر الشامي قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا وقد
عمر لقد تمتع بجوارحك فقال لم لا وما عصيت الله بواحدة منها قط وعن القاضي أبي الطيب أنه رأى النبي المنام وقال له يا فقيه وأنه

ويصنف للرد على أهل الأهواء؟ أهم أئمة رشاد وهداية، أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما تقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم، و يسبون كل من ينتمي إلى علم الأشعرية، ويكفرونهم ويتبرأون منهم، وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ضلالة، وخائضون في جهالة، فماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم؟ أيترون على أهوائهم، أم يكف عن غلوائهم؟! .

فأجاب رحمه الله: تصفحت عصمنا الله وإياك سؤالك هذا، ووقفت على الذين سميت من العلماء، فهؤلاء أئمة خير وهدى، و ممن يجب بهم الاقتداء، لأنهم قاموا بنصر الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات، وبنوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات، فهم -بمعرفتهم بأصول الديانات- هم العلماء على الحقيقة، لعلمهم بالله عزوجل وما يجب له وما يجوز عليه، وما ينتفي عنه، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الاصول، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم، ويقر لهم بسوابقهم، فهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين). فلا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل، أو مبتدع زائع عن الحق مائل، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق، وقد قال الله عز وجل: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) .

فيجب أن يبصر الجاهل منهم، ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبتدع الزائع عن الحق إذا كان مستسهلاً ببدعة، فإن تاب وإلا ضرب أبداً حتى يتوب، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ المتهم في اعتقاده، من ضربه إياه حتى قال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد دوائي فقد بلغت مني موضع الداء، وإن كنت تريد قتلي فأجهز علي، فخلي سبيله، والله أسأل العصمة والتوفيق برحمته .

قاله: محمد بن رشد. { اهـ

المقدمة الثانية: التحريف في كتاب الإبانة

من تأمل كتاب الإبانة المتداول حالياً علم خطأ من يحكم على عقيدة الإمام الأشعري من خلال هذا الكتاب بوضعه الراهن، لأن الكتاب عثت فيه أيدي التحريف والتغيير حتى لا يثق به إلا مغفل. فمن قارن بين طبعات الإبانة المتداولة، وبين نسخة الإبانة التي أعتنت بتحقيقها الدكتورة فوقية والتي طبعت في مصر وهي أقدمهن طباعة وأكثرهن تحريفاً للدقة، بسبب اعتمادها على أربع نسخ مخطوطة، مع العلم أن نسخة الدكتورة فوقية لم تسلم هي الأخرى من السقط والتغيير، ولكنها نقلت كل ما وجدته في المخطوطات الأربعة التي حصلت عليها، ولم تنزع منها شيئاً.

ثم بالمقارنة مع الجزء الذي نقله الحافظ ابن عساكر من الإبانة في كتابه "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري" فسيجد الاختلاف الكبير والبون الشاسع بين هذه المطبوعات وبين ما نقله الحافظ ابن عساكر، وكذلك يجد اختلافاً كبيراً فيما بين هذه النسخ المطبوعة بعضها مع بعض، وسيعلم يقيناً مدى تحريف بعض النسخ لهذا

الكتاب. ومما يقدح بصحة ما في الكتاب بوضعه المطبوع حالياً أن متقدمي الأشاعرة فضلاً عن متأخريهم لم ينقلوا ما ورد في هذا الكتاب عن إمامهم، بل نقلوا خلاف ذلك، وكتاب "مقالات الأشعري" لابن فورك خير شاهد على هذا. وأهل السنة يطالبون هؤلاء الذين ينسبون هذه النسخ المطبوعة التي لم تثبت عن الإمام الأشعري بصورتها الحالية، أن يأتوا بسند صحيح متصل لهذا الكتاب بصورته الحالية. وهم يعلمون أن هذا العلم يروى بالسند، وأن الإسناد من خصائص هذه الأمة، وهيهات أن يقدروا. مع العلم أن أهل السنة لا ينكرون أن الإمام أبا الحسن الأشعري قد ألف كتاباً أسماه الإبانة، ولكنهم ينكرون صورته المطبوعة حالياً لأسباب كثيرة منها بعض ما ذكر آنفاً.^{١٢}

المقدمة الثالثة :توبة تقي الدين بن تيمية

يتكئ كثير من الكتاب في تقريرهم للعقيدة على أقوال ومؤلفات تنسب إلى تقي الدين أحمد بن بن تيمية رحمه الله جهلاً من بعضهم بأن هذا الإمام قد تاب من تلك العقائد ورجع إلى الحق. وأنقل هنا تاريخ ونص التوبة من (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) من تصنيف أمير المؤمنين في الحديث الإمام الحافظ أبي الفضل ابن حجر العسقلاني ط ١٤١٤ هـ . دار الجيل . ج ١ / ص ١٤٨ وقبل ذلك كلام الإمام النووي وهو معاصر للإمام ابن تيمية و ممن شهد توبته، وقال أنه شهد على توبته جماعة من العدول .

و قال ابن حجر: وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم. وإليكم نقل ذلك بحروفه موثقاً.
قال الإمام النووي : { وأما تقي الدين فإنه استمر في الجب بقلعة الجبل إلى أن وصل الأمير حسام الدين منها إلى الأبواب السلطانية في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة ، فسأل السلطان في أمره وشفع فيه ، فأمر بإخراجه ، فأخرج في يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر وأحضر إلى دار النيابة بقلعة الجبل ، وحصل بحث مع الفقهاء ، ثم اجتمع جماعة من أعيان العلماء ولم تحضره القضاة ، وذلك لمرض قاضي القضاة زين الدين المالكي ، ولم يحضر غيره من القضاة ، وحصل البحث ، وكتب خطه ووقع الإشهاد عليه وكتب بصورة المجلس مكتوب مضمونه :
بسم الله الرحمن الرحيم

شهد من يضع خطه آخره أنه لما عقد مجلس لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي بحضرة المقر الأشرف العالي المولوي الأميري العادلي السيفي ملك الأمراء سلالر الملكي الناصري نائب السلطنة المعظمة أسبغ الله ظله ، وحضر فيه جماعة من السادة العلماء الفضلاء أهل الفتيا بالديار المصرية بسبب ما نقل عنه و وجد بخطه الذي عرف به قبل ذلك من الأمور المتعلقة باعتقاده أن الله تعالى يتكلم بصوت ، وأن الاستواء على حقيقته ، و غير ذلك مما هو مخالف لأهل الحق ، انتهى المجلس بعد أن جرت فيه مباحث معه ليرجع عن اعتقاده في ذلك ، إلى أن قال بحضرة شهود : (أنا أشعري) و رفع كتاب الأشعرية على رأسه ، وأشهد عليه بما كتب خطأ وصورته :
((الحمد لله ، الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله ، وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية ، وهو غير مخلوق

^{١٢} للتوسع في ذلك يراجع رسالة الشيخ وهبه غاوجي (نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن). وكتاب أهل السنة الأشاعرة ص ٥٨ ففيه تحقيق نفيس. ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ١/٥١٧

، وليس بحرف ولا صوت .

والذي أعتقده من قوله : (الرحمن على العرش استوى) أنه على ما قاله الجماعة ، وأنه ليس على حقيقته وظاهره ،^{١٣} ولا أعلم كنه المراد منه ، بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى) .

والقول في النزول كالقول في الاستواء ، أقول فيه ما أقول فيه ، و لا أعلم كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، وليس على حقيقته وظاهره . كتبه أحمد بن تيمية ، وذلك في يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة))

هذا صورة ما كتبه بخطه ، و أشهد عليه أيضا أنه تاب إلى الله تعالى مما ينافي هذا الاعتقاد في المسائل الأربع المذكورة بخطه ، وتلفظ بالشهادتين المعظمتين ، وأشهد عليه بالطواعية والاختيار في ذلك كله بقلعة الجبل المحروسة من الديار المصرية حرسها الله تعالى بتاريخ يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة ، وشهد عليه في هذا المحضر جماعة من الأعيان المقتنين والعدول ، وأفرج عنه واستقر بالقاهرة .. { اهـ كلام الإمام النووي^{١٤}

وقال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني: { ولم يزل ابن تيمية في الجب إلى أن شفع فيه مهنا أمير آل فضل، فأخرج في ربيع الأول في الثالث وعشرين منه وأحضر إلى القلعة و وقع البحث مع بعض الفقهاء فكتب عليه محضر بأنه قال أنا أشعري. ثم وجد بخطه ما نصه: ((الذي أعتقد أن القراءان معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله: « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » ليس على ظاهره ولا أعلم كنه المراد به بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء. وكتبه أحمد بن تيمية. ثم أشهدوا عليه أنه تاب مما ينافي ذلك مختارا وذلك في خامس عشرين ربيع الأول سنة ٧٠٧، وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأفرج عنه وسكن القاهرة. { ١٥ هـ

وذكر توبته غيرهما من العلماء والمؤرخين: كابن المعلم (٧٢٥) في <نجم المهتدي ورجم المعتدي> (نسخة باريس رقم ٦٣٨) - ذكر الدواداي (بعد ٧٣٦) في <كنز الدرر - الجامع : ٢٣٩> - ذكر ابن تغري بردي الحنفي (٨٧٤) في <المنهل الصافي - الجامع ٥٧٦> نحو ما ذكر ابن حجر . وقد نقل منها - أيضا- في (النجوم الزاهرة -الجامع ٥٨٠)

موقف الناس من توبته:

^{١٣} وظاهره على الحقيقة في اللغة هو الاستقرار والجلوس على العرش سبحانه و تعالى عن ذلك.

^{١٤} من كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للإمام القاضي شهاب الدين النووي المعين للحادثة والمتوفى سنة ٧٣٣ هـ ط دار الكتب

المصرية ١٩٩٨ م ج ٣٢ / ص ١١٥ - ١١٦

^{١٥} الدرر الكامنة (١/١٤٤).

اتفق العلماء جميعاً على صدق حادثة توبة الإمام ابن تيمية رحمه الله . ثم اختلفوا بعد ذلك في كون الإمام صادقاً في توبته أم أراد مجرد التورية والتقية على قولين:

الأول : مصدق له في توبته مترحم عليه لأن الأصل حمل المسلمين على أحسن المحامل وعلى هذا كثير من العلماء و لذا دافعوا عنه وردوا على من بدّعه .

الثاني: غير مثبت لتوبته ثم هؤلاء على طرفين:

الطرف الأول: مبدّع له مخرج له عن عقيدة أهل الحق بحكم ماهو مكتوب عنه في كتبه أو منقول عن بعض المتعصبين له و بحكم كونه مات سجيناً .

فقولهم أنه مات في السجن جوابه: أن سجنه الأخير كان في مسائل فقهية فرعية كمسألة تحريم السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها وليس في المسائل العقدية التي قد تاب منها.

وأما أنه لا يوجد ما يؤيد صدق توبته من أقوال في كتبه أو تراجمات عن ما كان عليه فجوابه :

١. أن ابن تيمية لم تطبع جميع كتبه حتى نأيد الأخذ بهذه القرينة .

٢. والأمر الآخر أن كتبه المطبوعة فيها السقط الكثير بعشرات الصفحات كما في الفتاوي فضلاً عن الأسطر و الكلمات . فمن الخطأ أن نجزم بعدم تراجع أو حتى نرجح عدم رجوعه إلى الحق.

٣. أن ما يتداول من كتب و فتاوي تنسب إليه جمعت بعد وفاته بخمسة قرون أو أكثر ، وهي مجرد مسودات لم يهذبها و لم يبيضاها .

الطرف الثاني: مبجل لهذه العقيدة التي تاب عنها بزعم أن توبته تورية و تقية ليس إلا .

وهذا ما عليه كثير من أتباعه اليوم ، وهذا لا يصح نسبته لابن تيمية رحمه الله تعالى لأنه إن كان يعتقد

أنه على الحق فكيف لم يصمد و هو رأس و قدوة في هذا الحق بزعمهم كما صبر الإمام أحمد بن حنبل وغيره من العلماء؟؟.

والحق الذي يترجح أنه قد تاب منها ولله الحمد ، وغرضي من ذلك أن كل رد في هذه الرسالة فأنا لا أقصد به الإمام ابن تيمية بذاته و إنما أقصد ما يذكر في كتبه سواء كان هو قائله قبل توبته أو أنه كلام مختلق عليه رحمه الله تعالى . فالرد إذن هو على القول لا على القائل كائناً من كان.

وأخيراً نبدأ في الرد على ماحوته الرسالة ونسأل الله التوفيق والإخلاص

قال الأخ الكاتب وفقه الله لرضاه : ((إذا كان من حق أي قارئ مسلم أن يهتم بالموضوع وأن يدلي برأيه إن كان لديه جديد ، فكيف بمن هو متخصص في هذا الموضوع مثلي ؟
فالأشاعرة جزء من موضوع رسالتي للدكتوراه " ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي " إذ هي أكبر فرق المرجئة الغلاة ، ولن أستعجل نتائج بحثي ، ولكن حسبي أن أدعي دعوى وأطرحها للمناقشة وأقبل بكل سرور من يدلي بوجهة نظره فيها)) .

ذكر الكاتب هداه الله ثلاثة أمور :

الأمر الأول: دعوى أن كل قارئ مسلم من حقه أن يدلي برأيه في مباحث علم الاعتقاد ، بل وفي مسائل الردود على الفرق . وقد خطا فيما قاله أول خطوة نحو الخطأ . فإذا كانت أمور الآداب المستحبة في الشريعة لا يجوز أن يتكلم فيها المرء بغير علم ، فكيف بالعقيدة ؟! وأي رأي للعامة أو أنصاف المتعلمين ليقوله في نقد الفرق و الطوائف ؟!! ، والعبرة ليس بكون رأيه جديداً ، بل بكونه عالماً قادراً على أن يخوض في مثل هذه المسائل . ألسنت القائل في رسالتك هذه ((ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي) في شرحك للتيار العصري-العلماني- قلت بالحرف الواحد : "وهي زندقة عصرية يروج لها عصابة من الكتاب يتسترون بالتجديد، وفتح باب الاجتهاد لمن هب ودب ..)) إذن كيف تنهى عن خلق و تأتي مثله؟! .

الثاني: أنه متخصص في نقد الأشاعرة لأنه عالم بمذهبهم لكونه كان جزء من رسالته^{١٦} وسنرى هل دعوى علمه بمذهبهم صحيحة أم لا ؟

الثالث: أن السادة الأشاعرة أكبر فرق المرجئة و ليست أي مرجئة بل غلاة المرجئة!! . وهذا باطل قطعاً وليس معتقد علماء الأمة مسرحاً للاجتهاد من كل طالب يريد أن يأخذ منصباً أكاديمياً أو شهادة أو غيرها . فليس الأمر بالتجارب حتى يقول قائلهم : نجرب نقد جمهور علماء الأمة فإن أصبنا وإلا فهو مجرد نقاش و وجهات نظر !!! . لأن عقائد علماء الأمة يا بني الإسلام ليست مسرحاً لذلك .

قال الحوالي: إنها مسألة مذهب بدعي له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي حيث تمتلئ به كثير من كتب التفسير وشرح الحديث وكتب اللغة والبلاغة والأصول ، فضلاً عن كتب العقائد والفكر ، كما أن له جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال .

هنا ذكر الكاتب أموراً صحيحة وأموراً باطلة :

١. فقول (أنه مذهب بدعي) فهذا باطل بلا ريب بل هو مذهب عقدي سني تميز بتفصيل المسائل التي أجمل فيها من سبقهم من علماء أهل السنة والجماعة ، فحفظ الله به عقيدة أهل الحق والسنة في مشرق الأرض ومغربها .
وإذا قال قائل أن علماء أهل السنة والجماعة من الأشعرية مبتدعة في العقيدة فهذا يعني إما بدعة مفسدة ، أو مكفرة ، و لا خيار غير ذلك عند العلماء . فإن زاد فوق ذلك أن الماتردية مبتدعة ضلال ، والمفوضة من الحنابلة وغيرهم ضلال

^{١٦} ردّ على رسالته هذه الدكتور ياسر برهامي بـ "قراءة نقدية لكتاب ظاهرة الإرجاء" . ط الدار السلفية للنشر .

، فكيف نثق بدين حمله إلينا الفسقة على أقل أحوال الحكم؟! فإن قال أحدهم: أنا لا أفسقهم بأعيانهم أو لا أكفرهم بأعيانهم وإنما أنا أتكلم عن الفعل فقط . فكلامه باطل لسببين :

السبب الأول : أن الكلام عن جماعة معينة معلومة و هم السادة الأشاعرة .

الثاني: أن الحكم على الفعل بكونه كفراً مع عدم تكفير صاحبه أو أنه فسق مع عدم تفسيق

صاحبه يتبعه أحكام شرعية مبسوبة في كتب الفقهاء فكيف و قد أخرجهم من الفرقة

الناحية أصلاً؟!، وسياقي بيان الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى .

٢. قول الحوالي : ((أن معتقد الأشاعرة له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي حيث تمتلئ به كثير من

كتب التفسير وشروح الحديث ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال .))

أقول : هذا صحيح والله الحمد ، وليس مشكلة خطيرة ، بل هو امتداد طبيعي لحفظ دين الله .

تنبيه : أعجب للدكتور عبد الله الموجان في رده على الشيخ عمر كامل ، حيث أسقط الموجان هداه الله هذه الجملة التي

استشهد بها كامل على أن الحوالي مقرّر بأن الأشاعرة هم جمهور الأمة ، فقال الموجان [إن الدكتور سفر يذكر عن

المذهب الأشعري أنه (مذهب بدعي له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي) ولم يذكر جملة جمهور الأمة من قريب ، ولا

من بعيد] اهـ . وفعله هذا مغالطة مكشوفة لأنه بتر لكلام الحوالي الذي كان هو موطن الشاهد في كلام الشيخ عمر

كامل ، فدقق النظر في قول الحوالي : (حيث تمتلئ به كثير من كتب التفسير وشروح الحديث وكتب اللغة والبلاغة

والأصول ، فضلاً عن كتب العقائد والفكر ، كما أن له جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من

الفلبين إلى السنغال) . فهل بعد هذا من وضوح في كونهم جمهور الأمة؟!.

قال الكاتب : [فات فضيلته (الفوزان) أن يرد على الصابوني فيما عزاه إلى شيخ الإسلام - مكرراً إياه - من قوله : " الأشعرية أنصار أصول الدين والعلماء أنصار فروع الدين" .

ولعل الشيخ وثق في نقل الصابوني مع أن الصابوني - على ما أرجح - أول من يعلم بطلان نسبة هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و لغة العبارة نفسها ليست من أسلوب شيخ الإسلام ، والغريب حقاً أنه أعاد هذا العزو في بيانه الأخير بالعدد ٦٤٦ مؤكداً إصراره على التمويه والتدليس .

وأنا أطلب من كل قارئ أن يراجع النص في ج ٤ ص ١٦ من مجموع الفتاوى ليجد بنفسه قبل تلك العبارة نفسها كلمة " قال " فالكلام محكي منقول وقائله هو المذكور في أول الكلام - آخر سطر من ص ١٥ - حيث يقول شيخ الإسلام :

" وكذلك رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمد هو والد إمام الحرمين - أبو المعالي الجويني (وهو أشعري) رجع آخر عمره إلى عقيدة السلف - فتوى طويلة ... قال فيها : " إلى أن يقول :

" قال : وأما لعن العلماء الأئمة الأشعرية فمن لعنهم عزرو وعادت اللعنة عليه ... والعلماء أنصار فروع الدين والأشعرية أنصار أصول الدين] .

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم/١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

الجواب: راجعت العبارة كما طلب الكاتب ، ولو دقق الكاتب النظر في الجملة لوجدها كانت بهذا النص: {وكذلك رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمد فتوى طويلة فيها أشياء حسنة قد سئل عنها بها مسائل متعددة قال فيها: إلخ...}. فالجملة التي تركت هي قول ابن تيمية: (فيها أشياء حسنة)، وهي جملة مهمة تبين سبب اعتماد الشيخ الصابوني على كلام ابن تيمية، و قد بتر الأخ الكاتب هذه الجملة بترأ لا يستساغ أبداً، فنسأل الله الإنصاف فيما نقول.

قال الكاتب: ("براءة الأشعرين" نقل لنا بعض أهل العلم أن صاحبه هو عبد الفتاح أبو غدة)

وهذا باطل و من أخبرك لم يصدقك الخبر ، فصاحب الكتاب هو المحدث أبو حامد بن مرزوق الشيخ محمد عربي التبان المالكي المدرس بمدرسة الفلاح في مكة المكرمة ت سنة ١٣٩٥ هـ .

قال الكاتب غفر الله له : ((إن مصطلح أهل السنة والجماعة يطلق ويراد به معنيان :

أ- المعنى الأعم : وهو ما يقابل الشيعة فيقال : المنتسبون للإسلام قسمان : أهل السنة والشيعة ، مثلما عنون شيخ الإسلام كتابه في الرد على الرافضي "منهاج السنة" وفيه بين هذين المعنيين وصرح أن ما ذهبت إليه الطوائف المبتدعة من أهل السنة بالمعنى الأخص . وهذا المعنى يدخل فيه كل من سوى الشيعة كالأشاعرة ، لاسيما والأشاعرة فيما يتعلق بموضوع الصحابة والخلفاء متفقون مع أهل السنة وهي نقطة الاتفاق المنهجية الوحيدة كما سيأتي)).

ب- المعنى الأخص : وهو ما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء ، وهو الأكثر استعمالاً في كتب الجرح والتعديل ، فإذا قالوا عن الرجل أنه صاحب سنة أو كان سنياً أو من أهل السنة ونحوها ، فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية كالخوارج والمعتزلة والشيعة ، وليس صاحب كلام وهوى.

وهذا المعنى لا يدخل فيه الأشاعرة أبداً ، بل هم خارجون عنه وقد نص الإمام أحمد وابن المديني على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة وإن أصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص ، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب ، بل التلقي والاستمداد منها ، فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ وإن وافقها في النتيجة)).

الجواب : طبعاً اجتهد الأخ الحوالي هداه الله ففاس الأشاعرة على أهل الكلام البدعي كالخوارج والجهمية ، ثم اجتهد أخرى فحكم بكونهم مبتدعة !!.

وأقول : أولاً قياسه باطل ، فليس الأشعرية كالمعتزلة ، ولا كالرافضة ، ولا الخوارج ، بل أئمة الجرح

والتعديل من أهل السنة والجماعة كانوا أشاعرة . منهم الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة ، والحافظ النووي ، والحافظ ابن حجر ، وابن الصلاح ، والخطيب ، والسيوطي وغيرهم كثير .

فإذا كان هؤلاء الأشاعرة الذين نقلوا الأحاديث ، و بينوا العلم وهم أئمة في علم الحديث والرجال صاروا في زماننا مبتدعة ضاللاً وخارجين عن السنة والجماعة ومتوعدين بالهلاك والنار فهي والله مصيبة ما بعدها مصيبة .

ثانياً : ما قلته يا أخي هو مجرد دعوى ، لأن قول القائل أن فلاناً صاحب سنة فمعناه أنه على السنة أي الطريقة التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، هذا معنى أنه من أهل السنة .

و إلا فعلى كلامك يقال أن الإمام مالك، وأحمد، والشافعي هم أصحاب سنة بمعنى أنهم ليسوا من الجهمية والمشبهة، وليس المعنى أنهم مثل الصحابة لأن الصحابة لم يخوضوا في تفاصيل العقائد، إنما كان همهم الجهاد والعمل، لا الردود والجدل.!!

فنعم لقد خاض الشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة، ومالك، وغيرهم فيما لم يخض فيه الصحابة، وكان خوضهم واجبا متحتما لرد شبه الزائغين، وكذا خاض غيرهم من أئمة أهل السنة كابن كلاب والأشعري، والبخاري، وهو واجب بلا ريب لدحض الشبه و ردها. وكان الأشعري رحمه الله يقصد إلى مواطن المعتزلة لينظرهم، فقليل له: كيف تحالط أهل البدع، وتقصدهم بنفسك، وقد أمرت بجرهم؟ فقال: هم أولو رئاسة: منهم الوالي والقاضي، ولرئاستهم لا ينزلون إليّ، فإذا كانوا هم لا ينزلون إليّ، ولا أسير أنا إليهم، فكيف يظهر الحق، ويعلمون أن لأهل السنة ناصراً بالحجة!.

ثالثاً: قولكم ((وقد نص الإمام أحمد وابن المديني على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة وإن أصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب، بل التلقي والاستمداد منها، فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ وإن وافقها في النتيجة)) نحتاج أولاً لنعلم ما هو علم الكلام الذي نھوا عنه؟ وما سبب نھيهم عن ذلك؟ وهل ينطبق ذلك على الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة أم لا؟

اولاً: ماهو الكلام الذي نھوا عنه؟ قال ابن تيمية: "إن الكلام المذموم الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل المخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول." اهـ^{١٧}
ونعرف ذلك بأمور منها:

الأمر الأول: بالنقل عنهم: فقد ورد عن السلف كلام مجمل، وكلام مفصل في النهي عن الكلام، والمجمل لا يمكن أن نصل منه إلى جواب واضح، ولا يصح الأخذ بالمجمل مع وجود المبين له، فإليك المبين: قال مصعب الزبيري: بلغني عن مالك بن أنس أنه كان يقول: الكلام في الدين كله أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه: القدر، ورأي جهم، وكل ما أشبهه ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عمل، فأما الكلام في الله فالسكوت عنه. اهـ^{١٨}.

إذن الكلام المنهي عنه هو الكلام الباطل لا الكلام الحق بقرائن منها:

١. أن السلف قد تكلموا في القدر للرد على المعتزلة، وتكلموا في الله للرد على الحلولية والجهمية.
٢. أن الإمام مالك حدد نوع الكلام المراد ذمه بضرب الأمثلة فقال: (القدر) أي: رأي القدرية في مسألة القدر. (و رأي جهم) وهو إنكار الصفات والقول بفناء الجنة و النار، والقول بالحلول وغيرها من طوائفه.
٣. أن المنكر هو الكلام فيما ليس تحته عمل، وإنما هو مجرد خصومة بالباطل، أما ما كان تحته عمل أو كان لإظهار الحق فلا ينكره عاقل، ولذا فعله كثير من السلف، و أي عمل أعظم من تصحيح الاعتقاد؟؟.
٤. أن المذموم هو كلام يعارض الكتاب والسنة الصحيحة، أما ما يؤيدها، وينصرها، ويبينها فهو مطلوب وهذا ما فعله الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة.

^{١٧} مجموع الفتاوى ٢١٢/١٢

^{١٨} اللالكائي ١/١٤٣، وجامع العلم لابن عبد البر ٣٠٩

الأمر الثاني : من الدلائل الدالة على معنى الكلام المنهي عنه: معرفة أصحاب الكلام اللذين كان يذمهم علماء السلف، وهذا يعرف بواقع عصرهم ، والبدعة المنتشرة في عصرهم هي نفي الصفات ورأي القدرية الخبيث :
- ففي عصر مالك ،والنعمان بن ثابت ومن قبلهما . رحمهم الله . ابتدع رأي القدرية ،والجهمية ،والمشبهة ونحوهم كما سبق.

- وفي عصر الشافعي، و أحمد ،و ابن كُلاب ،وأبي الحسن الأشعري ،انتشر رأي المعتزلة .
إذن كانوا يقصدون ذم شيء رأوه وعرفوه في عصرهم ، وهو كلام أهل الكلام في عصرهم، من المعتزلة والجهمية والمشبهة ، أما أهل السنة من الأشاعرة فليسوا مثل هؤلاء أبداً لأن كلامهم لم يكن إلا كلاماً محموداً ،فالكلام وسيلة إلى أمر مقصود، فإن كانت النتيجة موافقة للحق فهو حق ،وإن كانت باطلة فهو باطل ،مادام أن الكلام المتكلم به في حد ذاته لم يأتي نهي عنه في كتاب ولا سنة فالأصل أن الكلام مباح ،وكلام المعتزلة في أغلبه بمقدماته ونتائجها باطل، فضلاً عن الجهمية والمشبهة.

فوائد: الفائدة الأولى : إن أساليب وطرق تقرير الحق غير توقيفية ،بل تارة تكون بالنقل إن وجد النقل ،وتارة تكون بالعقل .قال الإمام الحافظ ابن عساكر في كتابه الذي ألفه في الدفاع عن الإمام الأشعري وبَيَّن فيه كذب من افتري عليه ما نصّه : "والكلام المذموم كلام أصحاب الأهوية وما يزخره أرباب البدع المردية، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء، ومن يعلمه، وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه، وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع، وأقام الحجة عليه حتى انقطع". اهـ.^{١٩}
الفائدة الثانية : . إن الأئمة قد خاضوا في علم الكلام المحمود ،فقد اشتغل عدد من علماء السلف بعلم الكلام إلى جانب اشتغالهم بالقرآن والسنة، و ذلك لحاجة الرد على أهل البدع والدفاع عن عقيدة أهل الحق وحراستها من تشويشات وشبه هؤلاء المنحرفين.

وقد ذكر الأستاذ عبد القاهر البغدادي أن أول متكلمي أهل السنة من الفقهاء أبي حنيفة ،والشافعي، ألف في الفقه الأكبر ،والرسالة في نصرة أهل السنة إلى مقاتل ابن سليمان وكان مجسماً، وقد ناظر فرقة الخوارج ،والروافض ،والقدرية ،والدهرية ،وكان من دعائهم بالبصرة، فسافر إليها نيقاً وعشرين مرةً، وفضَّهم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام .(أي علم التوحيد). إلى أنه كان المشار إليه بين الأنام، واقتدى به تلامذته الأعلام.

وقال الفقيه الأصولي الزركشي: في تشنيف المسامع: "إن الأئمة انتدبوا للرد على أهل البدع والضلال، وقد صنّف الشافعي كتاب (القياس) ردّ فيه على من قال بقدّم العالم من الملحدّين، وكتاب (الرد على البراهمة) وغير ذلك، وصنّف أبو حنيفة كتاب (الفقه الأكبر) وكتاب (العالم والمتعلّم) رد فيه على المخالفين، وكذلك مالك سئل عن مسائل هذا العلم فأجاب عنها بالطريق القويم، وكذلك الإمام أحمد". اهـ.

رد الإمام الأشعري على من بدّع الخائضين في علم الكلام المحمود:

^{١٩} تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري.

أسوق كلامه باختصار. قال الإمام الأشعري: الجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: قلب السؤال عليهم بأن يقال: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل أيضاً: (أن من بحث عن ذلك وتكلم فيه فاجعلوه مبتدعاً ضالاً) فقد لزمكم أن تكونوا مبتدعة ضلالاً إذ تكلمتم في شيء لم يتكلم فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وضللت من لم يضلله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)!!

الجواب الثاني: أن يقال لهم: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجهل شيئاً مما ذكرتموه من الكلام في الجسم والعرض.. وإن لم يتكلم في كل واحد من ذلك (كلاماً) معيناً، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة، غير أن هذه الأشياء التي ذكرتموها معينة أصولها، موجودة في القرآن والسنة جملة غير مفصلة:

١. أما الحركة والسكون والكلام فيهما: فأصلهما موجود في القرآن، وهما يدلان على التوحيد. وكذلك الاجتماع والافتراق، قال الله تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه في قصة أفول الكواكب والشمس والقمر وتحركهما من مكان إلى مكان ما دل على أن ربه عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك. وأن من جاز عليه الأفول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بإله.

٢. أما الكلام في أصول التوحيد فمأخوذ أيضاً من الكتاب، قال الله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وهذا الكلام موجز منبه على الحجة بأنه واحد لا شريك له. وكلام المتكلمين في الحجاج في التوحيد بالتمانع والتغالب، فإنما مرجعه إلى هذه الآية وقوله عز وجل: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) إلى قوله عز وجل: (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) وكلام المتكلمين في الحجاج في توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التي ذكرناها. وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد إنما هو مأخوذ من القرآن.

٣. وعلم نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- ولقنه الحجاج عليهم في إنكارهم البعث من وجهين على طائفتين منهم: طائفة أقرت بالخلق الأول وأنكرت الثاني، وطائفة جمحت ذلك بقدم العالم:

فاحتج على المقر منهما بالخلق الأول بقوله: (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وبقوله: (وهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وبقوله: (كما بدأكم تعودون) فنبههم بهذه الآيات على أن من قدر أن يفعل فعلاً على غير مثال سابق فهو أقدر أن يفعل فعلاً محدثاً فهو أهون عليه فيما بينكم وتعارفكم وأما الباري -جل ثناؤه وتقدس أسمائه- فليس خلق شيء بأهون عليه من الآخر.

ثم يقول: وأما الطائفة التي أنكرت الخلق الأول والثاني، وقالت بقدم العالم فإنما دخلت عليهم شبهة بأن قالوا: وجدنا الحياة رطبة حارة والموت بارداً يابساً وهو من طبع التراب، فكيف يجوز أن يجمع بين الحياة والتراب والعظام النخرة فيصير خلقاً سوياً والضدان لا يجتمعان!! فأنكروا البعث من هذه الجهة.. إلخ
ثم أطل الأشعري الكلام على هذه المسألة في نحو خمس صفحات ثم قال:

٤. (يقال لهم): النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصح عنه حديث في أن القرآن غير مخلوق أو هو مخلوق فلم قلتُم أنه غير مخلوق؟ فإن قالوا: قاله بعض التابعين قيل لهم: يلزم التابعي مثل ما يلزمكم من أن يكون مبتدعاً ضالاً إذ قال ما لم يقله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!!

فإن قال قائل: فأنا أتوقف في ذلك فلا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق، قيل له: أنت في توقفك في ذلك مبتدع!!، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل: إن حدثت هذه الحادثة بعدي توقفوا فيها ولا تقولوا فيها شيئاً!! ولا قال: (ضللوا وكفروا من قال بخلقه أو من قال بنفي خلقه!!)

٥. وخبرونا: لو قال قائل: إن علم الله مخلوق: أكنتم تتوقفون فيه أم لا؟ فإن قالوا: (لا) قيل لهم: لم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابه في ذلك شيئاً، وكذلك لو قال قائل: هذا ربكم شعبان أو ريان أو مكتس أو عريان.. أو جسم أو عرض أو يشم الريح أو لا يشمها... ونحو ذلك من المسائل أكان ينبغي أن تسكت عنه لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتكلم في شيء من ذلك ولا أصحابه، أو كنت لا تسكت فكن تبين بكلامك أن شيئاً من ذلك لا يجوز على الله عز وجل وتقدس كذا وكذا بحجة كذا وكذا.

فإن قال قائل: أسكت عنه -أي عن القائل- ولا أجيبه بشيء، أو أهجره، أو أقوم عنه، أو لا أسلم عليه أو لا أعوده إذا مرض، أو لا أشهد جنازته إذا مات قيل له: فيلزمك أن تكون في جميع هذه الصيغ التي ذكرتها مبتدعاً ضالاً!! لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل: (من سأل عن شيء من ذلك فاسكتوا عنه) ولا قال: (لا تسلموا عليه) ولا (قوموا عنه) ولا قال شيئاً من ذلك فأنتم مبتدعة إذا فعلتم ذلك ويقال لهم: ولم لم تسكتوا عمن قال بخلق القرآن؟ ولم كفرتموه ولم يرد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث صحيح في نفي خلقه وتكفير من قال بخلقه؟ فإن قالوا: لأن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال بنفي خلقه وتكفير من قال بخلقه، قيل لهم: ولم لم يسكت أحمد عن ذلك، بل لم تكلم فيه؟ فإن قالوا: لأن عباس العنبري، ووكيعاً، وعبد الرحمن بن مهدي، وفلاناً وفلاناً قالوا إنه غير مخلوق ومن قال بأنه مخلوق فهو كافر، قيل لهم: ولم لم يسكت أولئك عما سكت عنه (النبي) صلى الله عليه وآله وسلم؟! فإن أحوال ذلك على الصحابة أو جماعة منهم، كان ذلك مكابرة.

فإنه (مع هذا) يقال لهم: فلم لم يسكتوا عن ذلك ولم يتكلم فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا قال: (كفروا قائله؟) وإن قالوا: لا بد للعلماء من الكلام في الحادثة ليعلم الجاهل حكمها، قيل لهم: هذا الذي أردناه منكم. فلم منعتم الكلام؟ فأنتم إن شئتم تكلمتم، حتى إذا انقطعتم قلتُم نهيًا عن الكلام!!، وإن شئتم قلتم من كان قبلكم بلا حجة ولا بيان، وهذه شهوة وتحكم. انتهى ٢٠ ٢١

٢٠ الرسالة نشرها د عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلاميين: و هي "استحسان الخوض في علم الكلام".

٢١ قال أبو إسحاق المروزي: سمعت الحاملي يقول في أبي الحسن الأشعري: لو أتى الله بقراب الأرض ذنوباً رجوت أن يغفر الله له لدفعه عن دينه، وقال ابن العربي المفسر: كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم في أقماع السماسم "اه. كما في تشنيف المسامع للزركشي.

قال النووي -رحمه الله- في مقدمة كتاب المجموع: ولو تشكك -والعياذ بالله- في شيء من أصول العقائد مما لا بد من اعتقاده، ولم يزل شكه إلا بتعليم دليل من أدلة المتكلمين وجب تعلم ذلك لإزالة الشك وتحصيل ذلك الأصل.^١ هـ. قال الذهبي: في التذكرة إن المزي كان يقرر طريقة السلف في السنة فيعضد ذلك بقواعد كلامية ومباحث نظرية.

وقال الإمام محمد بن إبراهيم ابن الوزير اليماني: رحمه الله في العواصم والقواصم ٣/٣٣١: (مذهب أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة الحديث وهم طائفتان: الطائفة الأولى: أهل الحديث والأثر وأتباع السنن والسلف الذين ينهون عن الخوض في علم الكلام... [ثم قرر مذهب أهل الحديث وهو أن حقيقة الصفات وكنهها مما استأثر الله بعلمه، ثم ذكر كلام الغزالي في كتابه إجام العوام في تقرير عقيدة السلف، ثم تكلم في النهي عن علم الكلام كل ذلك في صفحات طويلة جداً].

ثم قال ١١٨/٤: هذا آخر ما أردت الإشارة إليه من جملة عقائد المحدثين وهم الطائفة الأولى. الطائفة الثانية: أهل النظر في علم الكلام والمنطق والمعقولات وهم فرقتان: أحدهما: الأشعرية... والفرقة الثانية من المتكلمين منهم: الأثرية كابن تيمية وأصحابه فهؤلاء من أهل الحديث لا يخالفونهم إلا في استحسان الخوض في الكلام وفي التجاسر على بعض العبارات و فيما تفرد به من الخوض في الدقائق الخفيات والمحدثون ينكرون ذلك عليهم لأنه ربما أدى ذلك إلى بدعة أو قدح في الدين (هـ ٢٢)

وفيما سبق كفاية لبيان أهمية علم الكلام إذا كان بحق وهو مجرد وسيلة لا تأخذ حكماً بالنهي أو الطلب لها إلا بما يعرض لها.

قال السعد التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية: وسموا معرفة العقائد عن أدلتها بالكلام، لأن عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا. ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثرها نزاعاً وجدالاً، حتى إن بعض المتغلبة قتل كثيراً من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن. ولأنه يورث القدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة.

ولأنه أول ما يجب من العلوم التي إنما تعلم وتتعلم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك، ثم خص به، ولم يطلق على غيره تمييزاً. ولأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب. ولأنه لا يبتناؤه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيراً في القلب وتغلغلاً فيه، فسمي بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح، وهذا هو كلام القدماء.... إلى أن قال: وبالجملية هو أشرف العلوم، لكونه أساس الأحكام الشرعية ورئيس العلوم الدينية، وكون معلوماته العقائد الإسلامية، وغاياته الفوز بالسعادات الدنيوية والدنيوية، وبراهينه الحجج القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية. وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب في الدين

^{٢٢} كلام ابن الوزير اليماني بنصه استفدته من تعليق للشيخ عبدالفتاح البافعي في تأييده لفتوى الشيخ الغنيمان.

والقاصر عن تحصيل اليقين، والقاصد إفساد عقائد المسلمين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين. وإلا فكيف يتصور المنع عما هو من أصل الواجبات وأساس المشروعات". اهـ.

الرد على دعوى تضليلهم في المذاهب الأربعة

قال الشيخ الحوالي غفر الله لنا وله: وسنأتي بحكمهم عند أئمة المذاهب الأربعة من الفقهاء فما بالك بأئمة الجرح والتعديل من أصحاب الحديث:

١ - عند المالكية:

روى حافظ المغرب وعلمها الفذ ابن عبد البر بسنده عن فقيه المالكية بالمشرق ابن خويز منداذ أنه قال في كتاب الشهادات شرحاً لقول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء، وقال: "أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها.

الجواب: بداية أحب أن أنبه على وهم توهمه الموجان في دفاعه عن الحوالي من أن عمر كامل لم يفهم كلام الحوالي، ولذا فحكم الدكتور عمر كامل على الحوالي بالتدليس سوء فهم منه لأن الحوالي لا يقصد الأئمة الأربعة وإنما هو يقصد أتباعه من الفقهاء. ٢٣ وكلام الموجان باطل لأن الحوالي يقول بالحرف الواحد: أن ابن خويز منداذ قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام.. أشعرياً كان أو غير أشعري.. اهـ وبهذا يتبين أن سوء الفهم من الموجان هداه الله. وليس من د: عمر كامل.

وأما التعليق على ما قال الحوالي فأقول و بربري أستعين:

١- أن تنزيل أقوال الأئمة كمالك وغيره على الأشعرية خطأ محض، لأن الأشعري ولد بعد وفاة الإمام أحمد وهو آخر الأئمة الأربعة وفاة، فكيف بمالك؟ ثم أن أهل الكلام في عصر مالك هم الجهمية والمعتزلة اللذين تكلموا بالباطل، وليس مقصودهم من ذب عن اعتقاد أهل الحق ونصره. وقد أجاب الحافظ البيهقي عن هذه الشبهة بقوله: "إنما يريدون والله أعلم بالكلام كلام أهل البدع، فإن في عصرهم إنما كان يعرف بالكلام أهل البدع، فأما أهل السنة فقلماً كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطروا إليه بعد". اهـ.

٢- أن الكاتب هداه الله: يحتج بقول ابن خويز منداذ المالكي وهو مطعون فيه من جهة علمه ومن جهة نقله؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان" ما نصه:

"عنده شواذ عن مالك، واختيارات وتأويلات لم يعزدها عليها حدّاق المذهب كقوله إن العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار وأن خبر الواحد مفيد العلم.... وقد تكلم فيه أبو الوليد الباجي ولم يكن بالجد النظر، ولا بالقوي في الفقه،

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

وكان يزعم أن مذهب مالك أنه لا يشهد جنازة متكلم، ولا يجوز شهادتهم، ولا مناكرتهم، ولا أماناتهم، وطعن ابن عبد البر فيه أيضاً" انتهى كلام الحافظ ابن حجر. ٢٤

قال فيه الإمام الباجي: [لم أسمع له في علماء العراقيين ذكراً، وكان يجانب الكلام جملة، وينافر أهله، حتى يؤدي إلى منافرة المتكلمين من أهل السنة، وحكم على أهل الكلام أنهم من أهل الأهواء الذين قال مالك في مناكرتهم وشهادتهم ما قال].

وقال فيه القاضي عياض: [وعنده شواذ عن مالك، وله اختيارات لم يعرج عليها حذاق المذهب، ولم يكن بالجيد النظر ولا بالقوي الفقه] ٢٥. وفي قول الباجي إشارة إلى أن الأشاعرة الذين خاضوا في علم الكلام ليسوا من أهل الأهواء والكلام المذموم الذين قال فيهم الإمام مالك ما قال.

فهذا هو حاله عند أئمة المذهب المالكي كابن عبد البر، والباجي، والقاضي عياض، وعند علماء الجرح والتعديل كالحافظ ابن حجر. ولا يشك عاقل أن أكثر المالكية أشعرية.

قال الكاتب: عند الشافعية:

قال الإمام أبو العباس بن سريج الملقب بالشافعي الثاني، وقد كان معاصراً للأشعري: " لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيعة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل "

استشهد الكاتب. هده الله. بكلام ابن سريج، ليثبت أن الشافعية يذمون الأشعرية وهذا باطل من وجهين: الوجه الأول: بطلان نسبة هذا القول لابن سريج لسببين:

السبب الأول: أن الأشعرية لم تظهر بعد: فقد توفي ابن سريج سنة ٣٠٦، وتوفي الأشعري ٣٢٤ وولد سنة ٢٦٠ فإذا كان الأشعري لازم الاعتزال أربعين سنة، ثم فارق الجبائي بعد ذلك فإن كان طلب العلم على الجبائي وعمره عشر سنوات مثلاً ولازمه أربعين سنة فهذا يعني أن ابن سريج مات قبل توبة الإمام الأشعري عن الاعتزال بأعوام مديدة بل هب أنه مات قبل رجوع الأشعري عن الاعتزال بيوم واحد فكيف يذم مذهب لم يولد بعد؟! فهذا لم يقله ابن سريج قطعاً لأن ابن سريج لا يعلم الغيب.

السبب الثاني: وهو أن الزنجاني هذا الذي يحكي هذا الكلام عن ابن سريج ولد بعد وفاة ابن سريج بنحو (٨٠) سنة تقريباً فالإسناد منقطع. فقد توفي ابن سريج كما في "سير أعلام النبلاء" سنة (٣٠٣) هـ والزنجاني ولد سنة (٣٨٠) هـ

كما في "سير أعلام النبلاء" (٣٨٥/١٨). فكيفما قلبت الأمر وجدته باطلاً. ٢٦ فابن القيم ذكر هذه الرواية في كتابه اجتماع الجيوش دون تمحيص لها سنداً وممتناً، واغتر الكاتب بذلك فنقله بثقة تامة.

٢٤ ٣٢٩/٥ من طبعة دار الفكر

٢٥ انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض: ٤ / ٦٠٦. الديباج المذهب لابن فرحون: ٢ / ٢٢٩. تاريخ الإسلام للإمام الذهبي: الطبقة

٣٩ - ٤٠: ص ٢١٧. الوافي بالوفيات للصفدي: ٢ / ٥٢. عقائد الأشاعرة للشيخ الأردبلي

٢٦ أنظر لزيادة الفائدة رسالة تحفة الصديق المحبوب.

الوجه الثاني: أن علماء الأشعرية ورؤس أهل السنة من الأشعرية هم على مذهب الإمام الشافعي كالغزالي صاحب الوجيز والبسيط والوسيط في الفقه الشافعي، و إمام الحرمين، والنووي وابن حجر، والرازي، والسبكي، وابن الصلاح، وانظر طبقات الشافعية لتعرف أنهم أشعرية. فسبحان الله كيف غاب هذا عن الكاتب؟!.

قال الكاتب: قال الإمام أبو الحسن الكرجي من علماء القرن الخامس الشافعية ما نصه: " لم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ويتبرأون مما بنى الأشعري مذهبه عليه وينهون أصحابهم وأحبائهم عن الحوم حواليه على ما سمعت من عدة من المشايخ والأئمة " ، وضرب مثلاً بشيخ الشافعية في عصره الإمام أبو حامد الإسفرائيني الملقب "الشافعي الثالث" قائلاً: " ومعلوم شدة الشيخ على أصحاب الكلام حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري ، وعلق عنه أبو بكر الرازقاني وهو عندي ، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه اللمع والتبصرة حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ميزه وقال : " هو قول بعض أصحابنا وبه قالت الأشعرية ولم يعدهم من أصحاب الشافعي ، استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلاً عن أصول الدين " أ.هـ.

أولاً: أخذ كلام عالم من علماء مذهب معين شذبه عن بقية علماء مذهبه لا يعتبر قولاً لهم بل هو قول له فقط .
ثانياً: الكرجي عالم من علماء الشافعية أثنى على عقيدته الإمام السمعاني وهو أشعري العقيدة كما لا يخفى ، والنقل الذي ذكره الكاتب لا سند له بل هو كلام ذكره ابن القيم، وشيخه ابن تيمية ومعروف حطهم على الأشعرية ، وكلام الخصوم لا يؤخذ في بعضهم إلا بتثبت ولم يثبت ، فالكلام لا يصح عن الكرجي .
. وقد نُسب للكرجي قصيدة فيها شيء من التجسيم وهي لا تصح عنه لأسباب ثلاثة :

السبب الأول: . أن السمعاني الأشعري أثنى على القصيدة ولا يمكن أن يثني على التشبيه ، وفيها سب للأشعري ولا يمكن أن يثني السمعاني على ذلك بل فيه كلام لا يصدر من عالم .

الثاني : - أن الشاعر يتهم الأشعري بأنه مات مقتولاً وأن موته في الأحساء! وهذا باطل لأنه مات على فراشه مودة طبيعية في بيته، لا في الأحساء ، ولم يقتل بل مات مودة طبيعية وأهل السنة ييكون عليه رحمه الله و رضي عنه .

الثالث: . أما الأبيات قال السمعاني أنها تزيد على المائتين بينما القصيدة التي فيها التجسيم تزيد على المائتين والأربعين بيتاً ، وهذا معناه أن هناك دس واضح ، ويؤيد ذلك أن أبياتها غير متناسبة وخصوصاً ما فيه التجسيم. قال ابن السمعاني: [وله قصيدة بائية في السنة شرح فيها اعتقاده واعتقاد السلف ، تزيد على مئتي بيت ، قرأها عليه في داره بالكرج] فكل هذه الطوام تجعل المسلم ينفي عن الكرجي هذه الزيادات الباطلة لما فيها من الكذب ، بل لو قالها الكرجي لدل على أنه كاذب إذ كيف يقول أن الأشعري مات مقتولاً ، ومات بالأحساء وهما كذبتان واضحتان ، ولكن حاشه رحمه الله عن ذلك ، بل هذه الزيادات من أناس لا يخشون الله أتوا بها نصرة لباطلهم ، فالله يعامل من زادها عليه بعدله. ٢٧

٢. قولكم يا أخي: (وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه للجمع)

أقول: هو دليل آخر على أن الاسفراييني لم يقل ذلك لأن كون الإمام الشيرازي ليس بأشعري ولا مناصر للأشعرية غير صحيح وإليك البراهين على ذلك:

الأول: كان الإمام الشيرازي ممن وقع المحضر الذي كتبه القشيري أيام فتنه بغداد^{٢٨} المشهورة فيقول الشيرازي: ((الأمر على ما ذكر في هذا المحضر من حال الشيخ الإمام الأوحدي أبي نصر القشيري أكثر الله في أئمة الدين مثله من عقد المجالس وذكر الله بما يليق به من توحيده وصفاته ونفي التشبيه عنه ولم أسمع منه غير مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة وبه أدين الله عز وجل، وإياه أعتقد، وهو الذي أدركت أئمة أصحابنا عليه، واهتدى به خلق كثير من الجسمة، وصار كلهم على مذهب أهل الحق ولم يبق من مبتدعة إلا نفير يسير ..)) فهذا نص كلام الشيرازي رحمه الله تعالى فهل في أشعريته شك؟! فكيف تندعي أنه استنكف عن الأشعرية؟!^{٢٩}

الثاني: وقال الشيرازي رحمه الله تعالى في بعض كتبه: [فمن كان في الفروع على مذهب الشافعي وفي الأصول على اعتقاد الأشعري فهو معلم الطريق وهو على الحق المبين.....] فأما قول الجهلة نحن شافعية الفروع حنبلية الأصول، فلا يعتد به لأن الإمام أحمد رضي الله عنه لم يصنف كتاباً في الأصول (أي في العقائد)، ولم ينقل عنه في ذلك شيء إلا صبره على الضرب والحبس حين دعاه المعتزلة إلى الموافقة في القول بخلق القرآن فلم يوافق، ودعي إلى المناظرة فلم يناظر، والإقتداء بمن صنف في ذلك وتكلم فيه و قمع المبتدعة بالأدلة القاطعة والحجج الباهرة أولى وأحرى.^{٣٠}

تنبيه: لا يظن أهل الظنون أن الإمام الشيرازي يمنع أي تمذهب بغير الشافعية أو اعتقاد سني غير طريقة تقرير الأشعرية، وإنما هو يبين أن من كان على هذه الطريقة فهو على الحق، خلافاً لمن يبدعهم ممن لم يحفظ قدرهم، و يبين أن الأشعري صنف، وأصل، وفصل في العقيدة، ولم يحمل كغيره من العلماء فمذهبه أحق بالاتباع. وللعلم يا أخي فإن مما جاء عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال: إن الله قد قسم الأعمال كما قسم لأرزاق، فقد رزيت بما قسم الله لي. هكذا قال مالك لرجل ينصحه بالتعبد وترك العلم، ولا شك في صحة كلام الإمام مالك. رحمه الله تعالى. فإن الله قد فتح على أناس في العبادة وآخرين في العلم، والعلم أنواع: فمنه علم في الحديث والرجال، وعلم في الاعتقاد ودقائقه، وعلم في الفروع وغير ذلك. ولذا فلا ريب أن الله عظيم الفضل والمنة قد فتح على الأشعري، والإمام الماتريدي في العقيدة أكثر من غيرها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يعني ذلك أن غيرهم من أقرانهم، ومن سبقهم على جهل بالعقيدة، حاشاهم والله ولكن لم يتوسعوا في ذلك ولم يدونوا في العقيدة شيء مفصل واضح، أعني في كل مسائل الاعتقاد، إلا مرويات يسيرة في العقيدة ولكن ليس

^{٢٨} هذه الفتنة يسميها البعض فتنة الحنابلة والبعض فتنة القشيري والبعض فتنة بغداد فاخترت هذا للبعد عن التعصب.

^{٢٩} طبقات الشافعية للسبكي ٩٩/٣ وتبيين كذب المفتري ص ٣١٣

^{٣٠} الإشارة إلى مذهب أهل الحق ص ٢٨٣

كعلم مؤصل مفصل، والعمر ينقضي دون أن يدرك من العلم إلا اليسير فقسم الله هذه التركة بين رجال الأمة الناجية أهل السنة والجماعة .^{٣١}

مع التنبه إلى أن ترك الأخ الحوالي غفر الله له الأئمة الذين يعول على كلامهم ويرجع إليهم حقاً وصدقاً عند الشافعية ، كالحافظ البيهقي و الشيرازي صاحب المذهب ، و إمام الحرمين الجويني و الغزالي وأبي بكر الشاشي ، و الإمام النووي وابن عساكر ، والخطيب البغدادي ، والحافظ العراقي ، والحافظ ابن حجر وغيرهم كثير ، وكثير من المتأخرين أيضاً كالشيخ زكريا الأنصاري ، وابن حجر الهيتمي ، والرملي والخطيب الشربيني إلى يومنا هذا !! فيه مافيه من عدم الإنصاف و عدم الأمانة .

قال الكاتب : الخفية : معلوم أن واضع الطحاوية وشارحها كلاهما حنفيان ، وكان الإمام الطحاوي معاصراً للأشعري وكتب هذه العقيدة لبيان معتقد الإمام أبي حنيفة وأصحابه ، وهي مشابحة لما في الفقه الأكبر عنه وقد نقلوا عن الإمام أنه صرح بكفر من قال إن الله ليس على العرش أو توقف فيه ، وتلميذه أبو يوسف كفر بشراً المريسي ، ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كونه تعالى على العرش ومعلوم أيضاً أن أصولهم مستمدة من بشر المريسي .

الجواب: فيما قلت يا أخي هداك الله وختم لنا ولك بالخاتمة الطيبة عدة دعاوى :
اولاً : كلام ذكرته عن أبي حنيفة بفهمك لا بنصه وهو لا يفيدك في إثباتك لعقيدة الجهة التي تسميها العلو وذلك لمخالفة النص الموجود في شرح الفقه الأكبر لما تعتقده من كون الله في جهة وها أنا ذا أنقله بنصه :
قال الإمام أبو حنيفة في كتابه الوصية : نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه، واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتديره كالمخلوق، ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى؟ فهو منزّه عن ذلك علواً كبيراً . انتهى بتمامه من شرح الفقه الأكبر^{٣٢}
هذا هو الموجود يا أخي وهو لا يفيد في كون الله حل في جهة بل هو صريح في أن الله لا يتغير ولا يتبدل فقال الإمام :
فقبل خلق العرش أين كان الله؟!
فالعلو . بارك الله بكم . صفة من صفات الله، ليس معناها الحلول في جهة السماء كما تقول الكرامية ، ولا في الأرض كما تقول الجهمية . وسيأتي مزيد إيضاح وافٍ عن صفة العلو الثابتة لله والرد على المخالفين .

الدعوى الثانية : قولك ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كونه تعالى على العرش .

وهذا باطل فإن الأشاعرة لا ينكرون صفة العلو لله سبحانه وتعالى ولا ينكرون كون الله استوى على العرش كما أخبر لا كما يخطر في أوهام البشر . وإنما الذي ينكره كل أهل السنة والجماعة أن الله حال في جهة أو مكان ، و ينكرون تفسير الاستواء بالجلوس أو الاستقرار أو نحوها من النقائص التي لا تليق بالله تعالى ، هذا الذي ينكره الأشاعرة وسائر أهل

^{٣١} سيأتي إثبات كونهم من أهل السنة والجماعة والكلام عن التأويل والتفويض مع ذكر الأدلة إن شاء الله ليتجلى الأمر لطالب الحق .

^{٣٢} شرح الفقه الأكبر ص ١٢٦

السنة، وإليك النقول الصريحة عن أئمة أهل السنة من الأشاعرة من المتقدمين منهم والمتأخرين ليُعلم أن قول القائل فرق بين متقدمي الأشاعرة ومتأخرهم في العقيدة هو مغالطة متهورة:

النقول الصريحة عن علماء الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين في إثبات الاستواء و العلو: ١ - وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري (٣٢٤ هـ) رضي الله عنه ما نصه: "كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه" اه نقله الحافظ ابن عساكر نقلا عن القاضي أبي المعالي الجويني.^{٣٣}

٢- وقال القاضي أبي بكر بن الباقلاني: وأن الله تعالى مستو على العرش و مستول على جميع خلقه كما قال تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) بغير مماسة ولا كيفية ولا مجاورة وأنه في السماء إله وفي الأرض إله كما أخبر بذلك.^{٣٤}

٣. وقال اللغوي الزجاج أحد مشاهير اللغويين (٣١١ هـ) ما نصه: العلي هو فاعل في معنى فاعل، فالله تعالى عال على خلقه وهو عليٌّ عليهم بقدرته، ولا يجب أن يذهب بالعلو ارتفاع مكاني، إذ قد بينا أن ذلك لا يجوز في صفاته تقدست، ولا يجوز أن يكون على أن يتصور بذهن، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" أ.هـ.^{٣٥}

٤. قال الإمام ابن بطال المالكي أحد شراح البخاري (٤٤٩ هـ) ما نصه: "غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المجسمة في تعلقها بهذه الظواهر، وقد تقرر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه، فقد كان ولا مكان، وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف، ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه- أي تعالىه- مع تنزيهه عن المكان" اه.^{٣٦}

٥. وقال الشيخ ابن المنير المالكي (٦٩٥ هـ) ما نصه: "جميع الأحاديث في هذه الترجمة مطابقة لها إلا حديث ابن عباس فليس فيه إلا قوله "رب العرش" ومطابقته- والله أعلم- من جهة أنه نبه على بطلان قول من أثبت الجهة أخذا من قوله (ذِي الْمَعَارِجِ) (سورة المعارج/٣)، ففهم أن العلو الفوقي مضاف إلى الله تعالى، فبيّن المصنف- يعني البخاري- أن الجهة التي يصدق عليها أنها سماء والجهة التي يصدق عليها أنها عرش، كل منهما مخلوق مريبوب محدث، وقد كان الله قبل ذلك وغيره، فحدثت هذه الأمكنة، و قدمه يحيل وصفه بالتحيز فيها" اه، نقله عنه الحافظ ابن حجر و أقره عليه.^{٣٧}

٦. وقال الفقيه الإمام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦ هـ) في عقيدته ما نصه (٢٠): "وان استواءه ليس باستقرار ولا ملاصقة لأن الاستقرار والملاصقة صفة الأجسام المخلوقة، والرب عز وجل قديم أزلي، فدل على أنه كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو على ما عليه كان" ^{٣٨} اه.

٧. وقال الإمام أبو بكر بن فورك: "واعلم أنا إذا قلنا إن الله عز وجل فوق ما خلق لم يرجع به إلى فوقية المكان والارتفاع

^{٣٣} تبين كذب المفتري ص ١٥٠

^{٣٤} كتابه الإنصاف ص ٣٦

^{٣٥} [تفسير اسماء الله الحسنى] ص ٤٨

^{٣٦} فتح الباري ٤١٦/١٣.

^{٣٧} فتح الباري (١٣/٤١٨ - ٤١٩).

^{٣٨} أنظر عقيدة الشيرازي في مقدمة كتابه شرح اللمع (١/ ١٠١)

على الأمكنه بالمسافة والإشراف عليها بالمساسة لشيء منها اه^{٣٩}.

٨. قال ابن عجيبة في تفسير قوله تعالى ((رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)) استواء يليق به ، والعرش : جسم عظيم محيط بالأكوان وقال القشيري : ثم استوى على العرش ، أي : تَوَخَّدَ بجلال الكبرياء بوصف الملكوت ، وملوكنا إذا أرادوا التجلي والظهور للحشَم والرعية؛ برزوا لهم على سرير مُلكهم في إيوان مشاهدتهم . فأخبر الحق سبحانه وتعالى بما يُقَرَّبُ من فهم الخلق ، بما ألقى إليهم من هذه الكلمات ، بأنه استوى على العرش ، ومعناه : اتصافه بعز الصمدية وجلال الأحدية ، وانفراده بنعت الجبروت وجلاء الربوبية ، وتقدُّس الجبَّار عن الأقطار ، والمعبود عن الحدود . ١. هـ من تفسير ابن عجيبة.

١٠. وقال الإمام الرازي في تفسيره : قال تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } اعلم أن مذهب العلماء في هذه الآية وأمثالها على وجهين أحدهما : ترك التعرض إلى بيان المراد وثانيهما : التعرض إليه ،وصفة الاستواء مما لا يجب العلم بمعناها فمن ترك التعرض إليه لم يترك واجباً ، وأما من يتعرض إليه فقد يخطئ فيه فيعتقد خلاف ما هو عليه فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم ، والثاني يكاد أن يقع في أن يكون جاهلاً مركباً ... والمذهب الثاني : خطر ومن يذهب إليه فريقان أحدهما : من يقول المراد ظاهره وهو القيام والانتصاب أو الاستقرار المكاني وثانيهما : من يقول المراد الاستيلاء والأول جهل محض والثاني يجوز أن يكون جهلاً والأول مع كونه جهلاً هو بدعة وكاد يكون كفراً ، والثاني وإن كان جهلاً فليس بجهل يورث بدعة ، وهذا كما أن واحداً إذا اعتقد أن الله يرحم الكفار ولا يعاقب أحداً منهم يكون جهلاً وبدعة وكفراً ، وإذا اعتقد أنه يرحم زيداً الذي هو مستور الحال لا يكون بدعة ، غاية ما يكون أنه اعتقاد غير مطابق ، ومما قيل فيه : إن المراد منه استوى على ملكه ، والعرش يعبر به عن الملك ، يقال الملك قعد على سرير المملكة بالبلدة الفلانية وإن لم يدخلها. أ. هـ

وقال الامام الألويسي في تفسيره للآية في سورة يونس: وأنت تعلم أن المشهور من مذهب السلف في مثل ذلك تفويض المراد منه إلى الله تعالى فهم يقولون : استوى على العرش على الوجه الذي عناه سبحانه منزها عن الاستقرار والتمكن . ١ هـ

وقال الإمام الصاوي المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري: استوى استواء يليق به وهذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه إلى الله وهذا نظير مواقع للإمام مالك ... فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف التام في ملكه وهو المراد أ. هـ من تفسير آية الأعراف .

الفائدة من النقول السابقة :

١. أن الأشاعرة متقدمهم ومتأخرهم يشبّهون صفة الاستواء لله تعالى خلافاً لمن يزعم أنهم ينكرون صفة الاستواء والعلو.
 ٢. بعد إثبات صفة الاستواء يجزمون جزماً بالاتفاق بين أهل السنة والجماعة أن المراد منه ليس الجلوس أو الركوب على العرش، أو فوق العرش بمسافة، ونحوها من معاني الحلول في المخلوقات، والتحيز في الجهات .
 ٣. بعد نفيهم للمعنى الباطل الذي يتنزه الله عنه اختلفوا في: هل الأولى السكوت عن معنى الاستواء لتعدد المعاني في لغة العرب وعدم الدليل القاطع على تحديد أحدها، أو أنه يبين معناه على قولين وهي مسألة اجتهادية لأن الخلاف ليس في إثبات الاستواء أو نفيه وإنما الخلاف في بيان المعنى فقط .
 ٤. أن المنكر عليهم كالكرامية المجسمة والكاتب وغيرهم إنما ينكرون عليهم أنه عطّلوا المعنى!! وما هو المعنى الذي عطّلوه؟! هو اعتقاد أن الله في جهة أو جالس في العرش أو نحوها من المعاني الباطلة الذي يعتقد الأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة أنها لا تليق بالله!!
- وقد انقسم الناس في المراد بالعلو : فأجمعوا جميعاً على إثبات العلو المعنوي وهو علو القهر، والغلبة، والقدر، والمنزلة.
- ثم زاد آخرون معنى آخر عارضهم فيه جمهور المسلمين ألا وهو: العلو الحسي المكاني : وهو الجلوس والاستقرار والتمكن، سواء أسموه مكاناً عديمياً أم وجودياً! فالعبرة بالمعاني . فقال هؤلاء : إن من علو الله أن يكون في جهة . ثم اختلف أصحاب الجهة فيما بينهم : فقال أبو عبدالله بن كرام رأس الكرامية : أن الله مماس للعرش من الصفحة العليا . ومن الكرامية من قال : إنه على بعض أجزاء العرش . وقال بعضهم : امتلاء العرش به والمتأخرون منهم قالوا : أنه بجهة فوق محاذ للعرش .^{٤٠} ثم اختلفوا فقالت العابدية : إن بينه وبين العرش من البعد مسافة ما لو قدر مشغول بالجواهر لاتصلت به . وقال ابن الهيصم : إن بينه وبين العرش بعد لا يتناهى وأنه مباين و نفى التحيز والمحاذاة و أثبت الفوقية الحسية و المباينة .
- ثم لهم اختلافات في النهاية و الحد لله تعالى فمنهم من أثبتتها من الجهات الست ، ومنهم من أثبتتها من جهة تحت ، ومنهم من أنكر ذلك .^{٤١} وأثبت ابن الهيصم الكرامي أنه في جهة فوق في الخلاء فأثبت ما أثبتته الفلاسفة وهو نفس ما قرره ابن تيمية قبل توبته .^{٤٢}
- وهذا مضاد لعقيدة أهل السنة . قال الإمام أحمد رضي الله عنه ورحمه : ولا يجوز أن يقال أنه استوى بمماساة ولا بملاقاة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .^{٤٣}

^{٤٠} الملل والنحل ١/١٠٩^{٤١} الملل والنحل ١/١١١^{٤٢} نفس المصدر ١/١١٢^{٤٣} اعتقاد الإمام أحمد ص ٤١

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي (٣٨٨ هـ) وهو من اصحاب الحديث صاحب "معالم السنن" ما نصه " وليس معنى قول المسلمين إن الله على العرش هو أنه تعالى مماس له أو متمكن فيه، أو متحيز في جهة من جهاته، لكنه بائن من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) هـ. [أعلام الحديث: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} ٤٤؛

وقد تمسكوا بإثبات الجهة المكانية لله بأدلة أجاب عنها أهل السنة والجماعة واستجد شبهاتهم والرد عليها في ثنايا البحث إن شاء الله .

الدعوى الثالثة : قال الكاتب: (ومعلوم أيضاً أن أصولهم مستمدة من بشر المريسي) . !!!!

وهذا باطل : وتجاسر من الكاتب هداه الله ، فليت خصمه واحد ولكنهم جمهور علماء أهل السنة . وأما المريسي فذكر في ترجمته أنه جرد القول بخلق القرآن ، ودعا إليه ، حتى كان عين الجهمية في عصره و عالمهم ، فمقتة أهل العلم ، وكفره عدة ، ولم يدرك جهم بن صفوان ، بل تلقف مقالاته من أتباعه . فهل تجعل هذا قدوة للأشاعرة رحمهم الله تعالى ؟. والأشاعرة منذ ظهوروا وهم شوكة في حلق المعتزلة فضل عن الجهمية!!.

قال الكاتب: الحنابلة : موقف الحنابلة من الأشاعرة أشهر من أن يذكر فمنذ بدع الإمام أحمد " ابن كلاب " وأمر بهجره - وهو المؤسس الحقيقي للمذهب الأشعري - لم يزل الحنابلة معهم في معركة طويلة ، وحتى في أيام دولة نظام الملك - التي استطالوا فيها - وبعدها كان الحنابلة يخرجون من بغداد كل واعظ يخلط قصصه بشيء من مذهب الأشاعرة ، ولم يكن ابن القشيري إلا واحداً ممن تعرض لذلك ، وبسبب انتشار مذهبهم وإجماع علماء الدولة سيما الحنابلة على محاربه أصدر الخليفة القادر منشور " الاعتقاد القادري " أوضح فيه العقيدة الواجب على الأمة اعتقادها سنة ٤٣٣ هـ.

الجواب على هذه الشبهة : وفي كلامكم أخي رعاك الله عدة مسائل :

الأولى : قول الكاتب [فمنذ بدع الإمام أحمد " ابن كلاب " وأمر بهجره.....]

أقول للأخ الكاتب . غفر الله له . أن الإمام أحمد رضي الله عنه بدع الإمام ابن كلاب ، والإمام الكرايسي ، والإمام داود الظاهري . وليس المجتهد حجة على المجتهد الآخر . فالعبرة بالدليل والإمام أحمد رضي الله عنه قد يصيب ، وقد يخطئ فليس بمعصوم . والمسألة التي هجر فيها الإمام أحمد إخوانه من أهل السنة ، هي مسألة اللفظ وهي : هل لفظي بالقرآن مخلوق؟ فقال الكرايسي: نعم لأن أفعال العباد مخلوقة قال تعالى (والله خلقكم وما تعملون)). وألف الإمام البخاري كتاباً في ذلك أيد ما كان عليه ابن كلاب ٤٥ . وكان ابن كلاب من أئمة السلف كما قال الحافظ ابن

٤٥ جاء في لسان الميزان : عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصري ذكره العبادي في الفقهاء الشافعية مختصراً فقال عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ونقل الحاكم في تاريخه عن بن خزيمة أنه كان يعيب مذهب الكلابية ويذكر عن أحمد بن حنبل أنه كان أشد الناس على عبد الله بن سعيد وأصحابه ويقال أنه قيل له بن كلاب لأنه كان يخطف الذي ينظره وهو بضم الكاف تشديد اللام وقول الضياء أنه كان أخا يحيى بن سعيد القطان غلط وإنما هو من توافق الإسمين والنسبة وقول بن النديم أنه من الحشوية: يريد من يكون على طريق

حجر في لسان الميزان . وكان الإمام مسلم على ذلك أيضاً . وتأمل فيما جرى من المخالفين للبخاري فيما ذهب إليه والمخالفين للكرائيسي وابن كلاب وداود الظاهري . و رحم الله أئمة الإسلام فقد وصل الحال إلى تبديع الإمام أحمد لقرنه الكرائيسي^{٤٦} وقول الكرائيسي: ماذا نفعل لهذا الصبي؟!^{٤٧}

و وصل الحال إلى نهي أبي زرعة عن الأخذ عن البخاري! . ومفارقة الإمام مسلم^{٤٨} لهم ومشايعته للبخاري . والحق أن هناك مسائل من فروع العقيدة ليست بقطعية ، و لذا فمن الطبيعي جداً أن يختلف فيها العلماء . ثم إن كلام الأقران يطوى ولا يروى كما قرر ذلك جمع من أهل العلم . ولولا أن المقام مقام إيضاح ما تكلمنا بهذا . إذن فتعصب السادة الحنابلة على الكرائيسي وابن كلاب لا يعني أن ابن كلاب ليس من أهل السنة هداك الله . قال الذهبي : ولا ريب أن ما ابتدعه الكرائيسي وحرره في مسألة اللفظ وأنه مخلوق هو حق ، لكن أباه الإمام أحمد لئلا يتدفع به إلى القول بخلق القرآن . أ . هـ .^{٤٩}

إذن هو على رأي الإمام أحمد من باب سد الذرائع فقط .

قال الذهبي: والرجل . ابن كلاب . أقرب المتكلمين إلى السنة بل هو في مناظريهم .^{٥٠} ويحزني تحامل الموجان في رده على الدكتور عمر حيث قال معقّباً على كلام الذهبي : واضح أنه ليس من أهل السنة بل أقرب إليهم يعني مقارنة بالمعتزلة والجهمية !! أ . هـ^{٥١} فأتى من رأسه بأن كلام الذهبي معناه أقرب مقارنة بالجهمية والمعتزلة ، فلا أدري ماذا يصنع ببقية كلام الذهبي المفسر لما اشتبه على الموجان وهو قول الذهبي (بل هو في مناظريهم)؟؟ . وقال ابن أبي زيد القيرواني : وما علمنا من نسب ابن كلاب إلى البدعة ، والذي بلغنا أنه يتقلد السنة ويتولى الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع أ . هـ^{٥٢} وقال الحافظ ابن حجر : و البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل ذلك الفن كأبي عبيدة [إلى أن قال] وأما المسائل الكلامية فأكثرها من الكرائيسي وابن كلاب ونحوهما . انتهى كلامه رحمه الله^{٥٣} .
وأتعجب من الموجان عندما أعيتته هذه النقول عن أئمة الدين في بيان فضل الإمام ابن كلاب ، وكون البخاري على عقيدته قال : ماهذا القول السقيم ؟!

هذا هو القول السقيم عند الموجان أن البخاري توافق مع ابن كلاب في المعتقد ولا أدري ما ذا يغضبه ؟!
أ كل هذا نصرة للشيخ سفر؟! فوالله للإمام ابن كلاب والأشعري والكرائيسي أولى بذلك .

السلف في ترك التأويل للآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات و يقال لهم المفوضة وعلى طريقته مشى الأشعري في كتاب الإبانة . أ . هـ

^{٤٦} أنظر ترجمة الكرائيسي في كتاب الإنتقاء في مناقب الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر ١٠٦ .

^{٤٧} أنظر فتح الباري لابن حجر (٤٩٢/١٣) وسير اعلام النبلاء (٢٨٨/١١)

^{٤٨} السير ٥٧٢/١٢

^{٤٩} السير ٥١٠ / ١٢ و ٨٢ / ١١

^{٥٠} السير ١٧٥/١١

^{٥١} الرد الشامل ٢٩

^{٥٢} تبين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر ص ٥٠

^{٥٣} فتح الباري ٢٩٣ / ١

ثانياً : قولك : [لم يزل الحنابلة معهم في معركة طويلة ، وحتى في أيام دولة نظام الملك - التي استطالوا فيها - وبعدها كان الحنابلة يخرجون من بغداد كل واعظ يخلط قصصه بشيء من مذهب الأشاعرة]

أخي غفر الله لك : هذا من بعض علماء الحنابلة تعصب فقط ولا يعني أنهم أصابوا فيما فعلوه ، ولا يدل على أن السادة الشافعية أو الأشعرية مبتدعة أو ضلال . غاية ما في الأمر أنه تعصب مذهبي زال مع الأيام والله الحمد . وأنت تشاهده في واقعنا اليوم من تعصب الجماعات على بعضها البعض ، وظلم الأقران لبعضهم . وإليك هذه الحكاية حتى يتبين لذي بصيرة أن التعصب ليس بميزان للحكم بين المختلفين :

حكاية الحنابلة رحمهم الله تعالى مع الإمام الطبري رحمه الله

قال الحموي في ترجمة الإمام المفسر المجتهد ابن جرير الطبري : فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضي . وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة وعن حديث الجلوس على العرش . فقال أبو جعفر : أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه . فقالوا له : فقد ذكره العلماء في الإختلاف ، فقال : ما رأيته روي عنه ، ولا رأيته له أصحاباً يعول عليهم . وأما حديث الجلوس على العرش فمحال^{٥٤} ثم أنشد :

سبحان من ليس له أنيس * ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه و ثبوا ورموه بمحابرهم ، وقيل كانت ألوفاً فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم .^{٥٥}

أليس ابن جرير علماً من أعلام الأمة؟! أم انه مبتدع لأن الحنابلة قاموا عليه؟؟! يا أخي العزيز ماهو إلا التعصب المذهبي فلا تنفخ في ناره فهو نتيجة طبيعية للجهل أو قلة الورع.^{٥٦}

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام مسلم:

كان مسلم بن الحجاج يظهر القول باللفظ ولا يكتمه، فلما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم الاختلاف إليه، فلما وقع بين البخاري والذهلي ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر - البخاري - وسافر من نيسابور، قال: فقطعه أكثر الناس غير مسلم فبلغ محمد بن يحيى فقال يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس ثم بعث إليه بما كتب عنه على ظهر حمال،

قال: وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه" انتهى.^{٥٧}

^{٥٤} جاء في كتاب السنة لأبي بكر ابن أبي عاصم إذ قال: وقال أبو بكر: حدثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد [عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً] قال: [يقعده معه على العرش] ليث هذا وهو ابن أبي سليم كان قد أختلط فهو ضعيف فالأثر غير ثابت عن مجاهد فتنبه لذلك.

^{٥٥} في معجم الأدباء ج ٩ جزء ١٨ ص ٥٧

^{٥٦} لكن تعصب أهل زماننا ليس تعصبا مذهبياً فقد جفوا المذاهب بل هو تعصب إقليمي أو حزبي .

فإذا تبين لك أن ابن كلاب رأس من رؤوس السلف بل هو في مناظريهم علمت خطأ وظلم من يتحمل عليه وعلى من استمد منه معتقد أهل السنة كالأشعري والبخاري .

قال الكاتب: هذا وليس ذم الأشاعرة وتبديعهم خاصة بأئمة المذاهب المعتبرين ، بل هو منقول أيضاً عن أئمة السلوك الذين كانوا أقرب إلى السنة واتباع السلف ، فقد نقل شيخ الإسلام في الاستقامة كثيراً من أقوالهم في ذلك^{٥٧}، وأنهم يعتبرون موافقة عقيدة الأشعرية منافياً لسلوك طريق الولاية والاستقامة حتى أن عبد القادر الجيلاني لما سئل : " هل كان الله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ قال : ما كان ولا يكون "

الجواب : أخي الحبيب هداك الله :

لا يوجد منافاة بين كلام الإمام الجيلاني وبين اعتقاد أهل السنة والجماعة ، سواء كانوا على مسلك الأشاعرة أو الإمام أحمد. فالثناء على عقيدة الإمام أحمد هو ثناء على عقيدة أهل الحق جميعاً ، وليس في كلامه ذم للأشاعرة ولا لغيرهم، وإنما هي استنتاجات مبنية عند الكاتب على خلفيات مسبقة يلقي فيها الكلام على السنة العلماء بحسب وهمه هداه الله.

دعوى تراجع كبار الأشاعرة عن مذهب الأشاعرة

قال الكاتب: وهائنا حقيقة كبرى أثبتها علماء الأشعرية الكبار بأنفسهم – كالجويني وابن أبي المعالي والرازي والغزالي وغيرهم – وهي حقيقة إعلان حيرتهم وتوبتهم ورجوعهم إلى مذهب السلف ، وكتب الأشعرية المتعصبة مثل طبقات الشافعية أوردت ذلك في تراجمهم أو بعضه فما دلالة ذلك ؟ إذا كانوا من أصلهم على عقيدة أهل السنة والجماعة فعن أي شيء رجعوا ؟ ولماذا رجعوا ؟ و إلى أي عقيدة رجعوا ؟

الجواب : أولاً : ليفهم طالب العلم مذهب الأشاعرة غفر الله لك فأقول وبالله التوفيق :

هؤلاء العلماء من أهل السنة والجماعة من الأشاعرة كالإمام الرازي ، والجويني ، والغزالي وغيرهم في آخر حياتهم لم يرجعوا عن معتقد الأشاعرة كما يقال ، وإنما أخذوا في آخر حياتهم بأحد المسلكين الجائزين عند الأشاعرة ألا وهو التفويض ، فقدّموا التفويض على التأويل ، وهم يدندنون حوله في كثير من كتبهم ، وليست المسألة أن هذا لم يحصل لهم إلا في الرمي الأخير كما يتوهم كثير من الكتبة ، ولا شك أن جهودهم تبيض وجوههم نرجوا ذلك لهم عند الله ، وهم لم ييطلوها ولم يقل أحد منهم أن أهل التأويل ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة أو أنهم مبتدعة ضلال ، وإنما حالهم حال الإنسان الحريص على الأولى ؛ وإن ترك أمراً غير ه مع أنه جائز أو مستحب ، فيتركه إلى أمر أقل استحباباً ، أو فيه خروج من الخلاف ، بل قد يجتهد فيراه محرماً ، ويراه الآخر جائزاً ، هذا كل ما في الأمر .

وتنبه إلى أنهم لم يخرجوا القائلين بالتأويل عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، ولا قالوا أنهم من الفرق الهالكة فهنا مرتبط الفرس .

قال الإمام اللقاني في جوهره التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيه أوله أو فوض ورم تنزيها .

^{٥٧} سير أعلام النبلاء " (١٢ / ٥٧٢)

^{٥٨} يظهر بجلاء التقليد التام من الأخ الحوالي لابن تيمية وكأنه معصوم .

إذن لديهم مسلكان صحيحان بأيهما أخذ العبد فهو على السنة .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزّه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققهم وهو أسلم.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تُتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم" أ.هـ.^{٥٩}

ثانياً : أين وجدت أنهم جعلوا ما رجعوا عنه في آخر حياتهم (ضلال) (وصاحبه ليس من أهل السنة والجماعة)؟! فلم يقل ذلك أحد منهم لا الإمام الأشعري ، ولا الإمام الجويني ، ولا الرازي ، ولا غيرهم .^{٦٠}

ثالثاً : قرأنا كلاماً للصحب الكرام رضي الله عنهم يتأسفون فيه على أنفسهم، فيقول قائلهم : ليت أُمي لم تلدني ليتني كنت شجرة تعضد!! ، ونحو ذلك مما يحصل لأهل التقوى ، فهل نقول أنهم يتأسفون على معاص أمضوا العمر فيها؟! ألا وإن بعض الرافضة قد قالوا ذلك ، فسلطوا ألسنتهم على الصحب الكرام ، كما سلط غيرهم لسانه على العلماء الكرام. فنسأل الله أن يحفظنا من مضلات الفتن.

الفرق بين معنى الفطرة عند الكاتب و عند العلماء

قال الكاتب : أما عوام المسلمين فالأصل فيهم أنهم على عقيدة السلف ؛ لأنها الفطرة التي يولد عليها الإنسان ، وينشأ عليها المسلم ، بلا تلقين ولا تعليم — من حيث الأصل — فكل من لم يلقنه المبتدعة بدعتهم ويدرّسوه كتبهم ، فليس من حق أي فرقة أن تدعيه إلا أهل السنة والجماعة .

ومن الأدلة على ذلك الإنسان الذي يدخل في الإسلام حديثاً ، فهل تستطيع أي فرقة أن تقول أنه معتزلي أو أشعري ؟ أما نحن فبمجرد إسلامه يصبح واحداً منا .

الجواب : نبحت أولاً في معنى الفطرة عند العلماء هل هي عقيدتكم بوضعها الراهن كما تقول يا أخي الكريم؟ أم لا ؟ جاء في بعض التفاسير مايلي : قال البغوي في تفسيره الفطرة : هي الدين وهو الإسلام ، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين هم الذين فطروهم الله على الإسلام { لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } فمن حمل الفطرة على الدين قال : معناه . لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله ، قال مجاهد وإبراهيم : معنى الآية ألزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ، { ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } ، المستقيم ، { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } ، وقيل : لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً .

^{٥٩} "شرح صحيح مسلم" (١٩/٣):

^{٦٠} دقق في الكلام لم يقل أحد منهم أنه ضلالة ولم يقل أنه مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة .

٢. قال الثعالبي: والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخَلْقَةُ والهِئَةُ التي في نفس الطفل التي هي مُعَدَّةٌ مُهَيَّئَةٌ لِأَنْ يَمَيَّزَ بها مصنوعات الله ، ويستدل بها على ربِّه ، ويعرف شرائعه؛ ويؤمن به ، فكأنه تعالى ، قال : أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف ، وهو فطرة الله الذي على الإعداد له . فُطِرَ البشر؛ لكن تعرضهم العوارض؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ . . . » الحديث ، ثم يقول : { فِطَرْتُ الله { الآية ، إلى { القيم { فذكر الأبوين إنما هما مثال للعوارض التي هي كثيرة . وقال البخاري : فِطْرَةُ الله : هي الإسلام ، انتهى . تفسير الثعالبي^{٦١}

إذن دار تفسيرها في أقوى الأقوال على الأقوال لتالية :

١. أنها بمعنى الإسلام فلا يبدل التوحيد بالشرك ، قال البخاري : فِطْرَةُ الله : هي الإسلام . بناء على هذه الأقوال فكلامك يا أخي باطل فإن الأشعري والماتريدي وأصحاب الحديث والخوارج والمعتزلة كلهم مسلمون . إذن فالفطرة هي الإسلام المضاد للشرك فيدخل فيه جميع أهل القلبة .

وهذا الكلام صحيح نقلاً وعقلاً قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))

إذن ليس في المسألة مذهب حنبلي ، ولا أشعري ، ولا معتزلي ، وإنما المسألة مسألة إسلام وضده الكفر ، وهذا صريح في الحديث ، وتفسير ابن عباس ، والبخاري وغيرهما بكونها الإسلام وانتفاء الشرك .

٢. أنها بمعنى الخَلْقَةُ والهِئَةُ التي في نفس الطفل التي هي مُعَدَّةٌ مُهَيَّئَةٌ لِأَنْ يَمَيَّزَ بها مصنوعات الله ، ويستدل بها على ربِّه ، ويعرف شرائعه؛ ويؤمن به .

وعلى هذا القول فالإنسان مهيء لما يلقي إليه ، فإن ألقى إليه الرض صار رافضياً ، أو النصب صار ناصبياً أو التجسيم صار منهم ، أو النصرانية صار منهم أو الإسلام صار منهم وهكذا .

ويدل له قوله تعالى ((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً))^{٦٢}

^{٦١} الفطرة آية ٣٢ من سورة الروم

^{٦٢} جاء في طرح التثريب شرح التقریب : باب أولاد المشركين اختلف في المراد بالفطرة هنا على أقوال:

أحدها (أن المراد الخلقة فإن الفطر بمعنى الخلق ، والمراد الخلقة المعروفة الأولى المخالفة لخلق البهائم أي على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة ؛ ذكره ابن عبد البر عن جماعة من أهل الفقه والنظر قال : وأنكروا أن يفرط المولود على كفر أو إيمان ، وإنما يعتقد ذلك بعد البلوغ إذا ميز . ولو فطر في أول أمره على شيء ما انتقل عنه وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون ، ومحال أن يعقل الطفل حال ولادته كفراً أو إيماناً ، والله تعالى يقول { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً } فمن لا يعلم شيئاً استحال منه الكفر والإيمان قال ابن عبد البر : هذا القول أصح ما قيل في ذلك .

القول الثاني : أن المراد هنا الإسلام حكاه ابن عبد البر عن أبي هريرة ، والزهرى ، وغيرهما .

(القول الثالث) أن المراد البداءة التي ابتدأهم عليها أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة ، والموت ، والشقاء ، والسعادة قال محمد بن نصر المروزي .

(القول الرابع) أن معناه أن الله تعالى قد فطرهم على الإنكار ، والمعرفة ، ..

٣. لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل ، فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً . قال محمد بن الحسين أن الفضل حدثهم وأخبرني عصمة بن عصام قال ثنا حنبل وأخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم سمعوا أبا عبدالله (أحمد بن حنبل) في هذه المسألة قال : الفطرة التي فطر الله عز وجل العباد عليها من الشقاء والسعادة . إسناده صحيح^{٦٣}
إذن فالفطرة هي القدر الأزلي الذي قدره الله للعبد من شقاء، أو سعادة .

ثانياً : قول الكاتب: ومن الأدلة على ذلك الإنسان الذي يدخل في الإسلام حديثاً ، فهل تستطيع أي فرقة أن تقول أنه معتزلي أو أشعري ؟ أما نحن فبمجرد إسلامه يصبح واحداً منا .

الجواب: لا يا أخي و إنما بمجرد إسلامه يصير مسلماً ، فكل فرقة يسلم على يديها فستعلمه ما لديها ، فإن قصدت أنه منكم قبل أن تعلموه أن الله محدود، وله جهة عدمية يحل فيها ، وأن له كلاماً قديم النوع حادث الأفراد يحدث في ذاته شيء بعد شيء ، وقياس الغائب سبحانه وتعالى على الشاهد المخلوق ، وأن كل كمال للمخلوق فالله أولى به^{٦٤} ، ونحوها من الأخطاء الجسيمة ، كقدم العالم النوعي ، فأنا أخالفك في هذا ، إلا في حالة واحدة وهي : التلقين لهذه البدع ، فحينها فقط يصبح واحداً منكم! هذا شيء .

الشيء الثاني : هناك فرق بين كون المسلم عامياً أشعرياً، وكونه عالماً أشعرياً. ولمزيد إيضاح فإن هناك ثلاثة أشياء :
الشيء الأول : الأسماء فليست هي الهدف ولا المقصود ، سواء كان أهل الحديث ، أو أهل السنة والجماعة ، أو الأشعرية ، أو الماتردية أو غيرها من الأسماء ، فإنما هي مجرد دلائل و شعارات تدل على حملة الحق ، ولا يعني أن كل من تسمى بها على الحق فعلاً ، إلا بمراعاة الشق الآخر في المسألة ألا وهو المعنى .
الشيء الثاني : مراعاة المعاني : فالمعنى هو إثبات ما يليق بالله مع تنزيهه عن مشابهة المخلوق على أي مشابهة كانت أو أي اشتراك كان إلا مجرد الألفاظ .

فاسم الأشاعرة ، والماتردية ، وأهل السنة ، وأصحاب الحديث دال على معنى التنزيه والاعتقاد الصحيح ، فأما كون أي فرقة كالكرامية ، أو المعتزلة ، أو غيرهم يدعون أنهم أهل السنة والجماعة ، فلا يغير هذا الادعاء من حقيقتهم شيئاً من حيث حقيقة المعتقد .

الشيء الثالث : التفريق بين العالم الأشعري والعامي الأشعري ، وكذا بين العالم بالحديث وبين العامي من أتباع أصحاب الحديث ، فإننا نعلم جميعاً أن قول الرجل العامي : أنا من جماعة أصحاب الحديث لا يعني أنه محدث عالم بعلوم الحديث ، وكون العامي على عقيدة السادة الأشاعرة لا يعني أنه عالم بعلم العقائد و رد الشبهات ، وإلجام خصوم الحق ،

(القول الخامس) أن معناه ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا

(القول السادس) أن المراد بالفطرة ما يقلب الله قلوب الخلق إليه بما يريد فقد يكفر العبد ثم يؤمن .

(القول السابع) أن المراد بالفطرة ملة أبيه أي دينه بمعنى أن له حكمه حكاه القاضي عياض . أ . هـ

^{٦٣} كتاب السنة للخلال أبي بكر .

^{٦٤} هذه القاعدة باطلة لأن من كمال المخلوق أن يكون له ولد ومنزل ومركب ونحوه وكل هذا لا يليق بالله . والقاعدة عند أهل السنة من الأشعرية وغيرهم : أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه فيجب إثباته لله تعالى . أ . هـ فانظر أخي إلى دقة التعبير في تععيد العقائد .

ولا غيرها من العلوم الشرعية. إذن: فلا وجه لقولك يا أخي أن العامي لا يكون أشعرياً، فإن عانيت أنه لا يكون علماً بتفاصيل الاعتقاد والرود ونحوها فصحيح وهذا شأن العوام، وأما إن قصدت أنه على غير عقيدتهم في الإثبات مع التنزيه ودفع التشبيه فغير مسلم، والأمر كما نشاهده أن العامي يتأثر بعلماء بلده .

وأما طرق التفصيل والحجاج والبيان فليست إلا للعلماء، حتى على مستوى فروع الدين، لن تجد عامياً يعرف تفاصيل أحكام الحج، والزكاة، والصيام، وغيرها من العبادات، وإلا لما كان هناك فضل لعالم على جاهل . فتبين مما سبق أنك أخطأت يا أخي الكريم في بيان معنى الفطرة، و في استجرار وإنزال النصوص عليكم بوضعكم الراهن، و في عدم التفريق بين مقام العلماء والعامية . وفقنا الله وإياك لهداه .

وقد وقع الموجان فيما وقع فيه الحوالي وتخطب تخطباً شديداً، فنقل كلام الإمام القرطبي الأشعري في رده على متكلمي المعتزلة، وتلمهى عن كون الحافظ ابن حجر والقرطبي أشعريين . فقال الموجان معللاً طول النقل الذي نقله عن الأشعريين القرطبي وابن حجر :

[الأول : فيه فوائد من الفوائد ولا سيما بيان مذهب الأشاعرة في وجوب النظر والرد عليه . أ. هـ ٦٥

وكلامه باطل : فإن رد السمعاني والقرطبي كان على من يزعم أن دعوة الرسل ما كانت إلا لبيان الفروع ، وعلى من يقول: أن العقل هو الداعي إلى الله لا الرسول ، هذا هو محل النزاع الذي تدعي أنك تحرره فأغفلته ولم تتصوره أصلاً ، ولذا قال السمعاني : ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلام إلا بطريقه مع قطع النظر عن السمعيات. انتهى ٦٦

إذن ما ينكره السمعاني والقرطبي المستشهد بكلام السمعاني إنما هو أن يكون العقل هو مصدر التلقي دون الشرع (السمعيات) ، وهو معتقد الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة قال عبدالسلام اللقاني في تحفة المريد شرح جوهر التوحيد : لا يجب على المكلف معرفة ما قد وجب لله عقلاً إلا بالشرع إذ قبله لا حكم أصلاً لا أصلياً ولا فرعياً كما هو المنقول عن الأشاعرة وجمع من غيرهم. أ. هـ ٦٧ ويأتي مزيد بيان لعقيدة الأشاعرة في ذلك عند الكلام على مصدر التلقي ، وسبق شيء من ذلك . وما نقل هنا يؤيد مذهب الأشاعرة وليس قول غير قولهم ، لكن الوهم أتاك من تصورك أن كلمة المتكلمين تخص الأشاعرة إذا أوردتها علماء الأشاعرة ، والحق أن مرادهم المعتزلة ونحوهم.

بل كان من ضمن ما نقله الموجان كلام صلاح الدين العلائي الأشعري حيث قال : يمكن أن يفصل فيقال : من ليس له أهلية لفهم شيء من الأدلة أصلاً وحصل له اليقين التام بالمطلوب إما بنشأته على ذلك أو بنور يقذفه الله في قلبه فإنه يكتفى منه بذلك، ومن فيه أهلية لفهم الأدلة لم يكتف منه إلا بالإيمان عن دليل. أ. هـ ٦٨ فعجبي للشيخ الموجان غفر الله له كيف ينقل ثم لا يعتبر ولا يدقق . فكلام الحافظ العلائي هو عين معتقد الأشعرية المعتمد. وانظر إلى ما في الحاشية بعاليه في معنى الفطرة ومنه أقوال أصحاب الحديث لتعلم إلى أين بلغ بكم التعصب غفر الله لنا جميعاً.

٦٥ الرد الشامل ١٢٦

٦٦ الرد الشامل ١٢٥

٦٧ تحفة المريد مع حاشية ابن الأمير ص ٦٠

٦٨ الرد الشامل ١٢٥ . ١٢٦

قال الكاتب: (وإن شئت المثل على عقيدة العوام فاسأل الملايين من المسلمين شرقاً وغرباً هل فيهم من يعتقد أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته كما تقول الأشاعرة).

الجواب: وليس فيهم من يعتقد الجهة العدمية ، ولا القدم النوعي ولا نحوها من الطوام . وقول الأشاعرة: أن الله لا داخل المخلوقات ولا يوصف بأنه خارجها ولا شرقها ولا غربها فمعناه أن الله لا يحل في مخلوق سواء أسميته "عدمي" أم مخلوق وجودي . وليس هذا من رفع النقيضين كما تتوهمون ، بل هو من قبيل الملكة وعدمها : أي أن الله لا يصح وصفه بأنه في شرق ولا غرب ولا نحو ما ذكرت ولا يعني ذلك أنه غير موجود لأن الأشياء في الوجود على قسمين : القسم الأول: وجود الخالق سبحانه وتعالى : وهو وجود نؤمن به بما يليق بجلاله من غير حلول في مخلوقاته ، ولا مزاحمة بين وجودها ووجوده ، فلا تتخيل أنه في مكان ومخلوقاته في مكان آخر ، لأن الله موجود قبل خلق المكان وقبل كل مخلوق .

فإن قلت كيف يكون هذا الوجود !!؟ فأقول لك: بلا كيف وكيف عنه مرفوع، إنما وجوده كسائر صفاته نؤمن به ولا ندخل فيه متوهمين بآرائنا.

القسم الثاني: وجود المخلوقات : وهو وجود على ما يليق بها من نقص ، وقصور ، وافتقار إلى بعضها ، وافتقار جميعها إلى موجدتها عز وجل.

مثال على الملكة وعدمها : نحن نؤمن بأن الله يستحيل أن يوصف بأنه متزوج سبحانه وتعالى عن ذلك ولا يعني أيضاً أن العكس هو الحاصل أي كونه أعزباً فلا يوصف بالعزوبة ولا بالزواج ، وليس في هذا بعد ولا غرابة بل هو الحق قطعاً لأن ذلك أصلاً لا يجوز أن يوصف به .

وكذا قل في وجوده ، فنحن نؤمن به من غير حلول في مخلوقاته سواء كان حلول في مخلوق اسمه الجهة أو غيرها من المخلوقات . وأما وهم الفضاء الذي فوق العرش وكونه فضاء غير مخلوق ، فهذا مكابرة للحقائق ، لأن العدم يعني لا شيء . فقولكم: أن الله حل في الفضاء أو الجهة العدمية بدعة أتت من الكرامية والفلاسفة فواليتهم وعاديتهم عليها . وليس في الكون إلا الخالق وهو الله وحده بأسماءه وصفاته ، وكل ماسواه مخلوق . فمن أين أتيتم بفضاء غير مخلوق !!؟ فالواجب أن تثبت لله صفة العلو وهي علو معنوي معناه علو ذاته وصفاته قدراً و سلطة كما أخبر سبحانه لا كما تتخيل يا أخي من حلوله في جهة عدمية .!!!!!!

الاستدلال بفهم العوام

قال الكاتب: أم أنهم كلهم مفطورون على أنه تعالى فوق المخلوقات ، وهذه الفطرة تظل ثابتة في قلوبهم حتى وإن وجدوا من يلقيهم في أذهانهم تلك المقولة الموروثة عن فلاسفة اليونان.

الجواب : بأجوبة ثلاث :

الأول : أن كلامك صحيح في كون الله فوق مخلوقاته ، لكنها عند أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم فوقية معنوية هي فوقية القدر والقهر والسلطة ، وعندكم زيادة كونها حسية مكانية وهذا هو نوع من الحلول ، وهو اعتقاد بدعي ننكره عليكم سراً وجهاراً.

الثاني: أن العلم لشرعي لا يؤخذ عن العامة في أمور الآداب ونحوها فضلاً عن علم العقيدة، فإذا كان مستندك في إثبات فلسفة الجهة العدمية هو كلام العامة فهذا باطل يا أخي الكريم.

الثالث: أن العامة تبع لعلماءهم وخطباءهم، فإن لقنوهم البدعة تلقنوا. وأجزم جزماً يا أخي الكريم أن العامة لا يدرون أن في الكون أناس يهرفون بوجود الله في مكان معدوم .

والخلاء العدمي هو أمر قرره الفلاسفة فشغف به أتباعهم في المعنى وإن شنعوا على التسمية.

عقيدة الجهة

يقول الأخ الحوالي في شرحه للطحاوية : ((والمقصود أنه إذا أريد بالجهة أمر وجودي، أو جهة من الجهات الموجودة، ونحن لا نثبتها لك ولا يصح ذلك، فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أعظم من كل هذه الموجودات، ونحن لا نثبتها له

ولا يصح ذلك، وإن أُريدَ بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عالٍ عليهم. فلم نقصد بكلمة الجهة حيزاً معيناً، وإنما أردنا شيئاً اعتبارياً أي: بالنسبة للكون فإنه توجد جهة ينتهي إليها فنقول ما فوق الكون، فلو قلنا: الكرسي فوق السماوات السبع، وفوقه العرش والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فوق العرش، إذاً الجهة هنا ليست شيئاً وجودياً وإنما شيئاً اعتبارياً، وقد قلنا - ونعيد -: إن الجهة يمكن أن تكون أشياء اعتبارية فقط، فنحن -مثلاً- نقول للسقف: إنه عالٍ علينا وما ذلك إلا باعتبارنا نَحْنُ لأننا تحته.

ولو أن هنالك بيتاً للنمل في سقف، والنمل يمشي فيه، فبالنسبة للنملة يكون العلو ما نَحْنُ عليه ونعده أسفل، فالقصد أن هذا شيئاً اعتبارياً.

فباعتبار الكون وأنه كله ضئيل وحقيق بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هل هناك جهة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ نعم، جهة الفوقية، أي: أن الله فوق هذا الكون، ولكن نفاة لفظ الجهة نفوا الاحتمال الصحيح ويريدون بذلك نفي العلو.)) انتهى كلام الكاتب

أنظر إلى التناقضات في كلام الكاتب: ١. ادعى الأخ الكاتب . هده الله . أنه لا يقول إلا بقول الله ورسوله ثم جاء بما لم يقل الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم زاد على ذلك فنسبه إلى السلف وليس له سلف في ذلك إلا الفلاسفة والكرامية .

٢. قول الكاتب (نفاة لفظ الجهة) وكذلك ردد الموجدان في كتابه نفس كلام الحوالي وزاد الموجدان فقال : بل لفظ المكان ذكر الذهبي أنه في الصحيح . وقال في الحاشية: ولعل الذهبي أراد حديث الإسراء وفيه ((فعلا إلى الجبار جل جلاله وهو في مكانه)) وإن كان السياق ليس مجزوماً فيه أن المراد الرب تعالى . أ . هـ ٦٩ أقول فإذا كان السياق ليس مجزوماً به فلماذا تورده لإيهام القراء أن الله سبحانه في مكان أو جهة . وكلام الحوالي يوهم أن الخلاف في مجرد اللفظ وأن المبتدع هو اللفظ فقط، وهذا باطل، فالذي ينكره الأشاعرة وسائر أهل السنة هو

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم/١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

كون الله في جهة باللفظ والمعنى ، فعند أهل السنة أن الله لا يحل في مكان سواء اُسِمِيته مغالطة بالمكان أو الجهة العدمية ، أو اُسِمِيته بالجهة الوجودية ، أو اُسِمِيته علواً أو ارتفاعاً، أو ما أردت من أسماء . وليست المسألة مجرد لفظ .

- يقول الكاتب : [فإنه توجد جهة ينتهي إليها فنقول ما فوق الكون، فلو قلنا: الكرسي فوق السماوات السبع، وفوقه العرش والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فوق العرش، إذاً الجهة هنا ليست شيئاً وجودياً وإنما شيئاً اعتبارياً]

الجواب: يدعي الدكتور الحوالي وكذا الموجان . غفر الله لي ولهما . أن الجهة أمراً اعتبارياً وليس وجودياً ، مع تسليمهم بأن الله تعالى لا يحل في الجهة الوجودية لكنه في الجهة الاعتبارية . قال الموجان : أن الجهات لا نهاية لها ، وما لا يوجد فيما لا نهاية له فليس بموجود . اهـ ٧٠

فأقول : تأملوا هذا الذي يصفه الحوالي والموجان هل يسمى شيئاً اعتبارياً؟!!

قال الحوالي: تقول [الكرسي فوقه العرش] هل هذا حسي أم اعتباري ؟ ثم الله سبحانه فوق العرش ، فكلامك يفيد إثبات مكان حسي وليس اعتبارياً . ويؤكد ذلك قولك في صدر كلامك: (ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات) ، فهل بعد هذا من تصريح بجهة حسية يحل الله فيها ؟!

فالأمر الاعتبارية تنقسم إلى قسمين :

أ) أمور اعتبارية انتزاعية .

ب) أمور اعتبارية اختراعية كبحر من زئبق فهو أمر اعتباري اختراعي أي ابتداعي لأنه ابتداع الشخص . وكلا الأمرين لا يثبت في مسألتك ، لأنها من قبل المستحيل ، فدعوى وجود محيط من زئبق أيسر من دعواك وجود الخالق في جهة عدمية . والعلو الثابت لله يا أخي هداك الله هو علومعنوي ، لا جسماني فهو علو القهر والغلبة والسلطة وليس علواً حسياً في جهة عدمية فلسفية .!! وإنما أوتيتم من قبل قياسكم وجود الخالق على وجود المخلوق ، فلم تعرفوا مخلوق إلا وهو في جهة أو مكان، وإن لم يكن كذلك فهو معدوم ، فجعلتم الخالق كالمخلوق . وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله حديث الأوعال ، ورد على من حاول الطعن فيه وقال [هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم فهو مروي من طريقين مشهورين ، فالقدح في أحدهما لا يقدر في الآخر] [٧١] .

الجواب: حديث الأوعال روي من طرق عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟] . فقالوا: لا . فقال: [إن بعد ما بينهما ... ، ثم السماء فوقها كذلك ، ... ثم فوق السابعة بحر ... ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك] .

٧٠ الرد الشامل للموجان ٧١

[٧١] مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣ / ١٩٢ .

فقوله : الحديث مروي من طريقين مشهورين وأن القدح في أحدهما لا يقدر في الآخر !! .

غير صحيح فهذا الحديث معروف ومشهور في عدد من المصادر بالسند المذكور بعاليه و ليس له غيره ، وهو سند ضعيف بَيِّن الضعف ، فيه سماك بن حرب وعبد الله بن عميرة:

فأما سماك بن حرب فقد وثقه ابن معين وأبو حاتم ، لكن ضعفه شعبة وعبد الله بن المبارك وسفيان الثوري وغيرهم ، وقال أحمد: مضطرب الحديث . وقال النسائي: ليس ممن يعتمد عليه إذا انفرد بالحديث لأنه كان يقبل التلقين . وأما عبد الله بن عميرة فقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الإمام مسلم: تفرد سماك بالرواية عنه . وقال إبراهيم الحربي: لا أعرفه . وقال ابن حجر في التقريب: مقبول . ومراد ابن حجر بقوله هذا أنه يقبل في المتابعات لا فيما انفرد به ، وذكره في ثقات ابن حبان لا ينفعه لما عرف من تساهل ابن حبان . فمثل هذا السند لا يصلح للاحتجاج به في الأحكام فكيف يحتج به في العقائد؟!!!!^{٧٢}

٤. قولك يا أخي الكريم: أن الله في جهة معدومة! تناقض تام. فكون الموجود حل في المعدوم هو نفي له . و كأني ببعض الناس لا يؤمن إلا بموجود في مكان ، فلما وجد أن العلماء قد أجمعوا على تكفير الحلولية قال: ليس موجود في موجود بل هو موجود في معدوم!

٥. وإنما أوتيتم من قبل قياسكم وجود الخالق على وجود المخلوق ، فلم تعرفوا مخلوق إلا وهو في جهة أو مكان وإن لم يكن كذلك فهو معدوم، فجعلتم الخالق كالمخلوق. والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله موجود قبل خلق الزمان والمكان، فإن استطعت أن تتخيل أو يتخيل غيرك بالذهن البشري القاصر حقيقة صفة وجوده قبل خلق السموات، والأرض، والعرش، والزمان، والمكان: فيمكن أن تتخيله بعد خلقها، وإن عجز ذهنك وخيالك: فأرج عقلك، وسلم لربك يا أخي، واعلم بأنه سبحانه لا يتغير ولا يتبدل. فإن ظننت أنه تغير بعد خلقه للمخلوقات، أو أن وجودها أثر عليه سبحانه وتعالى؛ فأنحاز في فضاء وهي في فضاء ، أو أن وجوده كوجودها فظننت أن المخلوق مادام أنه في فراغ فالخالق كذلك ، فهذا نسج من خيال والله لا يقاس بخلق ولا يتغير ولا يتبدل. لأنك إن ظننت أنه تغير: فإما أن يتغير إلى حال أفضل مما كان عليه قبل خلق المخلوقات، وإما إلى حال أقل، وعلى كلا الاحتمالين فهو إما أن يكون في حال نقص أعقبه كمال ، أو في حال كمال فتغير إلى نقص والله منزه عن كل ذلك.

٦. أنت كأني مسلم ، تُسلم أن الله موجود بغير زمان ، أي أنه موجود قبل خلق الزمان ، فأزليتة غير مرتبطة بزمان ، والناس لا يعقلون فيما نشاهد إلا أسبقية مرتبطة بزمان، فيقال موجود قبل ألف سنة ، أو منذ بداية الزمان ، أو نحو ذلك ، فكما عقلت وجود الله غير مرتبط بزمان ، كذا فاعقل وجود الله غير حال في جهة ، لأن الأزمنة ، والأمكنة ، والجهات حادثات مخلوقة، ووجود الله أزلي لا يرتبط وجوده بوجودها .

^{٧٢} وانظر ذلك بحروفه في رد الأشاعة ودعاوى المناوئين للأدلي.

تنبيه : الدهرية يعقلون وجود الله في غير جهة ومكان، ولكن لا يعقلون أزلية الله إلا مرتبط بزمن.

والكرامية، وكذا أتباع منهج ابن تيمية: يعقلون أزلية الله بغير زمن، ولكن لا يعقلون وجود الله إلا في جهة.

ووفق الله أهل السنة والجماعة للإيمان بوجود الله من قبل الزمان والجهات ولا يتغير ولا يتبدل سبحانه عز شأنه ؛ فكانوا أمة وسطاً. قال الإمام أحمد ((والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبديل ،ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش)) أ. هـ ٧٣

٧. قد وردت آيات وأحاديث، أشكلت على فئام من الناس؛ فظنوا أن الله يحل في الأرض كقوله تعالى ((ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم))، وقوله ((وهو معكم أينما كنتم)) ، وقوله ((ونحن أقرب إليه من حبل الوريد))، فتأولها أهل السنة على معنى لائق بالله ونفوا أن يكون معناها على ظاهرها المتبادر للأذهان، وقالوا (معنا) ليس بذاته وإنما (معنا) بعلمه. وكذا يقول أهل السنة في النصوص التي أوهمت حلول الله في العرش، أو في السماء، أو الجهة، أو غيرها من المخلوقات ، فكيف بمن يقول بأنه يحل في المعدومات؟!

الأدلة الموهمة لحلول الله في الجهة : قد تمسكوا بإثبات الجهة المكانية لله بأدلة أجاب عنها علماء أهل السنة والجماعة أسوقها باختصار :

ولكن بداية فلا بد من التأكيد على النقاط التالية :

١. أن أهل السنة والجماعة من الأشعرية وغيرهم يؤمنون بوجود الله فكان الله ولم يكن شيء معه، ولا قبله .
٢. أن الله غير حال في مخلوقاته ومنها الجهات والأحياز .
- ٣- أن ذات الله وصفاته ومنها صفة الوجود لا يقاس بالحس والخيال، فلا نقيسها على وجود المخلوقات .

ثانياً : كما أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بآيات وأحاديث وردت في كتابه وسنة رسوله

فيثبتونها لله مع القطع بأنها ليست على المعنى الذي لا يليق بالله ،كصفة اليد، والوجه، والعين فليست بجوارح ولا أعضاء وهذا لا يعقل فيما نشاهد إلا كونها أعضاء، فكذلك وجود الله واستواءه، وعلوه تثبته لله مع القطع بنفي المعنى الباطل الذي لا يليق به ، كوجوده في المخلوقات أو الأحياز والجهات ، وهذا مخالف لما نراه في وجود المخلوقات لأنه لا قياس بين الخالق والمخلوق.

قال الإمام أحمد: من قال أنه بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر لأنه يلزم منه قدم المكان .^{٧٤}

^{٧٣} أعتقاد الإمام أحمد ص ٤١

^{٧٤} نهاية المبتدئين ٣١

وقال أيضاً: والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبديل، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلقه .

وقال: وهو عالم بالأشياء ومديرها من غير مخالطة ولا مواجاة.^{٧٥} وقال: إن الله تعالى يدين وهما صفة له، وليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين، ولا جسم، ولا من جنس الأجسام، ولا من جنس التركيب، والأبعض، والجوارح ولا يقاس على ذلك.. أ. هـ.^{٧٦}

قال الإمام الرازي: أن كل موجودين، فإن وجودهما يحتمل ثلاث احتمالات:

١. لا بد أن يكون أحدهما حالاً في الآخر ٢- أو مابيناً عنه، مختصاً بجهة من الجهات الست المحيطة به ٣- أو غير حال في العالم^{٧٧} ولا مابين عنه بالجهة. وإن جمهور العقلاء المعتبرين، اتفقوا على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا مختص بشيء من الجهات، وأنه تعالى غير حال في العالم، ولا مابين عنه في شيء من الجهات.
- و إن المخالفين لا بد لهم من الاعتراف بوجود شيء على خلاف حكم الحس والخيال. أ. هـ.

مقارنة بين رأي الجهمية والدهرية:

قال الإمام الرازي: إن أهل التشبيه قالوا: العالم المخلوق والباري موجودان. وكل موجودين فإما أن يكون أحدهما حالاً في الآخر أو مابيناً عنه في جهة. قالوا: والقول بوجوب هذا الحصر معلوم بالضرورة، والقول بالحلل محال. فتعين كونه مابيناً للعالم بالجهة. وبهذا الطريق احتجوا بأنه تعالى مختصاً بالخير والجهة. وأهل الدهر. قالوا: العالم والباري موجودان. وكل موجودين فإما أن يكون وجودهما معاً أو أحدهما قبل الآخر. ومحال أن العالم والباري معاً وإلا لزم: إما قدم العالم، أو حدوث الباري.

وهما محالان. فثبت: أن الباري قبل العالم. ثم قالوا: والعلم الضروري حاصل بأن هذه الأزلية لا تكون إلا بالزمان والمدة. وإذا ثبت هذا فتقدم الباري (على العالم) إن كان بمدة متناهية لزم حدوث الباري. وإن كان بمدة لا أول لها، لزم كون المدة قديمة. فأتتجوا بهذا الطريق قدم المدة والزمان.

فنقول: حاصل هذا الكلام: أن المشبهة زعمت أن مبابنة الباري تعالى عن العالم، لا يعقل حصولها إلا بالجهة. وأنتجوا منه: كون الإله في الجهة. وزعمت الدهرية: أن تقدم الباري (تعالى) على العالم لا يعقل حصوله إلا بالزمان. وأنتجوا منه: قدم المدة. وإذا ثبت هذا فنقول: حكم الخيال في حق الله تعالى، إما أن يكون مقبولاً أو غير مقبول. فإن كان مقبولاً، فالمشبهة يلزم عليهم مذهب الدهرية، وهو أن يكون الباري (تعالى) متقدماً على العالم بمدة غير متناهية، ويلزمهم القول بكون الزمان أزلياً. والمشبهة لا يقولون بذلك. والدهرية يلزم عليهم مذهب المشبهة - وهو

^{٧٥} أعتقاد الإمام أحمد ٤١

^{٧٦} أعتقاد الإمام أحمد ٣٣ وهو بذلك رد على المشبهة والجهمية والمعتزلة فأثبت الصفة ونفى المعنى الباطل وهو عين عقيدة الأشاعرة وراجع تفسير الرازي وغيره لترى ذلك.

^{٧٧} العالم: أي المخلوقات.

مباينة الباري (تعالى) عن العالم بالجهة والمكان - فيلزمهم القول بكون الباري (تعالى) مكانياً - وهم لا يقولون به - فصار هذا التناقض وارداً على الفريقين.

وأما إن قلنا : حكم الوهم والخيال غير مقبول البتة في ذات الله تعالى وفي صفاته . فحينئذ نقول :

قول الكرامية : إن كل موجودين فلا بد وأن يكون أحدهما حالاً في الآخر ، أو مبايناً عنه بالجهة : قول خيالي باطل ، وقول الدهرية بأن تقدم الباري (تعالى) على العالم ، لا بد وأن يكون بالمدة والزمان : قول خيالي باطل .

وهذا هو قول أصحابنا أهل التوحيد والتنزيه ، الذين عزلوا حكم الوهم والخيال عن ذات الله تعالى وصفاته .
وذلك هو المنهج القويم ، والصراط المستقيم.

برهان آخر: إن معرفة أفعال الله تعالى وصفاته ، أقرب إلى العقول ، من معرفة ذات الله تعالى . ثم القائلين بأن الله في الجهة وافقونا على أن معرفة أفعال الله تعالى وصفاته على خلاف حكم الحس والخيال.

إلى أن قال: 'وأما تقرير هذا المعنى في الصفات . فذلك من وجوه :

أحدها : إنا لا نعقل ذاتاً (تكون عالمة) بمعلومات لا نهاية لها على التفصيل دفعة (واحدة) فإنا إذا جربنا أنفسنا ، وجدناها متى اشتغلت باستحضار معلوم معين ، امتنع عليها في تلك الحالة ، استحضر معلوم آخر . ثم إنا مع ذلك نعتقد : أنه - تعالى - عالم بما لا نهاية له من المعلومات على التفصيل من غير أن يحصل فيه اشتباه والتباس . فكان كونه - تعالى - عالماً بجميع المعلومات : أمراً على خلاف مقتضى الوهم والخيال.

وثانيها : إنا نرى أن كل من فعل فعلاً ، فلا بد له من آلة وأداة ، وأن الأفعال الشاقة تكون سبباً للكلاله والمشقة لذلك الفاعل . ثم إنا نعتقد أنه - تعالى - يدبر من العرش إلى ما تحت الثرى ، مع أنه منزه عن المشقة واللغوب والكلاله .

فثبت أن الوهم والخيال قاصران عن معرفة أفعال الله - سبحانه وتعالى - وصفاته . ومع ذلك فإنا نثبت الأفعال والصفات على مخالفة الوهم والخيال . وقد ثبت : أن معرفة كنه الذات أعلى وأجل وأغمض ، من معرفة كنه الصفات . ولما عزلنا الوهم والخيال في معرفة الصفات والأفعال ، فلأن نعزلهما في معرفة الذات كان أولى وأحرى .

فهذه الدلائل دالة على كونه - سبحانه وتعالى - منزه عن الحيز والجهة : ليس أمراً يدفعه صريح العقل وذلك هو تمام المطلوب .^{٧٨}

وللعلماء في الجواب عن هذه الكلمات أي دعوى كون الله في الجهة : نوعان من الجواب :

^{٧٨} مختصر بتصرف من مقدمة أساس التقديس.

النوع الأول : أنتم ساعدتمونا على أن ظواهر القرآن . وإن دلت على إثبات الأعضاء والجوارح لله تعالى . فإنه يجب القطع بنفيها عن الله تعالى . والجزم بأنه منزّه عنها . وما ذاك إلا أنه لما قامت الدلائل القطعية على استحالة الأعضاء والجوارح على الله تعالى ، وجب القطع بتنزيهه الله عنها ، والجزم بأن مراد الله تعالى من تلك الظواهر ، شيء آخر . فكذا في هذه المسألة : نحن ذكرنا الدلائل العقلية القاطعة في أنه تعالى يتمتع أن يكون مختصاً بالمكان والجهة والحيز . وإذا كان الأمر كذلك ، وجب القطع بأن مراد الله تعالى من هذه الظواهر التي تمسكتكم بها ، شيء آخر سوى إثبات الجهة لله تعالى . وهذا إلزام قاطع ، وكلام قوي . إلا أنا نقول : إن تلك الدلائل العقلية التي تمسكتكم بها ، ليست قطعية ^{٧٩} . بل محتملة . فنحن إذاً يجب علينا أن نتكلم معكم في تقرير تلك الدلائل ، ودفع وجوه الاحتمال عنها ^{٨٠} . فثبت بهذا الطريق : أنا متى بينا أن تلك الدلائل العقلية قاطعة يقينية لم تقدر الكرامة على معارضة تلك العقلية اليقينية بهذه الظواهر . وهذا كلام في غاية القوة . وعند هذا نختار مذهب السلف ، ونقول : لما عرفنا بتلك القواطع العقلية : أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآيات : إثبات الجهة لله تعالى ، فلا حاجة بنا بعد ذلك إلى بيان أن مراد الله تعالى من هذه الآيات . ما هو ؟ وهذا الطريق أسلم في ذوق النظر ، وعن الشغب أبعد .

النوع الثاني : أن نتكلم عن كل واحد من هذه الوجوه على سبيل التفصيل : (لغرض التوضيح ودفع الشبه) وعلى العموم فلقد تمسكوا بأدلة ترد عليها كثير من الاحتمالات فحملوها على أسوء المحامل التي لاتليق بالله . والحجة الأولى عليهم : أن نصوص الفوقية لو حملت على المكان الحسي فيقابلها مثلها في نفي الفوقية فمن الآيات قوله سبحانه : { فلما أتاهم نُودِي من شَاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } وظاهره إثبات وجود ذات الله في الأرض في وادي طوى عند الشجرة . و قوله : { وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ } وكذا قوله : { وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴾ } . وقوله تعالى ((وهو معكم أينما كنتم)) ومن الأحاديث : حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" أخرجه مسلم (٣٥٠/١) ، فقد يفهم منه قرب الذات الإلهية حساً من العبد أثناء السجود ، وكذا حديث أنس مرفوعاً: "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه)) ، أو ((إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبرز أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدميه" أخرجه البخاري برقم (٤٥٠)) وقول بعض الأئمة للمصلين : استوى واعتدلوا فأنتم بين يد الله . وهو حتماً لا يقصد ظاهر الكلام حرفياً . وعليه فليس

^{٧٩} لا بد لطالب العلم من التفريق بين القطعي والظني في الأدلة والدلالات وهذا يستفاد من كتب أصول الفقه .

^{٨٠} أي أن وجود الاحتمال دخل عليهم من تمسكهم بظواهر الأدلة على فهمهم كما تمسكت الحلولية على حلول الله في الأرض بظواهر الأدلة الدالة على ذلك حسب فهمهم . فلو جرد هذه الاحتمالات اللفظية اشتبه على الكرامة وجود الله في الجهة فكان لا بد من إزالة هذه الشبه عنهم بتوجيه الأدلة النقلية المحتملة وذلك بحملها على الأدلة النقلية الأخرى التي تنفي التشبيه وكذلك الأدلة القطعية العقلية التي تنزه الله عن الحلول والانحصار . فبين لهم الإمام وغيره من أئمة السنة توجيه الأدلة وظهر جلياً أنها محتملة لعدة معان وليست بقطعية فبطل الاستدلال بها .

الأخذ بظاهر نصوص الفوقية بأولى من الأخذ بظاهر النصوص الأخرى التي حُكي شيء منها ، وعليه فإن الأخذ بالفوقية في المكانة والقدر هو الواجب إذ غيره ممتنع على الله ، وقد ورد عند العرب الفصحاء ذكر الفوقية المعنوية ، وكذا ذكر السماء والصعود ، ومنه قول عنتره . كما في ديوانه في شرحه للتبريزي ص (٣٥) . :
مقامكم في جو السماء مكانه

وباعي قصير عن نوال الكواكب

ومنه قول الناس : فلان فوق فلان، أي في المنزل، وكذا كل من في الشركة يخاف ممن فوقه من المسؤولين .
تفصيل المسائل :

أما الذي تمسكوا به أولاً . وهو الآيات الدالة على استواء الله تعالى على العرش .

فلابد أن نفهم لأن القرآن للتدبير: قال تعالى : ﴿إِنْ رِكَمَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْخَرَاتُ بَأْمَرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) (سورة الأعراف)
من نظر إلى الآية وجد أنها تتكلم عن أفعال الله في مخلوقاته وهي كالتالي:

١. خلق السموات والأرض ٢. أنه استوى على العرش ٣. أنه يغشى الليل النهار ٤. أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره .

ثم نبه على ذلك بقوله (ألا له الخلق) (والأمر) إذا علمت هذا المفهوم من الآية لأول وهلة أنه تعالى خلق السموات والأرض — ثم دبرها وأمرها بما أراده منها فصارت مسخرة بأمره — فله الخلق والأمر ، وهذا دليل على تمام القدرة وإذن يجب أن يفهم من الاستواء المعنى المطابق لذلك مع ملاحظة البلاغة وقواعد اللغة . فيجب أن يفهم من (استوى) المعنى الذى يصح أن يكون متأخرا عن خلق السموات والأرض وليس ذلك إلا الكناية عن تدبير الملك وبذلك يكون المفهوم من (استوى) بمعنى (قام بتدبير المخلوقات) مناسبا لخلق السموات والأرض ومرتبنا عليه ، لأن التدبير لا يكون إلا بعد الخلق ، ويؤيد لك ما يفهم من قوله تعالى ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْخَرَاتُ بَأْمَرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ ولذلك يذكر الاستواء بعد الخلق دائما .

ويؤكداه أيضا قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فهو لف ونشر مرتب فالخلق يشير إلى خلق السموات والأرض ، والأمر يشير إلى الاستواء على العرش ، فلا يجوز أن يكون مراد الله تعالى من ذلك الاستواء : هو الاستقرار على العرش ، ويدل عليه وجوه :

أن ما قبل هذه الآية وما بعدها : مذكور لبيان كمال قدرة الله تعالى ، وغاية عظمتة في الإلهية ، وكمال التصرف ، ولذلك تجد في الآية الأخرى في سورة طه «تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى)) فكلها أفعال فعلها لمخلوقاته تتجلى فيها عظمتة فالعباد أنزل عليهم القرآن ، والأرض والسموات خلقها ، والعرش استوى عليه ، لا شك أن المفهوم منه : بيان كمال قدرة الله تعالى ، وكمال إلهيته . فقوله : «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى» بيان أيضاً لكمال ملكه

ولهيته . وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن يكون قوله : « الرحمن على العرش استوى » كذلك . وإلا لزم أن يكون ذلك كلاماً أجنبياً عما قبله وعما بعده ..

ويؤيد هذا المعنى آية سورة يونس لأن نصها : ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ﴾ فذكر التدبير بعد الاستواء فهو كالتفسير له فى شرح المفهوم من آيات الاستواء على العرش بما يطابق أصول اللغة والتوحيد وبلاغة القرآن العظيم فالمقصود هو لازم معناه ، وهو التدبير وتسخير ما فيها وهو وصف فعلي تأثيره حاصل فى السموات والأرض وما فيها وليس وصف ذاتي كالعلم والحياة .

ولزيادة تأكيد استحالة على الله تعالى نورد الآيات المناقضة لمعنى الاستقرار على العرش ، فنقول الآيات المناقضة لمعنى الاستقرار ثلاث وهى :

اولا : قال الله تعالى فى سورة الحديد : ﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ . فإذا فهم من الاستواء والمعية ظاهرهما الذى هو الظرفية المكانية لزم التناقض ، لأن الاستقرار على العرش يمنع المعية المكانية مع أهل الأرض ، والتناقض فى كلامه تعالى محال ، ولزم اتصاف القديم جل وعلا بصفات الحوادث وهى المعية المكانية وما يتبعها وهو محال .

فإن قيل : المقصود من المعية لازمها وهو (العلم) بقصد التخلص من مماثلة الحوات وهذا حق بلا ريب فكذلك المقصود من الاستواء لازمه وهو تدبير خلقه لأن الموجب فى الاستواء والمعية لازمها وهو (العلم) والتدبير بقصد التخلص من ممثلة الحوادث . وفضلاً عن ذلك فإن الموجبات لفهم الاستواء بالتدبير أكثر من موجبات فهم المعية بلازمها مناسب لمعنى التدبير لمملوكاته، ومرتبطة به فى المعنى بخلاف الاستقرار الذى لا يتوقف عليه التدبير .

- كونه تعالى معنا بعلمه وصفاته كما يليق بتقديسه ، وكونه بصيراً بأعمالنا ، كل هذا يدل على المراقبة ، والمراقبة تقتضى الاجراءات والتصرفات التى أرادها الله تعالى بكل مخلوق وهذا كله يدخل ضمن التدبير بخلاف الاستقرار الحسى .

الرابع : إن ظاهر قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » وقوله : « وهو معكم أينما كنتم » وقوله : « وهو الذى فى السماء إله ، وفى الأرض إله »^{٨١}

ينفى كونه مستقراً على العرش ، وليس تأويل هذه الآيات لنفى الآيات التى تمسكوا بها على ظاهرها : أولى من العكس^{٨٢} . فجاز أن يكون المراد : هو ، القهر ونفاذ القدر ، وجريان الأحكام الإلهية .

أما الذى ذكره ثانياً وهو التمسك بالآيات المشتملة على ذكر الفوقية . فجوابه : أن لفظ فوق (يستعمل) فى الرتبة والقدرة . فقد قال الله تعالى : { وفوق كل ذي علم عليم } { وإنا فوقهم قاهرون } { يد الله فوق أيديهم } والمراد

^{٨١} وحديث النزول وغيره من الأدلة التى تبين أن المقصود ليس وجود فى مكان وانتقال إلى مكان .

^{٨٢} يقولون : الاستلاء لا يكون إلا عن مغالبة . فيقال لهم والاستقرار لا يكون إلا بعد اضطراب فسبحان الله عن ذلك .

بالفوقية في هذه الآيات : الفوقية بالقهر والقدرة (ويستعمل في الفوق الذي هو بمعنى الجهة قال تعالى : {بعوضة فما فوقها} أي أزيد منها في صفة الصغر والحقارة . وإذا كان لفظ الفوق محتملاً للفوق في الرتبة ، والفوق في الجهة ، فلم حملته على الفوق في الجهة؟! مع أن الآتي بالله هو فوقية الرتبة لا الحلول في الجهة.

والذي يدل على أن المراد بلفظ الفوق ههنا : الفوق بالقدرة والمكنة وجوه :

الأول : إنه قال : « وهو القاهر فوق عباده » والفوقية المقرونة بالقهر ، هي الفوقية بالقدرة

والمكنة، لا بمعنى الجهة. بدليل : أن الحارس قد يكون فوق السلطان في الجهة (فيكون في

سطح المنزل مثلاً)، ولا يقال إنه أعلى من السلطان .

الثاني : أنه تعالى وصف نفسه بأنه مع عبده فقال : « إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون » (وقال :

« إن الله مع الصابرين » وقال : « وهو معكم أينما كنتم » وقال : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »

وقال: « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » وقال : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » وإذا جاز

حمل المعية في هذه الآيات : على المعية بمعنى العلم والحفظ والحراسة فلم لا يجوز حمل الفوقية في الآيات التي ذكرتم

على الفوقية بالقهر والقدرة والسلطنة ؟

وأما الذي ذكروه ثالثاً . وهو التمسك بالآيات المشتبهة على لفظ العلو : فالجواب : أن لفظ العلو بسبب الجهة .

فقد يستعمل أيضاً في العلو بسبب القدرة . فإنه يقال : السلطان أعلى من غيره ، ويكتب في أمثلة السلاطين :

الديوان الأعلى . ويقال لأمرهم الأمر الأعلى ويقال لمجالسهم : المجلس الأعلى^{٨٣} . والمراد في الكل : العلو ، بمعنى :

القهر والقدرة و(السلطة) . لا بسبب المكان والجهة.

وأيضاً : قال الله تعالى لموسى : « لا تخف إنك أنت الأعلى » وقال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم

الأعلون » وقال : « وكلمة الله هي العليا » وقال فرعون : « أنا ربكم الأعلى » والعلو في هذه المواضع بمعنى

العلو بالقدرة ، لا بمعنى العلو بالجهة .

والذي يدل على أن المراد ما ذكرناه : وجوه :

الأول : أنه تعالى قال : « سبح اسم ربك الأعلى » فحكم بأنه تعالى أعلى من كل ما سواه .

والجهة شيء سواه . فوجب أن تكون ذاته أعلى من الجهة . وما كان أعلى من الجهة امتنع أن يكون علوه بسبب

الجهة . فثبت : أن علوه لنفس ذاته ، لا بسبب الجهة . ولا يقال : الجهة ليست بشيء موجود حتى تدخل تحت

قوله : « سبح اسم ربك الأعلى » لأن العلماء ومنهم الإمام : قد بينوا في باب الدلائل العقلية : أنها لا بد وأن

تكون الجهة أمراً موجوداً .

^{٨٣} ومنه الدارج بيننا في هذا الزمن بقول: مجلس القضاء الأعلى ، والمجلس الأعلى لهيئة الأمم... إلخ.

وأما الذي تمسكوا به رابعاً : وهو الآيات المشتبهة على لفظ العروج أو الصعود. كقوله تعالى : « ذى المعارج . تعرج الملائكة والروح إليه »

فجوابه : ليس المراد من حرف "إلى" في قوله "إليه" : المكان . بل المراد : انتهاء الأمور إلى مراده عزوجل . ونظيره : قوله تعالى : « وإليه يرجع الأمر كله » وهو كقوله تعالى في الظل ((ثم قبضناه إنيقبضاً يسيراً)) ومعلوم أن المقصود ليس وجود الله في مكان فتبين أن المراد شيء آخر .

وهو كقول إبراهيم : « إني ذاهب إلى ربي سيهدين » ويمتنع أن يراد به مكان وجودي لله يقطع بالمسافة. وعلم منه أن مثل هذه الآيات لا تؤخذ بظاهرها.

حجة الصعود إلى الله كقوله {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} حيث إن المراد قبول الله للطاعة قولاً أو عملاً، نص عليه أئمة ومنهم أبو حيان في "البحر المحيط" حيث قال وصعود الكلام إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المسمى إليه لأنه تعالى ليس في جهة؛ ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود (الحسي)؛ لأن الصعود يكون من الأجرام، وإنما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال،

كما يقال : علا كعبه، وارتفع شأنه ، ومنه ترافعوا إلى الحاكم ورفع الأمر إليه، وليس هناك علو في الجهة" . أ. هـ ^{٨٤}

وأما الذي تمسكوا به خامساً : وهو لفظ الإنزال والتنزيل . فجوابه : يمتنع حمل النزول على الهبوط في قوله : { وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج } قال المفسرون كما في تفسير ابن جرير (١٣/١٩٤) : أي جعل لكم من الأنعام . إذن معناها جعل .

ومن أقوال الخنابلة في المسألة : [قال القاضي أبو يعلى : وصفه بالنزول والعلو لا على جهة الانتقال والحركة وقال ابن عقيل الحنبلي : ليس بزوال ولا انتقال ولا كنزولنا] .

وقال السجزي: لأن الله كان ولا مكان ، ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان . ^{٨٥} [وأما الذي تمسكوا به سابعاً . وهو قوله تعالى : « أم أمنت من في السماء » ؟ فجوابه : لم يقل المولى عزوجل : (أم أمنت من الله) فمن أين أتوا بذلك؟ . والآية يمكن إجراءها على ظاهرها ولما تبين أنه ليس فيها ذكر للفظ الجلالة فلم لا يجوز أن يكون المراد من قوله تعالى ((أم أمنت من في السماء)) الملائكة الذين هم في السماء ؟ لأنه ليس في الآية ما يدل على أن الذي في السماء هو الإله لا الملائكة ، ولا شك أن الملائكة أعداء الكفار والفساق وأن جبريل حمل أربع قرى حتى عنان السماء ثم خسف بهم الأرض .

بل حتى لو قيل أن المراد من « أم أمنت من في السماء » : أي ملكه أو سلطانه ؟ وخص السماء

بالذكر لأنها أعظم من الأرض تفخيماً للشأن . فإذا وردت كل هذه الاحتمالات فالاستدلال باطل .

^{٨٤} البحر المحيط ٣٠٣/٧

^{٨٥} نهاية المبتدئين ص ٣٢

ومن الآيات التي يستدلون بها على حلول الله في الجهة : قوله تعالى : ((وهو الله في السموات وفي الأرض)). وهذا باطل بدليل قوله تعالى ((وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)) فبطل تمسكهم بكونه حالاً فيها أو عليها . ولما كان كونه في الأرض ليس بمعنى الاستقرار ، فكذلك كونه في السماء ، يجب أن لا يكون بمعنى الاستقرار وإنما هو بمعنى أنه معبود من في السموات ومن في الأرض لأن هذا هو معنى الألوهية .

وأما الذي تمسكوا به ثامناً . وهو الآيات المشتملة على الرفع كقوله تعالى : « والعمل الصالح يرفعه »
فالجواب: يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً)) فرفع العمل الصالح هو قبوله وتنميته . وليس دليل على وجود مكان يحل الله فيه .

وأما الذي تمسكوا به تاسعاً . وهو الآيات المشتملة على (لفظ العندية : فلم لا يجوز أن يكون المراد بالعندية : العندية بالشرف والدليل عليه : قوله عليه الصلاة والسلام - حكاية عن رب العزة - : « أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلني » وقوله « أنا عند ظن عبدي بي » بل هذا أقوى لأن النصوص التي ذكروها تدل على أن الملائكة عند الله وهذه النصوص تدل على أن الله تعالى عند العبد . وأيضاً قال تعالى : « وإن له عندنا لزلفى » وليس المراد بهذه العندية (العندية) بالجهة فكذا ههنا . فهذا هو الإشارة إلى الجواب عن الوجوه التي تمسكوا بها من القرآن في إثبات الجهة لله تعالى .

وأما الأخبار التي تمسكوا بها . فنقول :

وأما الخبر الأول : وهو قوله عليه السلام : « لما قضى الله الخلق . كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش » فالجواب عنه بجوابين : ما تقدم من لفظ « عند » في القرآن .

الجواب الثاني : أنه قد ورد في "الصحيحين" قول النبي ﷺ : "إن الله كتب كتاباً لما قضى الخلق أن رحمته سبحانه سبقت غضبه فهو عنده فوق العرش" البخاري (٥٢٢/١٣) ومسلم (٢١٠٧/٤) .

قال الحافظ في "الفتح" (٥٢٦/١٣) : والغرض منه الإشارة إلى أن اللوح المحفوظ فوق العرش . اهـ . وعلى هذا فتبطل دعوى أنه لا وجود لشيء فوق العرش سوى الله .

تنبيه : بعض الطلبة هداه الله تأول ذلك بأنه كتب ذلك على نفس العرش ، وهذا باطل لأن الرواية

صريحة في كونه ليس على نفس العرش بل كتب كتاباً فبطل تأوله .

وأما الخبر الثاني : وهو حديث الجارية .

وجوابه : بجوابين :

١. إن لفظ « أين ؟ » كما يجعل سؤالاً عن المكان فقد يجعل سؤالاً عن المنزلة والدرجة يقال : أين فلان من

فلان ؟ فلعل السؤال كان عن المنزلة ، وإشارتها إلى السماء . أي هو رفيع القدر جداً . ومن ذلك قول العرب في المدح : فلان على رأسي . يقصدون مكانة ومنزلة لا مكاناً واستقراراً .

فالسماء تأتي بمعنى الجرم المعهود، وتأتي بمعنى العلو المعنوي ومنه قول عنترة . كما في ديوانه في شرحه للتبريزي ص (٣٥) .:

مقامكم في جو السماء مكانه

وباعي قصير عن نوال الكواكب

٢. : أن لفظة "أين الله" قالت في السماء) المحفوظ خلافها قرره جماعة ومنهم البزار في المسند (١٤/١) كما في "الكشف" ، والحافظ كما في "التلخيص الحبير" (٢٢٣/٣)، ذلك أن لفظة "أين الله" قالت في السماء" في سندها هلال بن علي بن أسامة ، وقد ضعفه أبو حاتم الرازي كما في "تهذيب الكمال" للمزي، ولو قيل بعدم ضعفه فهناك من روى القصة بغير لفظه أين؟، مع كونه أوثق منه وذلك هو ما خرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٥/٩) عن ابن جريج أنه قال أخبرني عطاء فذكر الحديث وفيه : اثنتي بما فسألها النبي ﷺ "أتشهدين أن لا إله إلا الله؟" قالت نعم.

وخرج عبد الرزاق في مصنفه (١٧٥/٩)، ومالك في الموطأ (ص٧٧٧) وأحمد في المسند (٤٥١/٣) عن ابن شهاب . أي الزهري . عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ ... الحديث يمثل لفظ عطاء .

قال ابن كثير في "التفسير" (٥٤٧/١): إسناده صحيح وجهالة الصحابي لا تضره. وحمل السند على الاتصال جماعة ومنهم ابن عبد البر في التمهيد (١١٤/٩) وللفظ (أتشهدين) شواهد عند الدارمي (١٨٧/٢) ، وعند البزار في "المسند" (١٤/١) كما في "الكشف" . وحمله على هذا أولى لأننا نعلم أنه لوجاء يهودي فسألته أين الله فقال في السماء، لما حكمنا بإسلامه لأن الإقرار يكون بالشهادتين لا بقول أن الله في السماء . ومن هذا الباب أيضاً : ما روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان جبريل عن النبي ﷺ فأتاه ملك . فقال أين تركت ربنا ؟ فقال : في الأرضين فجاء آخر . فقال : أين تركت ربنا ؟ فقال : في سبع سموات فجاء آخر . فسأله عنه ؟ فقال : في المشرق . وآخر في المغرب . والتأويل : إنه على وفق قوله تعالى : « وهو الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله » وقوله : « وهو الله في السموات وفي الأرض » وقوله ك « فأينما تولوا فثم وجه الله » أي أنه تعالى في كل مكان بالحفظ والتدبير والإلهية لا بالحوال في الجهات .

وأما قصة المعراج. فالمقصود : أنه يريه الله - تعالى - أنواع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي ، لتكون مشاهداته للدلائل أكثر ، فتصير نفسه أقوى وأكمل . كما في حق الخليل - عليه السلام - .

وأما قوله : « ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » ففيه وجوه :

« ثم دنا فتدلى » أي جبريل دنا من محمد - عليهما السلام - والدليل عليه : قوله تعالى في آية أخرى : « ولقد رآه بالأفق المبين » ثم لما دنا جبريل من محمد - عليهما السلام - حصل الوحي من الله تعالى إليه ولهذا قال : « فأوحى إلى عبده ما أوحى »

وأما الجواب عن التمسك بقول فرعون « يا هامان ابن لي صرحاً » فهو أن هذا الكلام من فرعون . وهو معارض بأن موسى - عليه السلام - لم : يقل الرب في السماء ، بل قال : « رب السماء » ثم إن فرعون كان قد ظن فيه أن الإله مستقر في السماء .. أي فلا تأخذ بظنون فرعون في

إثبات عقيدتنا . فهذا هو الجواب عن هذه الشبهة أ. هـ^{٨٦}

فالحلاصة: أن الكرامية تمسكوا بالمتشابه لإثبات أن الله حال في العرش أو في جهة فوق

العرش وتابعهم ابن تيمية ، ثم أتى أناس في عصرنا فمزقوا الأمة بعقيدة غير صحيحة ، وزادوا الطين بلة بنسبتها للسلف الصالح!! ولا شك أنه الله لا يحل في مخلوقاته خلافاً للحلولية ، وقد تمسك حلولية الأرض بآيات وأحاديث فوقها في الزيف ، وتمسك حلولية الجهة بآيات وأحاديث ، ظنوا بها أن الله حل في مخلوق اسموه الجهة ، بل بعضهم كابر فقال : إنها غير مخلوقة . والمسلم لا يعلم إلا خالق ومخلوق فكيف يقال أن الجهة غير مخلوقة ؟ والنظر في اللفاظهم وتصريحاتهم يتبين له أنهم يثبتون جهة حسية لا مجرد أمر اعتباري ، وقد سبق بيان ذلك .

إذن فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة يثبتون صفة العلو لله تعالى ويفسرونه بعلو القدر والسلطة والمنزلة لا بمعنى العلو الحسي المعروف في المخلوقات .

أخيراً : إذا علمت أن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يرد عليه احتمالات في معناه فإن البشر من السلف الصالح رضي الله عنهم يرد على كلامهم احتمالات من جهتين :

الاحتمال الأول : من جهة معناه في لغة العرب فإن اللسان العربي يحتمل المعاني بشرط أن يكون ذلك ثابت من جهة اللغة ولا ثقل بالله ، فإذا أتى كلام في معناه احتمالات فيحمل على اللائق بالله الذي لا يتصور أن الأئمة يقصدون غيره من المعاني القاضية بالتشبيه .

الاحتمال الثاني: ضعف الرواية عنهم ، إما من جهة السند ، وإما من جهة المتن ، كأن يكون الكلام المنقول فيه نكارة يخالف مقطوع به من الآيات أو الأحاديث . وهذا الكلام القصير يغني عن تتبع النقول التي توهموا منها تشبيه الله بخلقه فإذا غلط الناس في فهم معان كلام الله تعالى ورسوله فكيف بما دوغهم من البشر .

وأخيراً : فإليكم صورة للكون ، ولأرض من ضمنه ، يتضح فيها بجلاء خطأ اعتقاد كون الله في جهة منه ، أو في جهة اسمها العلو ، وقد كان الناس قديماً يظنون أن الأرض ليست كروية بيضاوية ، وإنما هي منبسطة ، وكانوا يظنون أنها ثابتة لا تتحرك ، فبنى بعض هؤلاء على ضوء هذه الفكرة الحسية كون الله في جهة ، وقد تبين قطعاً في هذا الزمن أن الأرض تدور ، وأنها بيضاوية الشكل وسترى في الصورة التالية موقع الأرض من الفضاء ، وشكلها^{٨٧} ، وترى كل في فلك يسبحون ، وتعلم أن القياسات التي كان يقيسها الكرامية وغيرهم ، والخيالات التي بنوا عليها عقيدة الجهة لا أساس لها من الصحة .

^{٨٦} جمعت الكلام السابق من مواطن متفرقة للعلماء فمن ذلك كتاب اساس التقديس وغيره من الكتب وكتاب المشبهة والجسمه لعبدالرحمن خليفة رحمه الله وغيرها من كتابات علماء الأمة .

^{٨٧} وهي كالنقطة الصغيرة في هذا الفضاء. فما تكون فيها أيه الإنسان الظلوم الجهول.

ولذا فلا وجه للتمادي في الباطل بعد أن تبين الحق لكل مبتغ له ، إلا إذا وصل الخيال الفاسد ببعضهم إلى أن يتخيل أن الله . سبحانه وتعالى عن ذلك . ذو جسم ممتد حول الكون بشكل دائري ، فهذا والله ضلال مبين . إذن فنؤمن بصفة العلو لله وليست حلول في الجهات ، وقد سبق الكفاية.

دعاوى ضد علماء من أهل السنة

قال الكاتب: من المعلوم أن إمام الأشعرية المتأخر الذي ضبط المذهب وقعد أصوله هو الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ثم خلفه الآمدي (٦٣١ هـ) والآرموي (٦٨٢ هـ) فنشروا فكره في الشام ومصر واستوفوا بعض القضايا في المذهب (وفكر هؤلاء الثلاثة هو الذي كان الموضوع الرئيسي في كتاب درء التعارض) وأعقبهم الأيجي صاحب المواقف (الذي كان معاصراً لشيخ الإسلام ابن تيمية) فألف " المواقف " الذي هو تقنين وتنظيم لفكر الرازي ومدرسته وهذا الكتاب هو عمدة المذهب قديماً وحديثاً .

وقد ترجم الحافظ الذهبي - رحمه الله - في الميزان وغيره للرازي والآمدي بما هم أهله ، ثم جاء ابن السبكي - ذلك الأشعري المتعصب - فتعقبه وعنف عليه ظلماً ، ثم جاء ابن حجر - رحمه الله - فألف لسان الميزان فترجم لهما بطبيعة الحال - ناقلاً كلام ابن السبكي ونقده للذهبي ولم يكن يخاف عليه مكاتهما وإماتتهما في المذهب كما ذكر طرفاً من شنائع الآرموي ضمن ترجمة الرازي .

الجواب: بالنسبة للإمام الرازي رحمه الله تعالى فهنا مسائل :

أولاً: التشغيب على الإمام الرازي: فأقدم بما يلي :

١. أطبقت كتب السير والتاريخ كلها على أنه مات على أحسن حال والله الحمد . هذه نقطة .
 ٢. أن الإمام الرازي ليس بمعصوم فقد يخطأ لكنه من أهل السنة والجماعة بلا شك، فإن ثبت أنه أخطأ في مسائل فلا يعني هذا أن الأشاعرة كلهم غلطوا لأنه غلط .
 ٣. وهذا بعض ما نسب إليه ، فقد نسب إليه كتاب في السحر وهذا باطل ، لا يصلح أن ينسب إلى عامي فضلاً عن عالم من علماء الأمة إلا بيقين ، أو التماس عذرله في ذلك، ولكن يبطل دعوى نسبة الكتاب إليه مايلي :
- الأول : حكم السحر فيما دونه في مؤلفاته الثابتة عنه ، حيث حكم بأنه كفر مخرج من الملة وساق المسألة بتفصيل نفيس يستحق أن يعلمه أهل العلم .^{٨٨} فإذا كتابه المنسوب إليه في السحر باطل.
- الثاني : قال تاج الدين السبكي: [لم يصح أنه له ، بل قيل إنه مختلق عليه]^{٨٩}. وهذا هو الصحيح إن شاء الله ، وقطع بعدم صحة نسبته إليه أيضاً صاحب الفوائد البهية ، وصاحب كفة الإرشاد.

لفتة : العالم قد يقرأ في كتب يعرف بها طرائق السحرة لتفنيد ذلك ؛ وبيان طرقهم ؛ وتفنيد شبهاتهم والتحذير منهم ؛ وبيان وسائلهم ؛ وهذا لا يخفى على أهل العلم أنهم أمر مهم ، بخلاف من يقرأه ليسحر الناس بنفع أو مضرة، أي بصرف

^{٨٨} التفسير الكبير ١/ ٦٢٦ تفسير آية رقم (١٠٢) من سورة البقرة.

^{٨٩} طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٨ / ٨٧ .

أو عطف ،أو غيرها من الشعوذات .ولذا قال الرازي في وصيته: اعلّموا أني كنت رجلاً محباً للعلم ، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته ، سواء كان حقاً أو باطلاً .انتهى كلامه

وأقول يا أخي: لو أخذنا الكلام بميزان العدل لعلنا أن انتصار السبكي للإمام الرازي^{٩٠} انتصار في مكانه لتحامل الإمام الذهبي عليه ، وكان الإمام الذهبي من تلاميذ الإمام ابن تيمية ، غفر الله للجميع ، ورغم ذلك فليس الذهبي حجة على الرازي والآمدي ، ولا الرازي والآمدي حجة عليه ، فكلهم علماء لهم قدرهم ويستفاد من علومهم ، ولم أجد فيما ترجمه الحافظ ابن حجر ولا الذهبي إخراج لهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة ولا إلحاقاً لهم بالمرجئة أو الجهمية كما تفعل

قال الذهبي في ترجمة فخر الدين الرازي محمد بن عمر المتوفى سنة (٦٠٦هـ) : [رأس في الذكاء والعقليات ، له كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم ، سحر صريح ، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله ، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة]^{٩١}.

وأقل لكم كلام الإمام ابن تيمية في الإمام الرازي غفر الله لهما لتعلم سر تحامل الإمام الذهبي ؛

قال ابن تيمية : وهذا موجود في كلام متقدمي الجهمية وتأخيرهم ، مثل أبي عبدالله محمد بن عمر الرازي الجهمي الجبري وإن كان قد يخرج إلى حقيقة الشرك وعبادة الأوثان في بعض الأوقات وصنف في ذلك كتابه المعروف في السحر وعبادة الأوثان !! (مج الفتاوى ٢١٣/١٦)

إذا كان هذا رأي ابن تيمية في إمام المسلمين الفخر الرازي فماذا تتصور من تلاميذه بعد هذه التهمة له نسأل الله العافية !!؟

وقد تأثر به تلاميذه وأتباعه ومنهم الإمام الطوفي الحنبلي وغيره، ولذا تأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي بكلام ابن تيمية قال فيه: وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبادة الكواكب ، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين. أ. هـ تاريخ نجد ٣٤٨ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : فانظر كلامه (أي ابن تيمية) في التفرقة بين المقالات الخفية وبين مانحن فيه في تكفير المعين ، وتأمل تكفيره رؤوسهم : فلاناً وفلاناً بأعيانهم ، وردتهم ردة

^{٩٠} هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني، ابن خطيب الري المشهور بفخر الدين الرازي . ولد في شهر رمضان من عام (٥٤٤ هـ) في مدينة الري واليه نسبته بالرازي.

كان ربع القامة، عبل الجسم، كث اللحية، جهوري الصوت، صاحب وقار وحشمة، له ثروة ومماليك وبزة حسنة وهيئة جميلة. كان فريد عصره ومتكلم زمانه جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان اماماً في التفسير والكلام والعلوم العقلية وعلوم اللغة، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشدون اليه الرحال من مختلف الاقطار.

أخذ العلم عن والده ضياء الدين وعن الكمال السمعاني والمجد الجيلي وغيرهم من العلماء الذين عاصروهم ولقيهم، وإلى جانب شهرته العلمية فقد اشتهر بالوعظ حتى قيل انه كان يعظ باللسان العربي واللسان العجمي.

وكان يلحقه عظيم الخشوع في حال الوعظ ويكثر البكاء فيبكي سامعوه كثيراً من شدة وقع مواعظه في قلوبهم وسحرها في افئدتهم. التفسير والمفسرون ج ١، ص ٢٩٠.

^{٩١} ميزان الاعتدال : ٣ / ٣٤٠

صريحة ، وتأمل تصريحه بحكاية الاجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام . انتهى كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحروفه^{٩٢}.

ومنه يتبين للقارئ الكريم عدة أشياء :

١. تكفير ابن تيمية وابن عبد الوهاب للعلماء بأعيانهم وليس التكفير الوصفي فحسب كما يدعي المدعون.

٢. دعوى الإجماع على تكفير الإمام الرازي وكونه يؤلف في عبادة الأوثان !! فالله المستعان.

وقارن بينه وبين كلام إمام من أئمة الجرح والتعديل وهو الحافظ ابن حجر حيث قال: [والفخر كان من أئمة الأصول ، وكتبه في الأصلين شهيرة سائرة ، وله ما يُقبل وما يُرد]^{٩٣} . فجراه الله خيراً ما أعظم إنصافه .

قال الإمام السبكي يتحدث عن الرازي: فإنه يعتبر مجدد القرن السادس . وقال وهو يريد على شيخه الذهبي لتنقصه للرازي : ليس لذكره في هذا المكان معنى ولا يجوز من وجوه عدة : أعلاها أنه ثقة خبر من أحبار الأمة . وأدناها أنه لا رواية له ، وذكره في كتاب الرواة مجرد فضول وتعصب ، وتحامل تقشعر منه الجلود . وقال في الميزان : له كتاب أسرار النجوم سحر صريح، قلت : وقد عرفت أنك أن هذا الكتاب محتلق عليه ، وتقدير صحة نسبته إليه ليس بسحر فليتأمل من يحسن السحر . يكفيك شاهداً على تعصب شيخنا عليه ذكره إياه في حرف الفاء حيث قال : الفخر الرازي ولا يخفى أنه لا يُعرف بهذا ولا هو اسمه ، أما اسمه فحمد ، وأما ما اشتهر به فابن الخطيب ، والإمام ... اهـ^{٩٤}

بل يعلق طاش كبري زاده على كتاب السر المكتوم المكذوب على الرازي فيقول: إن الكهانة في السر المكتوم على قسمين : قسم يكون من خواص بعض النفوس وهذا ليس بمكتسب . وقسم يحصل بالإشتغال بالعزائم ، ودعوة الكواكب وله طرق . ثم إن المفهوم من ذلك الكتاب أن سلوك هذا الطريق محرم في شريعتنا فيجب التحرز عن اكتسابه (أي فعله) وتحصيله . أ.هـ^{٩٥} ويقول ابن خلدون : ونحن لم نقف عليه والإمام الرازي لم يكن من أئمة الشأن فيما نظن .^{٩٦}

فالناتج من كلامهم مسائل :

الأولى : عدم صحة نسبة الكتاب للإمام الرازي رحمه الله تعالى .

الثانية : أن كتاب السر المكتوم بوضعه الذي رآه العلماء في زمنهم ليس فيه تقرير لعبادة الأوثان كما قال ابن تيمية ، بل حاصله أن سلوك طريق السحر والكهانة محرم في شريعتنا ، هكذا صرح به من أطلع عليه من العلماء . ولا يخفى أن حكاية الكفر وتوصيفه للتحذير منه والوقوف على صورته جائز .

^{٩٢} في الرسالة (٢١) المودعة في تاريخ نجد ص ٣٤٨ . ٣٤٩ لابن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد .

^{٩٣} لسان الميزان: ٤ / ٤٢٧ .

^{٩٤} طبقات الشافعية : ٣٧/٥

^{٩٥} مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة ٣١/١

^{٩٦} مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٠

الثالث : أن مؤلف كتاب السر المكتوم سواء كان هو الرازي ، أو غيره قد قال في مقدمة الكتاب : أما بعد فهذا كتاب
نجمع فيه ملخص ما وصل إلينا من علم الطلسمات والسحريات . مع التبري عن كل ما يخالف الدين واليقين . أ . هـ ٩٧

٤. تهمة ابن تيمية للرازي بتهمة أخرى باطلة : قال ابن تيمية . غفر الله له . : [وقد قيل إن الأشعري في

آخر عمره أقرّ بتكافؤ الأدلة ، واعتبر ذلك بالرازي ، فإنه في هذه وهي مسألة حدوث الأجسام يذكر أدلة الطائفتين ،
ويصرح في آخر كتبه وآخر عمره وهو كتاب المطالب العالية بتكافؤ الأدلة وأن المسألة من محارات العقول ، ولهذا كان
الغالب على أتباعهم الشك والارتياب في الإسلام] ٩٨ .

ومعلوم أن الشاك في الإسلام كافر فضلاً عن المرتاب !! والذي ذكره الإمام فخر الدين الرازي في هذه المسألة في هذا
الكتاب هو أنه فصلّ دلائل الفلاسفة فيها ، واستقصى في تقرير الوجوه المستخرجة من اعتبار حال الفاعلية والمؤثرية
والدلائل المستنبطة من صفة القدرة والإرادة والحركة والسكون وغير ذلك ، كل ذلك على مذهب أصحاب القدم منهم
وعلى مذهب أصحاب الحدوث ، وختم هذه المباحث بقوله : [وهنا آخر الكلام في هذا البحث المهيب والمطلوب
الهائل] ٩٩ . ولم يصرح بتكافؤ الأدلة وأن هذه المسألة من محارات العقول !!! كما ذكر ابن تيمية . وكأنه . رحمه الله . يبين في
ذلك الفصل ما عند الفلاسفة من الاستدلال والاستدلال المضاد دون أن يذكر قوله هو ، من باب عرض أقوال الناس كما
هي لأنه في معرض البحث والنقل لا في مبحث الحكم ، ثم يذكر قوله معرباً ومفصلاً عنه بعد ذلك إذ يقول بعد ورقات
أربع : [فيذا تأملنا في السموات وفي الكواكب وفي أحوال العناصر الأربعة وفي أحوال الآثار العلوية والمعادن والنبات
والحيوان ولا سيما الإنسان ؛ وجدنا من الحكم القاهرة والدلائل الباهرة ما غرقت العقول فيها وحارت الألباب في
وصفها ، لاجرم كانت هذه الاعتبارات بالدلالة على وجود الفاعل المختار الحكيم الرحيم أولى ، ومتى ثبت القول
بالفاعل المختار فقد ثبت القول بحدوث العالم لا محالة] ١٠٠ . فهل يصح أن ينسب للإمام فخر الدين الرازي رحمه الله أنه
يقول بتكافؤ الأدلة في مسألة حدوث الأجسام وأن هذه المسألة من محارات العقول ؟ !!! .

وأما مسألة المعارضات والشبه فقد تبرأ من تبعاتها . رحمه الله تعالى . في وصيته التي أوصى بها حالة الاحتضار ، فقال : [
اعلموا أي كنت رجلاً محباً للعلم ، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته ، سواء كان حقاً أو
باطلاً ، ... ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في
القرآن ، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله ، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات ، ... وأما الكتب
التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه ، على سبيل التفضل والإنعام ، وإلا
فليحذف القول السيء ، فإنني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر] ١٠١ .

٩٧ مقدمة القضاء والقدر للشيخ محمد البغدادي .

٩٨ التسعينية ص ٢٠١

٩٩ المطالب العالية ٤ / ٣٢٢

١٠٠ المطالب العالية ٤ / ٣٢٧ . ورد الشيخ صلاح الدين الأردبلي .

١٠١ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢١ / ٥٠٠ . ٥٠١ . ورد الشيخ صلاح الدين الأردبلي على الكاتب .

تنبيه : يشاع في كتابات الكاتب وغيره أن ابن حجر قال في لسان الميزان في آخر ترجمة فخر الدين الرازي [أوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده] !!! . ولكن من نظر في طبعة لسان الميزان المحققة على عدة نسخ خطية ، بعناية الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله ، تبين له أن تلك الكلمة ليست في شيء من النسخ الخطية ، بل مكتوبة في حاشية إحدى النسخ ، فبطل إثبات تلك الكلمة عن الحافظ ابن حجر رحمه الله والاستدلال بها والبناء عليها وعلم أن آفات الكتب من نساخها المتعصبين أو المتهاونين.^{١٠٢}

تحامل ابن تيمية على الرازي:

اولاً : ليعلم الجميع أن كتب الرازي كانت هي المقررة في تعليم الناس في زمان ابن تيمية فابن تيمية مما استفاد منها بلا شك .

ثانياً : كان ابن تيمية يدرس لطلابه كتب الإمام الرازي ومنها الأربعين في أصول الدين .

قال ابن رجب: في ص ١٤ من العقود الدرية ((ولا زم الشيخ تقي الدين ابن تيمية مدة ، وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي. أنهى ١٠٣.

ثالثاً: إليكم بعد ذلك صور من تحامل الإمام ابن تيمية على الإمام الرازي يتبين به مدى تحامله عليه:

١. تدرج في تحامله عليه فبدأ بتنقصه من حيث ما يستمد منه الرازي علمه: فيقول وأما قول أئمة

الحديث والتصوف والتفسير فكلام الرازي يدل على أنه لم يكن مطلعاً على ذلك. وكذلك كلام الصحابة

والتابعين لهم بإحسان . أنهى كلامه كما في موافقة صريح المنقول ٨٢/٢

مع أن الرازي ملأ تفسيره بالنقل عن أئمة الفقه والحديث والصحب الكرام . والتابعين وانظره لتستيقن .

٢. حين رد على الرازي في القانون الكلي: يقول ابن تيمية : فالنصارى أقرب إلى تعظيم الرسل والأنبياء من هؤلاء أ . هـ .
الموافقة ٧٠٤/١

وهذه لا تحتاج إلى رد فبينهما (شهادة التوحيد يوم الموقف العظيم) . ولا نعلم إلا أن النصارى كان تعظيمهم لنبيهم عبادة له ، فهل نرتضي هذا المقام للرازي.

٣. يتهم الإمام الرازي بالحيرة ولا يكاد يخلو كتاب من كتبه من الكلام عن هذا ، فترى ذلك مثلاً في الفرقان (٩٧/١) مج الرسائل الكبرى . معارج الوصول (١٨٥/١) ، الرد على المنطقيين (٣٢١) تفسير سورة الإخلاص ١٣٧ . ١٠٤ فلا يخفى والله أن هذا يدل على حقد عظيم على الرازي غفر الله لهما.

^{١٠٢} استفاد من رد الشيخ صلاح الدين الأردبلي .

^{١٠٣} كتاب الأربعين في أصول الدين تحقيق د/أحمد حجازي ص ٦ .

^{١٠٤} مقدمة كتاب القدر للرازي بتحقيق محمد البغداديص ٢٢ .

وقد سبق أن ذكرت أن الصحابي إذا قال: ليتني شجرة تعضد، أو ليت أُمي لم تلدني، ونحو هذا الكلام وكذا قول الرازي: تأملت الطرق الكلامية.. إلى أن قال: فلم أجد كالكاتب والسنة فلا شك والله في فضل هذا الكلام وفضل قائله، وهو يدل على عظيم محاسبته لنفسه وخوفه من ربه وهذا دأب الخاشعين المخلصين. رحمه الله تعالى رحمة واسعة. ولا شك أنه لا أهدى من الكتاب والسنة.

٤- يتهمة بالكذب كما في المناظرة في العقيدة الواسطية فيقول أنه قال: أبكذب ابن الخطيب (أي الرازي) وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين.!!!!!!

٥. ثم وصل به الحال والمقال حتى كثر الإمام الرازي وقال ((عبادة الأصنام باح بها متأخروهم كالرازي وصنف فيها مصنفاً ((!!)). مجموعة الرسائل الكبرى (١/١٥٩). وقال أيضاً: وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبادة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين. أ. هـ تاريخ نجد ٣٤٨
ولا تعليق فقد سبق ما فيه شفاء.

ثانياً: حتى نعلم هل كان السبكي متعصباً أم أن الإمام الذهبي غفر الله له أكثر التحامل على الأشعرية فبالإضافة إلى ما سبق انظر كلامه في الإمام الآمدي قال الإمام الذهبي في ترجمة سيف الدين الآمدي: [قد نفى من دمشق لسوء اعتقاده، وصح عنه أنه كان يترك الصلاة) ١٠٥

ثم قارن بينه وبين الإمام ابن كثير حيث قال ابن كثير في ترجمة الآمدي: [وكان كثير البكاء رقيق القلب، وقد تكلموا فيه بأشياء، الله أعلم بصحتها، والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبها صحة] ١٠٦. وقال ابن حجر: [تفقه لأحمد ابن حنبل، ثم تحول شافعيًا،... وكان يظهر منه رقة قلب وسرعة دمعة...] ثم نقل قول القائل [شككنا هل يصلي؟] ١٠٧ فهل رقيق القلب لا يصلي؟! رجل سريع الدمعة لا يصلي!! وما هو الدليل على أنه لا يصلي؟ خبر وضعوه على رجله فتركوه حتى نام، وعلمنا على رجله بالخبر، فبقيت العلامة نحو يومين مكانها. أي أن الآمدي لم يشعر بحرج يسكب على رجله ولم يستيقظ!!

١. وهذه القصة باطلة سنداً ومتناً فأما السند فقد رويت بصيغة التمريض.

٢. من جهة المتن ففيه نكارة إذ كيف رجل رقيق القلب سريع الدمعة من خشية الله ولا يصلي.

٣. على فرض ثبوت قصة الخبر فقد قال الشيخ عبدالرزاق العفيفي: أقول قد يبقى الخبر أياماً على العضو مع تتابع الوضوء والغسل وخاصة عضو من لا يرى التدليك فرضاً في الطهارة بل يكتفي بإسالة الماء: والأصل البراءة حتى تثبت التهمة. أ. هـ كلام الشيخ العفيفي ١٠٨ فليت في هذا إيقاظاً لذوي الديانة.

١٠٥ ميزان الاعتدال: ٢ / ٢٥٩

١٠٦ البداية والنهاية لابن كثير: ١٣ / ١٥١

١٠٧ لسان الميزان: ٣ / ١٣٤ - ١٣٥.

١٠٨ كتاب اتهامات كاذبة ص ٤٥ تأليف إبراهيم الحازمي.

ثالثاً : إمام الحرمين رحمه الله ، وهو أبو المعالي عبد الملك الجويني ذكر أهل السير حكاية حيرته وقد رويت الحكاية من طريق الحافظ أبي العلاء العطار الهمداني الحسن بن أحمد بن الحسن ، عن الشيخ الصوفي أبي جعفر الهمداني محمد بن الحسن بن محمد أنه قال : سمعت أبا المعالي وسئل عن قوله تعالى [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] [١٠٩]. فقال: كان الله ولا عرش . وجعل يتخبط ، فقلت: هل عندك للضرورات من حيلة ؟ . فقال: ما معنى هذه الإشارة؟ . قلت: ما قال عارف قط يا ربه إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة . يقصد الفوق . ، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة فتنبئنا نتخلص من الفوق والتحت؟ ! . وبكيت ، وبكى الخلق ، فضرب بكمه على السرير ، وصاح بالحيرة ، ومزق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ونزل يقول: يا حبيبي ، الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة [١١٠] . وفي الطريق الآخر أنه قال فيما بعد: حيرني الهمداني .

وهي قصة لا تثبت سنداً ولا متناً :

أما متناً فانظر إلى صياغة هذه المسرحية (١. صاح بالحيرة ، ٢. ومزق ما كان عليه ، وصارت قيامة في المسجد ، ٣. ونزل يقول: يا حبيبي ، الحيرة الحيرة ، والدهشة الدهشة!!!!!! يقول إمام من أئمة الأمة في الفقه والاعتقاد !!.

أما من جهة السند فأنت بسندين :

الأول : ضعيف لأن الذهبي الذي أورد القصة نقلها عن أبي منصور بن الوليد فالذهبي ولد : ٦٧٣ هـ وتوفي : ٧٤٨ هـ وأبو منصور بن الوليد الحرمي الحنبلي الذي روى عنه الذهبي القصة توفي : ٦٤٣ هـ أي أن الحرمي توفي قبل ولادة الذهبي بثلاثين عاماً ، ف يعني ذلك أن الذهبي لم يسمع منه القصة بنفسه مباشرة !! وكتاب العلو ألفه الذهبي في عشرينيات عمره !! أي بعد أكثر من خمسين عاماً من وفاة الحرمي .

والحرمي وجه رسالة إلى الزنجاني نقل عنها الذهبي هذا الكلام لكن الزنجاني الموجهة إليه الرسالة هنا هو سعد بن علي الزنجاني : ولد : ٣٨٠ هـ توفي : ٤٧١ هـ

السند الثاني : ضعيف أيضاً أوردتها أيضاً الذهبي في السير : أخبرنا يحيى بن أبي منصور الفقيه في كتابه ، عن عبد القادر الحافظ ، أخبرنا أبو العلاء الهمداني ، أخبرني أبو جعفر الحافظ ، سمعت أبا المعالي وسئل عن قوله : "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ" طه.... إلخ يقول الذهبي أخبرنا يحيى بن أبي منصور الفقيه : يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي بن إبراهيم الصيرفي الحاراني الفقيه الحنبلي ، وانظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب . ولد : ٥٨٣ هـ توفي : ٦٧٨ هـ يحيى الصيرفي الحنبلي الحاراني . وهذا يعني أن الذهبي لما توفي هذا الفقيه الحنبلي كان له من العمر ٥ سنوات فقط !!! فكيف يروي طفل عمره خمس سنوات بلا تمييز عن شيخ متغير الحال ؟! فإن الإمام الصيرفي قد اختلط آخر عمره فحجبه أبناءه عن الناس ، فهو إذن لم يرى أي شخص في آخر سنتين من عمره ولم يره أحد . وهذا يعني أن هذا الفقيه الحنبلي غاب عن الناس وللذهبي ثلاثة أعوام فقط . يقول ابن رجب في ترجمته : وكان قد عمر وتغير من الهرم قبل موته

[١٠٩] آية ٥ سورة طه .

[١١٠] سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨ / ٤٧٧ ، وانظر: ١٨ / ٤٧٤ - ٤٧٥ .

بعامين أو أكثر. فحجبه ولده. انظر ذيل طبقات الحنابلة . والمعروف إذن أن الذهبي. إنما روى عنه بالإجازة كما قال

ابن رجب . بل وهي في الإجازات من أضعف أنواع الإجازة !!!

فبطل التعلق بهذه القصص الواهية سنداً وممتناً . وبذا نعلم تعجل الشيخ الألباني في قوله بثبوتها .

تقييم الكاتب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني

قال الكاتب هداة الله : والذي أراه أن الحافظ - رحمه الله - أقرب شيء إلى عقيدة مفوضة الحنابلة كأبي يعلى ونحوه ممن ذكرهم شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل ووصفهم بمحبة الآثار والتمسك بها ، لكنهم وافقوا بعض أصول المتكلمين وتابعوهم ظانين صحتها عن حسن نية . ولو قيل إن الحافظ - رحمه الله - كان متذبذباً في عقيدته لكان ذلك أقرب إلى الصواب كما يدل عليه شرحه لكتاب التوحيد والله أعلم . وقد كان من الحنابلة من ذهب إلى أبعد من هذا كابن الجوزي وابن عقيل وابن الزاغوني ، ومع ذلك فهؤلاء كانوا أعداء الداء للأشاعة ، ولا يجوز بحال أن يعتبروا أشاعة فما بالك بأولئك إلى أن قال: وكثيراً ما تجد في كتب الجرح والتعديل - ومنها لسان الميزان للحافظ ابن حجر - قولهم عن الرجل أنه وافق المعتزلة في أشياء من مصنفاته أو وافق الخوارج في بعض أقوالهم وهكذا ، ومع هذا لا يعتبرونه معتزلياً أو خارجياً ، وهذا المنهج إذا طبقناه على الحافظ وعلى النووي وأمثالهما لم يصح اعتبارهم أشاعة وإنما يقال وافقوا الأشاعة في أشياء ، مع ضرورة بيان هذه الأشياء واستدراكها عليهم حتى يمكن الاستفادة من كتبهم بلا توجس في موضوعات العقيدة.

الجواب: أولاً: بالنسبة لمفوضة الحنابلة وهم أكثر الحنابلة فهم من أهل السنة والجماعة وهذا هو المطلوب، فابن الجوزي ، وابن هبيرة ، وابن حمدان ، والتميمي ، وجمهور الحنابلة من أهل السنة والجماعة على مسلك التفويض. وسيأتي بيان معنى التأويل والتفويض. وكون ابن عقيل أو ابن الجوزي يخالفون بعض الأشاعة في بعض المسائل فليست المسألة عداوات كما تتصورها أخي الكريم، وإنما هذا حال العلماء فبعضهم يرد على بعض ، وقد سبق أن بينت لكم حال الإمام أحمد مع الإمام الكرايسي وحال أبي زرعة مع البخاري . فإذاً ليس كل من خالف عالماً كان معادياً له وإلا فهو هوى وليس بعلم. فإن كان عداء فلا يعني أن يخرج من الفرقة الناجية . بل قد يخالف في مسألة اجتهادية أو في طلب أسلوب أفضل ، أو في الرد على شخص معين أخطأ في تقرير مذهب الأشاعة ، أو اعتراض على أساليب التعليم بالنظر إلى حال المتعلمين ، أو على التوسع في التأويل من بعضهم ، وليس اعتراض على التأويل . وكل الخلاف بين الأشاعة والحنابلة كقاعدة أغلبية فإنما هو في التأويل والتفويض وهي مسألة اجتهادية لن ينتهي الخلاف فيها إلا أن يشاء الله ، ولا يعني ذلك اخراج أحد المسلمين من حيز الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهي كخلاف العلماء في كفر تارك الصلاة ونحوها من المسائل الاجتهادية ، فسيقول الحنبلي بكفر تاركها ويقول الجمهور بعدم كفره ولن ينتهي الخلاف فيها لأنها مسألة ظنية .

ثانياً: بالنسبة لعقيدة الحافظ ابن حجر: فأشعري لا محالة ، وتأويلاته الكثيرة في فتح الباري تدل على ذلك فمن ذلك قوله : ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محاليتين على الله أن لا يوصف بالعلو ، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى ، والمستحيل هو أن يكون ذلك من جهة الحس))^{١١١} هـ ، أما تعريفه للإيمان فهو عين تعريف الأشاعة وسيأتي إيضاح ذلك في الرد على النقاط التي اشتبهت على الكاتب عن علماء أهل السنة والجماعة .

وقال الحافظ في مقدمة الفتوح ص ٢٠٨ : قوله : (أطولهن يداً) أي: أسمحهن، ووقع ذكر اليد في القرآن والحديث مضافاً إلى الله تعالى ، واتفق أهل السنة والجماعة على أنه ليس المراد باليد الجارحة التي هي من صفات المحدثات ، وأثبتوا

ما جاء من ذلك وآمنوا به ؛ فمنهم من وقف ولم يتأول، ومنهم من حمل كل لفظ منها على المعنى الذي ظهر له، وهكذا عملوا في جميع ما جاء من أمثال ذلك. اهـ

قال الحافظ في الفتح ١ / ٢٢٩ : قوله: "إن الله لا يستحيي من الحق" أي لا يأمر بالحياء في الحق.
قال الحافظ في الفتح ١ / ٣٥٢ : "والمراد باليد هنا القدرة." أي في قول ابن مسعود: "والذي نفسي بيده"، قال الحافظ ابن حجر ١/٥٠٨ : "وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته "[أي: حديث : إن ربه بينه وبين القبلة] وقال الحافظ ١ / ٥١٤ : " لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها عقلا عضو مخصوص ، ولا مقابلة ، ولا قرب ... " فلا شك في أشعريته رحمه الله تعالى شأنه في ذلك شأن السواد الأعظم من علماء الأمة.
ثالثاً: بالنسبة للإمام النووي فأشعري يدور بين التأويل و التفويض وإليك بعض أقواله الدالة على ذلك والتي يثني فيها على المتكلمين من الأشعرية: يقول في مسألة الكسب والقدر: وقد قرر أئمتنا من المتكلمين ذلك أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية. أ. هـ ١١٢

ويقول: اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين... ١١٣ وتنبه لقوله: أهل السنة .
تنبيه : تأول الموحان قول النووي : (قرر أئمتنا من المتكلمين) أنه يقصد الشافعية أي من جهة الفقه لا العقيدة ، فلا أدري ماذا يصنع بقول النووي : اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين. فهو يقول: أهل السنة. ويقول: محدثين ، وفقهاء ، و متكلمين . هداكم الله لقبول الحق .

قال الذهبي في ترجمة (النووي) في ((تاريخ الإسلام)) إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت ، وإمرارها كما جاءت ، و ربما تأول قليلاً في شرح مسلم . ونقله السخاوي في ((ترجمة الإمام النووي)) (٣٦) عنه ، وتعقبه بقوله: كذا قال ، و التأويل كثير في كلامه . ونقل السخاوي قبل ذلك عن بعض مترجميه أنه وصفه بأنه أشعري ، فقال : (ص ٣٦) : وصرح اليافعي والتاج السُّبكي - رحمهما الله - أنه أشعري. أنتهى
وانظر إلى هذا القول الذي لا يمكن دفعه الدال قطعاً على عقيدة النووي قال النووي : من اعتقد قدم العالم أو حدوث الصانع... أو أثبت له الاتصال أو الانفصال ، كان كافراً. ١١٤ أ نتهى

رابعاً : بالنسبة لمذهب المفوضة فهو أيضاً عندكم من أشر المذاهب فسواء كان الحافظ النووي، والحافظ ابن حجر ، وابن الجوزي أشعرية أم مفوضة فكل المذهبين ليسوا من أهل السنة والجماعة بميزانكم والله المستعان .

قال الكاتب : قال فضيلة الشيخ الفوزان عن الأشاعرة : " نعم هم من أهل السنة والجماعة في بقية أبواب الإيمان والعقيدة وليسوا منهم في باب الصفات " .

١١٢ شرح صحيح مسلم ١/١١٠

١١٣ شرح صحيح مسلم ١/١٠٦

١١٤ روضة الطالبين ١٠/٦٤

وهذا سبق قلم من فضيلته ، ومثل هذه الدعوى هي التي يهش لها الأشاعرة المعاصرون ويروجونها ، لأنه إذا كان الفارق هو الصفات فقط قالوا إن الخلاف فيها أصله الاجتهاد والكل متفقون على التنزيه فكأنه لا خلاف إذن ، وربما قالوا نحن مستعدون أن نثبت لله يداً وعيناً وسائر الصفات في سبيل توحيد الصف ووحدة الكلمة !!

الجواب : وهل هذا ما يقلقك هداك الله ؟ أم تريد أن تحمل سائر أهل السنة والجماعة على فهمك وليتك مصيب ؟ !! ثم من قال لك أن الأشاعرة ينفون صفة العين واليد؟؟ فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة يثبتون ذلك ولكنهم ينفون المعنى الباطل ، فينفون كون اليد هي العضو والجارحة ، وينفون كون العين هي الحدقة المحاطة بجفن وإنما العين عندهم صفة لله تعالى ثم بعد ذلك إما أن يخاض في بيان معناها على الوجه اللائق بالله السائغ في لغة العرب وهذا هو التأويل ، أو تمر بلا تفسير لمعناها ويكتفى بمعرفة المراد من خلال السياق والسباق وهذا هو التفويض. وسيأتي بيان خطأك العظيم في فهم المسائل عند الأشاعرة إن شاء الله وتوضيح أكثر لهذه المسألة .

شروع الكاتب في نقد المسائل بعد كيل التهم

قال الأخ الكاتب وفقه الله لرضاه:

مصدر التلقي

مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل ، وقد صرح الجويني والرازي والبغدادى والغزالي والآمدى والأيجي وابن فورك والسنوسي وشرح الجوهرية وسائر أئمتهم بتقديم العقل على النقل عند التعارض.

الجواب : ذكر الكاتب مسألتين في هذه الفقرة :

الأولى: مصدر التلقي ، والثانية مسألة تقديم العقل على النقل عند التعارض.

جواب المسألة الأولى : ليس بصحيح أن مصدر التلقي عندهم هو مجرد العقل وإنما العقل فقط شرط للفهم والتكليف وأما الأحكام كلها فتثبت بالشرع .

١. قال الإمام الباجوري: مذهب الأشاعرة أن الأحكام كلها تثبت بالشرع لكن بشرط العقل .^{١١٥} وهم بذلك يخالفون المعتزلة الذين يقولون : أن الأحكام كلها تثبت بالعقل .^{١١٦}

٢. وقال الإمام الباقلاني: واعلم أن طرق المباين عن الأدلة التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه: كتاب الله عزوجل

وسنة رسوله وإجماع الأمة .وما استخرج من هذه النصوص و بني عليها بطريق القياس والاجتهاد وحجج العقول.^{١١٧}

٣. وقال عبدالسلام اللقاني في تحفة المريد : لا يجب على المكلف معرفة ماقدوجب لله عقلاً إلا بالشرع إذ قبله لا حكم أصلاً لا أصلياً ولا فرعياً كما هو المنقول عن الأشاعرة وجمع من غيرهم. أ. هـ^{١١٨}

٤. قال ابن الأمير في حاشيته : متى تقرر الحكم في الواقع تعلق به ووجب الامتثال بمجرد إخبار الرسول فإن قال قائل :

من أين صحة رسالته لنا ؟ قلنا دليله معجزة مقارنة لا يقبل الإعراض عند العاقل تمسكاً بهذا الهذيان .^{١١٩} اهـ كلامه رحمه

^{١١٥} حاشية الباجوري ص ٨٥ طبعة دار البيروني.

^{١١٦} والمعتزلة لا ينفون الشرع أصلاً وإلا لكفروا قطعاً بل قالوا : أن الشرع جاء مقويّاً ومؤكداً للعقل . نفس المصدر

^{١١٧} الإنصاف ص ٣٠

^{١١٨} تحفة المريد مع حاشية ابن الأمير ص ٦٠

^{١١٩} حاشية ابن الأمير ٦١، ٦٢

الله ، فانظر كيف جعل من يجعل مصدر التلقي هو العقل هو ضرب من الهذيان ، لأن الامتثال يكون بمجرد إخبار الرسول . فقول القائل : أن العقل هو مصدر التلقي عند الأشاعرة باطل وغير صحيح، ولكن العقل عندهم شرط لفهم الأحكام والتكليف بها ليخرج بذلك المجنون ونحوه من غير المكلفين. وأما المصدر عندهم فهو الشرع فقط كما سبق بيانه. فإذا علمت ذلك فلك أن تتعجب من الشيخ الموجان | هداه الله حين أبهرته النقول التي تبطل مزاعم شغف بأقوالهم بدون تحييص بل بمحض التقليد قرر في كتابه الشامل فقال: إن مذهب الأشاعرة والماتريدية انبنى في حقيقة أمره على التلقي من العقل لا السمع شاء ذلك الدكتور عمر أو لم يشأ . أ. هـ ١٢٠

هكذا بالقوة لا بالحجة لطلب الحق !!! ثم قال الموجان: قد أوضح صاحب المسامرة حقيقة ذلك بأن (الشرع إنما يثبت بالعقل، فإن ثبوته يتوقف على دلالة المعجزة على صدق المبلغ، وإنما ثبتت هذه الدلالة بالعقل، فلو أتى الشرع بما يكذب العقل وهو شاهد له لبطل الشرع والعقل معاً) ١٢١ ثم عزاه إلى كتاب المسامرة شرح المسامرة ص ٣١ وهذا الكلام لا يوجد في المسامرة فقد بحثته فلم أجده بل الموجود في المسامرة ما نصه: وأولى ما يستضاء به من الأنوار ، ويسلك من طرق الاعتبار ، ما اشتمل عليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان . ثم ساق الأدلة من الكتاب الكريم ١٢٢ هذا الكلام بنصه . وليس هذا قول الأشاعرة فقط بل هو قول بقية أهل السنة والجماعة ومنهم الحنابلة وغيرهم . وبه بطلت دعوى الموجان والحوالي هدنا الله وهما إلى الحق وأمانتنا عليه .

شواهد خضع فيها الكفار لديننا لاحترامه العقل

بينما يشنشن الكثير من السطحين حول تهميش العقل في كونه وسيلة للعلم اليقيني ، نرى مدى تفاعل وتأثر كثير من الباحثين بقوة هذا المبدأ. وإليكم مثال:

فهذا الكاتب الماركسي "مسكيم رودنسون" يقول في حديثه عن "العقيدة القرآنية": "القرآن كتاب مقدس، تحتل فيه العقلانية مكاناً جديداً كبيراً، فالله لا ينفك فيه يناقش ويقيم البراهين، بل إن أكثر ما يلفت النظر هو أن الوحي نفسه - هذه الظاهرة الأقل اتساماً بالعقلانية في أي دين، الوحي الذي أنزله الله على مختلف الرسل عبر العصور، وعلى خاتمهم محمد - يعتبره القرآن هو نفسه أداة للبرهان، فهو في مناسبات عديدة يكرر لنا أن الرسل قد جاءوا "بالبينات" وهو لا يأل يتحدى معارضيهِ، أن يأتوا بمثله. والقرآن ما ينفك يقدم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية، ففي خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتوالد الحيوان، ودوران الكواكب والأفلاك، وتنوع الخيرات، والحياة الحيوانية والنباتية، تنوعاً رائعاً التطابق مع حاجات البشر، لآيات لأولي الألباب سورة آل عمران: ١٨٠ .

وفعل "عقل" "بمعنى ربط الأفكار بعضها ببعض .. حاكم البرهان العقلي" يتكرر في القرآن حوالي خمسين مرة،

ويتكرر ثلاث عشرة مرة هذا السؤال الاستنكاري، وكأنه لازمة {أفلا تعقلون} (سورة البقرة: ٤٤).

١٢٠ الرد الشامل ص ٣٤

١٢١ الرد الشامل ص ٣٤

١٢٢ المسامرة ص ٣٩

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

"والكفار أولئك الذين يرفضون الاستماع إلى دعوة محمد، يوصفون بأنهم "قوم لا يعقلون"، لأنهم قاصرون عن أي جهد عقلي، يهز تقاليدهم الموروثة، وهم بهذا كالجملادات والأنعام، بل أكثر عجمة، ولذلك يكره الله هؤلاء الناس، الذين لا يريدون أن يعيدوا النظر في أسس تفكيرهم."

"ولئن كان "يعني الله سبحانه" يرسل الآيات "الدالة" على وجوده وإرادته، وأهمها الآيات المنزلة على نبيه محمد، فلكي يفهمها الناس، ويجعلوا منها أساساً لتفكيرهم، ونرى الله يقيم البينة الفاصلة، ثم يختتم البرهان بقوله: {كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون} (سورة الروم: ٢٨).

ويستمر الكاتب في بيان احترام عقلانية الإسلام، مقارناً هذه بما جاء في العهدين القديم والجديد، لليهود والمسيحيين، إلى أن يقول "في مقابلة هذا، تبدو العقلانية القرآنية صلبة، كأنها الصخر". انتهى.

الشق الثاني: هل يقدم العقل على النقل عند التعارض؟

أخي الكريم فلتعلم أنه لا بد أولاً من معرفة أن الدليل ينقسم إلى ظني وقطعي.
فأولاً: لا بد أن نعرف ماهو الدليل ثم أذكر تعريف القطعي والظني وبالله التوفيق.

الدليل: اصطلاحاً له معنيان فالمعنى الأعم له: هو ما توصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري. فهو يشمل الدليل القطعي والظني.^{١٢٣}

فالقطعي نجزم بلا تردد بثبوته وبدلالته على المعنى المراد لأنه لا يتطرق إليه الاحتمال .

تعريف القطعي: قال التفتازاني: القطع يطلق على نفي الاحتمال أصلاً، وعلى نفي الاحتمال الناشيء عن دليل.^{١٢٤}
ثمرة الدليل القطعي: أنه يفيد العلم اليقيني الذي لا تردد ولا شك فيه. قال الإمام السبكي: الدليل القطعي هو ما يفيد العلم اليقيني.^{١٢٥}

تعريف الظني: قال الطوفي هو حكم راجح غير جازم. وقال الآمدي: ترجح أحد الاحتمالين على الآخر من غير قطع.
١٢٦

وعلى ما سبق فإن الحديث الشريف قد يكون ظني الثبوت وهو كل ماسوى المتواتر .

وقديكون الدليل ظني الدلالة وهو ما لم تكن دلالاته دلالة نص أي دلالة تدل قطعاً على أن المراد هذا المعنى دون غيره فيخرج بذلك بقية أنواع الدلالة.

وهذا التقسيم يترتب عليه أحكام عند العلماء فلم يوضع عبثاً .

وأذكركم أن الاحتمالات في اللفظ ثلاثة :

الأولى : دلالة النص: أو الصريح: وهو ما لا يرد عليه الاحتمال قطعاً بلا لبس أو شك .ولذا فلا يمكن أن يتعارض قطعي النقل مع قطعي العقل في هذه الحالة .

^{١٢٣} الإحكام للإمام الآمدي ١٢/١ شرح الكوكب المنير ٥١/١

^{١٢٤} شرح التلويح ٣٥/١

^{١٢٥} الإجماع ٢١٠/٣

^{١٢٦} شرح البلبل ١٦١/١ والإحكام للآمدي ٣٠/١

قال السرخسي : النص المطلق يوجب الحكم قطعاً.^{١٢٧}

الثانية : الظاهر: وهو ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر من الآخر.^{١٢٨}

فالظاهر : يفيد الظن ولا يفيد القطع عند الجمهور.^{١٢٩}

الثالثة : المجل : مالا ينبئ عن المراد بنفسه .^{١٣٠} ولذا فهو يحتاج مرجح من غيره.

ولذا فإن المجل وأيضاً ما يسمى بالمشكل والخفي والمتشابه لا يفيد قطعاً ولا ظناً بل يتوقف فيه حتى يرد ما يرجح معناه .
ولذا فمعرفة أصول الفقه أمر لازم لفهم مسائل الاعتقاد والذي يقول أنه عالم في العقيدة وهو لا يفهم أصول الفقه فهماً جيداً، ولا يفهم البلاغة، ولا المنطق، فقد ظلم نفسه وظلم غيره ولا بد من فهم اللغة العربية . بلاغة، وتصريفاً، ونحواً. وغير ذلك من علوم الآلة .

نتيجة ما سبق:

إذا تعارض دليل شرعي ظني الثبوت أو الدلالة مع قطعي العقل أو قطعي النقل فلا يرد النقلي هكذا اعتباطاً بل يحمل على محمل صحيح، فإذا أمكن الجمع بينهما لم يرد، وإن لم يمكن الجمع بينهما فحينئذ يعدل إلى الترجيح فيقدم. وهذا معنى كلام الإمام الرازي الذي نقله الكاتب فلا داعي للتشنيع على علماء الأمة . لأن القطعي لا يمكن أن يعارض القطعي ولذا فوجوده أصلاً محال .

مثال لمعارضة ظني النقل للدليل العقلي القطعي : لدينا قطعي عقلي وهو أن الله عز وجل لا يمكن أن يمرض أو يموت سبحانه وتعالى . لكن قد يعارضه أخذ بعض الناس بظاهر حديث (عبدى مرضت فلم تعدني). ففي الحديث إثبات إضافة المرض لله سبحانه وتعالى وهو معارض بالدليل العقلي القاطع وهو أنه يستحيل أن يمرض الخالق جل شأنه ، فوجب على الواقف على الحديث أن يرد هذا المعنى المحتمل في ظاهر اللفظ بدلالة العقل القطعية إلى معنى صحيح. لأننا لو قلنا أن هذا النقل يسلم على ظاهره ويثبت منه صفة المرض لله فهذا يعارض إثبات كون الله يستحيل عليه النقص .

قال الإمام الرازي رحمه الله : ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل ، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى ، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق " . أ . هـ .
لفتة : تجد أن الإمام الرازي رحمه الله تعالى يذكر الطريقتين الذي يمشي الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة عليها وهما طريق التفويض وطريق التأويل . فهذا هو القانون الكلي وهو من عهد الصحابة إلى يومنا ولم يخترعه الرازي كما يتوهمون . وقد كرر الموجان نفس شبهة الحوالي فقال الموجان : فالكثور سفر أخذ من مبدأ تقديم العقل على النقل ، أن النقل أصل

^{١٢٧} اصول السرخسي ١ / ١٣٨

^{١٢٨} العدة ١ / ١٤١ قواطع الأدلة ٢ / ٤٨٠

^{١٢٩} البرهان ١ / ١٣٥ والمستصفي ٣ / ٨٥

^{١٣٠} العدة ١ / ١٤٢ روضة الناظر ٢ / ٥٧٠

يقدم على ماسواه أ. هـ^{١٣١} وقد تبين مما سبق أن هذا افتراء لا أساس له من الصحة بل هو مجرد مكابرة للحقائق المنقولة عنهم.

اعتراض الكاتب على الإمام السنوسي

قال الكاتب: يقول السنوسي (ت ٨٨٥) في شرح الكبرى :

" وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجتيهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي ، وأيضاً فقد وقعت فيهما ظواهر من اعتقدها على ظاهرهما كفر عند جماعة وابتدع

ويقول : " أصول الكفر ستة ... " ذكر خمسة ثم قال :

" سادساً : التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية " .

الجواب : أولاً : كلام الإمام السنوسي كلام عظيم لمن يفهم العلم على ماهو عليه . وأضرب لذلك مثلاً من كتاب الله رده علماء أهل السنة بدلائل العقل القطعية وبه يتضح معنى كلام الإمام السنوسي إن شاء الله .
قال الله تعالى ((مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)) أخذ بذلك أناس من الأمة فقالوا إن الله معنا في هذه الأرض فكفرهم السلف بهذا . وشبهتهم أنهم أخذوا بظاهر الآيات والأحاديث في ذلك ، رغم أن هناك أصل قطعي يعلمه العقلاء ، وهو أن الله يستحيل أن يحل في مخلوقاته .

ومن هنا تعلم أن كلام السنوسي صحيح لا غبار عليه .

ثانياً : دقق يا أخي الكريم في قول السنوسي : التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على [البراهين العقلية] و [القواطع الشرعية]

فهو يتكلم عن الظواهر التي تخالف القطعيات من الأدلة الشرعية والقطعيات من البراهين العقلية وليس مجرد تحكيم لأهواء العقول كما يظن بعض الناس هداهم الله .

ثالثاً: ذكر السنوسي في كتابه المقدمات أن [من أصول الكفر والبدع التمسك في عقائد الإيمان

بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها ، وما لا يستحيل] . ثم قال في الشرح :
أما الكفر فكأخذ الثنوية القائلين بالوهية النور والظلمة من قوله تعالى [اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] وأن النور أحد الإلهين واسمه الله ، ولم ينظروا إلى استحالة كون النور إلهاً لأنه متغير حادث.^{١٣٢} . فليتك يا أخي كلفت نفسك بقراءة شرح ما كتب لأغناك ذلك عن سوء الظن به .

تعجب الكاتب من مبحث التعارض والترجيح عند العلماء

قال الكاتب: صرح - متكلموهم - ومنهم من سبق في فقرة " أ " أن نصوص الكتاب والسنة ظنية الدلالة ولا تفيد اليقين إلا إذا سلمت من عشر عوارض منها :
الاضمار والتخصيص والنقل والاشتراك والمجاز ... الخ ، وسلمت بعد هذا من المعارض العقلي ..

الجواب: أخي الكاتب غفر الله لك . إن من لديه أساسيات علم الأصول يعرف مبحث التعارض والترجيح بين الأدلة . فكيف تتعجب من كلام الإمام الرازي وهو شيء غير مستنكر عند أي طالب علم؟! وإن كان غيره من أهل الاجتهاد قد يخالفه في جزئيات مما ذكر ، ولا شك أن في الكتاب والسنة نصوص ظنية غير قطعية ، والظني لا يبنى عليه قطعي ، وإلا

^{١٣١} الرد الشامل ٦٩

^{١٣٢} شرح المقدمات للسنوسي: ص ٤٥ ، ٤٨ .

لكان مخالف الظني واقع في الكفر أو الفسق على أقل تقدير . وإن كان هناك أدلة ظنية بُنيت عليها أحكام قطعية ، فذلك بمستند إجماع الأمة عليها . فالإجماع هو مستند القطع في مثل هذه المسائل . وأما أكثر المسائل التي اختلف فيها العلماء ، فلأن أدلتها ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أما القطعية ثبوتاً ودلالة فلا خلاف بين العلماء فيها أصلاً .
وإثبات صفة لله بالظنيات المعارضة بالقطعيات ممتنع .

مثاله : وصف الله بأنه جالس على العرش ويجلس نبيه معه يوم القيامة فهذا باطل من جهتين :

١. من جهة النقل لأنه حديث ضعيف فهو ظني الثبوت .
٢. ومن جهة العقل لأنه يخالف أصل أصيل وهو نفي النقص عن الله تعالى ومشابته لمخلوقاته وكونه حالاً فيها .

ارتياب الكاتب بكون العلماء يردون السنة

قال الكاتب: موقفهم من السنة خاصة أنه لا يثبت بها عقيدة ، بل المتواتر منها يجب تأويله وأحاديدها لا يجب الاشتغال بها حتى على سبيل التأويل ، حتى إن إمامهم الرازي قطع بأن رواية الصحابة كلهم مضمونة بالنسبة لعدالتهم وحفظهم سواء ، وأنه في الصحيحين أحاديث وضعها الزنادقة ... إلى آخر ما لا استجيز نقله لغير المختصين ، وهو في كتابه أساس التقديس والأربعين.

الجواب : غفر الله لك كم تحب التشنيع وأنا سأنقل الكلام الذي قاله الرازي لنرى هل في كلامه خطأ؟! ولكن قبل ذلك نجيب على الدعوى الأولى : يقول الكاتب هده الله (موقفهم من السنة خاصة أنه لا يثبت بها عقيدة ، بل المتواتر منها يجب تأويله وأحاديدها لا يجب الاشتغال بها حتى على سبيل التأويل)
الجواب: ١. أن هذا الكلام هو في المتشابه فقط أما المحكم فلا إشكال فيه والله الحمد فيثبت مقتضاه على ما يليق بالله بالدليل القاطع .

٢. أما إذا كان من المتشابه فقال الإمام ابن أبي شريف : كل لفظ يردني الشرع مما يسند إلى الله أو يطلق اسماً أو صفة له ، وهو مخالف للعقل ويسمى المتشابه فلا يخلو إما : أن يتواتر أو ينقل آحاداً .

(أ) والآحاد إن كان نصاً لا يحتمل التأويل (أي قطعي في دلالة أي لا يحتمل معان أخرى في اللغة لاثقة بالله فإن كان قطعي الدلالة) قطعنا بافتراء ناقله أو غلطه أو سهوه وإن كان ظاهراً (أي ظاهر الدلالة) فظايره غير مراد . أ. هـ (لأن له معنى آخر لائق بالله فيعدل إليه) .

(ب) ^{١٣٣} وإن كان متواتراً فلا يتصور أن يكون نصاً لا يحتمل التأويل (أي لا يتصور كونه قطعي الدلالة) بل لابد وأن يكون ظاهراً ، وحينئذ نقول: الاحتمال الذي ينفيه العقل ليس مراداً منه ، ثم إن بقي بعد انتفاء احتمال واحد تعين أنه المراد ^{١٣٤} بحكم الحال . وإن بقي احتمالان فصاعداً فلا يخلو إما :

أن يدل قاطع على واحد منهما ، أو لا يدل . فإن دل على واحد منهما حمل عليه . وإن لم يدل قاطع على أحدهما فهل يعين معنى من هذه المعاني بالنظر والاجتهاد دفعاً للخطب عن العقائد ؟.

أولا يعين خشية الإلحاد في الأسماء والصفات ؟ أ. هـ (خلاف على قولين هما مذهب التفويض والتأويل أو ما يسمى مذهب السلف والخلف) ^{١٣٥}

^{١٣٣} لازال الكلام لابن أبي شريف .

^{١٣٤} أي تعين أن هذا الباقي هو المعنى المراد قطعاً .

وكلامه هنا هو معنى قول العلماء : لا نفسره ، وقولهم أمروها كما جاءت بلا كيف ولا معنى كما نقل ذلك بالسند الصحيح عن الإمام أحمد وغيره. لكن تميز كلام الإمام ابن أبي شريف بالتفصيل فقط ، وهذا واضح إن شاء الله لا يحتاج إلى إيضاح.

وسأضرب له مثلاً في ثالث الاستنتاجات إن شاء الله.

نتج من الكلام المنقول عدة أشياء :

اولها: أن الأشاعرة وسائر أهل السنة لا يبنذون السنة أصلاً ولا يأولونها اعتباطاً .

ثانيها: أنهم يأخذون بحديث الآحاد المتشابه فضلاً عن المتواتر ، مالم يدل معناه الظاهر قطعاً على معنى باطل لا يليق بالله . مثاله: عن قتادة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال : إنها لا تصلح لبشر)) أخرجه ابن أبي عاصم في السنه والخلال والطبراني والبيهقي .^{١٣٦}

هذا الحديث آحاد ولكنه قطعي في الدلالة على أن الخالق - سبحانه وتعالى - له رجلين يستلقي ويضع أحدهما على الأخرى . فلا بد من أحد الاحتمالات الثلاثة إما أن الحديث مكذوب ، أو غلط أحد الرواة أو سهى وسبحان من لا يسهو . وقطعاً لا يمكن أن يقبل لأنه مخالف للقطعيات في تنزيه الله فلا بد من رده. وقدرده العلماء لنكارة متنه ، ووهاء سنده .

ثالثاً : مثال للمتواتر وسأذكر آيات في ذلك فضل عن الأحاديث مثال ذلك ((ثم استوى على العرش يدبر الأمر)) فإن الله تعالى صفة الاستواء ثابتة في نصوص كثيرة وهنا عدة احتمالات .

فإما أن يكون معنى الاستواء هو الجلوس على العرش كما تقول المجسمة . أو معنى آخر لائق بالله ، فأهل السنة من الأشاعرة وغيرهم يثبتون صفة الاستواء ويقطعون أنه ليس بمعنى الجلوس . ثم بعد ذلك ينظرون في المعنى المراد ويعينونه أو يكتفون بالتفويض ، لكن بشرط اعتقاد أن معنى الجلوس ونحوه من النقائص غير مراد كما هو المسلك الآخر للأشاعرة وجمهور السلف .

أما كلام الإمام الرازي فهذا هو كما قال رحمه الله :

قال الإمام الرازي: كلام كلي في أخبار الآحاد

نقول : أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز . ويدل عليه وجوه :

الأول : أن أخبار الآحاد مظنونة . فلا يجوز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته . وإنما قلنا . إنها مظنونة . وذلك لأننا أجمعنا على أن الرواة ليسوا معصومين . وكيف ؟ "والروافض" لما اتفقوا على عصمة « علي » (رضي الله عنه) وحده . فإن المحدثين كفروهم . وإذا كان القول بعصمة « علي » - كرم الله وجهه - يوجب عليهم تكفير القائلين بعصمة « علي » فكيف يمكنهم القول بعصمة هؤلاء الرواة ؟ وإذا لم يكونوا معصومين ، كان

الخطأ عليهم جائزاً ، والكذب عليهم جائزاً . وحينئذ لا يكون صدقهم معلوماً ، بل مظنوناً . فثبت أن خبر الواحد مظنون . فوجب أن لا يجوز التمسك به لقوله تعالى : « إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً » []
ولقوله تعالى في صفة الكفار: « إن يتبعون إلا الظن » [] ولقوله : « ولا تقف ما ليس لك به علم » ١ ولقوله : « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »

أما العمل في فروع الشريعة - فالمطلوب فيها الظن - فوجب أن يبقى في مسائل الأصول . أي العقيدة . على هذا الأصل .

والعجب من الحشوية . أنهم يقولون : الاشتغال بتأويل الآيات المتشابهة . غير جائز . لأن تعيين ذلك التأويل : مظنون . والقول بالظن في القرآن (لا يجوز) ثم إنهم يتكلمون في ذات الله تعالى وصفاته بأخبار الآحاد ، مع أنها في غاية البعد عن القطع واليقين ، وإذا لم يجوزوا تفسير ألفاظ القرآن بالطريق المظنون ، فلأن يمتنعوا عن الكلام في ذات الحق تعالى ، وفي صفاته ، بمجرد الروايات الضعيفة أولى .

الثاني : إن أجل طبقات الرواة قدراً ، وأعلامهم منصباً : الصحابة - رضي الله عنهم - ثم إنا نعلم ، أن رواياتهم لا تفيد القطع واليقين . والدليل عليه : أن هؤلاء المحدثين رووا عنهم : أن كل واحد منهم طعن في الآخر ، ونسبه إلى ما لا ينبغي .

ثم ساق وقائع من حال بعض الصحابة تؤيد قول أهل السنة في أن الصحابة غير معصومين إلى أن قال :

. أما الكلام في ذات الله وصفاته ، فكيف يمكن بناؤه على (هذه) الروايات الضعيفة ١٢٧؟

وهو نفس كلام ابن تيمية في المعنى إذ قال : [والكذب كان قليلاً في السلف ، أما الصحابة فلم يعرف فيهم . والله الحمد . من تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ... ، وأما الغلط فلا يسلم منه أكثر الناس ، بل في الصحابة من قد يغلط أحياناً وفيمن بعدهم ، ولهذا كان فيما صُنّف في الصحيح أحاديث يُعلم أنها غلط وإن كان جمهور متون الصحيحين مما يُعلم أنه حق] ١٢٨ . وتأمل قوله [جمهور متون الصحيحين] .

أما قولك عن الرازي أنه قال : (وأنه في الصحيحين أحاديث وضعها الزنادقة) ... إلى آخر ما لا استجيز نقله لغير المختصين

الجواب: لا تنقله أنت أنا سأنقله ليعلم الجميع أن الظلم لا يدوم فهاكم كلام الرازي كما هو قال

الرازي عن البخاري ومسلم: [نحسن الظن بهما وبالذين روى عنهم ، إلا أنا إذا شاهدنا خبراً

١٢٧ أساس التقديس ١٨٩

١٢٨ مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/٢٤٩ - ٢٥٠ ورد الشيخ صلاح الدين الأردبلي وفقه الله.

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

مشتماً على منكر لا يمكن إسناده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قطعنا بأنه من وضع الملاحدة ومن ترويحاتهم على أولئك المحدثين^{١٣٩} وصدق رحمه الله فإذا حصل ذلك كان كذلك

فكم من مدلس ووضاع يضع في الأحاديث ما يصحح بدعته وقد قىض الله علماء يدفعون .

نستنتج مما سبق :

١. أن الإمام الرازي لا يقطع بوصف الله بصفة أو تسميته بأسم لم يثبت قطعاً كالأحاديث الظنية والروايات الضعيفة .

٢. أن قول الصحابي لا يفيد القطع واليقين لا حتمال أن يخطئ أو ينسى أو يعتريه ما يعتري البشر لأنه غير معصوم ولا عصمة إلا للرسول عليهم السلام .

٣. وضح الإمام الرازي تناقض البعض حيث يقطع بصفة يصف بها الخالق عز وجل، وهي لم ترد إلا بطريق ظني كالأحاديث الضعيفة بينما يجرمون تأويل معنى الصفة بدعوى أن المعنى الذي فسر به ورود الصفة ظني لأن المأول لا يستطيع أن يجزم بأن هذا مراد الله تعالى .^{١٤٠}
وسأضرب مثالين على ذلك :

قوله تعالى ((نسوا الله فنسيهم)) فلا يجوز أن يوصف الله بالنسيان فيتعامل مع الآية إما بالتفويض والإمرار وإما أن تأول بمعنى لائق بالله تعالى .

ومن الأمثلة : (فإن الله لا يمل حتى تملوا) فلا يجوز إثبات صفة ملل لله تعالى لسببين :

١. أن الملل نقص من جميع الوجوه .

٢. أنه ظني الدلالة وقد أثبتته في زماننا بعض الناس هداهم الله وثبوتهم عندهم بدلالة المفهوم . لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل حتى تملوا فيمل ، بل قال لا يمل حتى تملوا . وسكت . فأتى بعض الناس ففهم منه مقدر محذوف تقديره فيمل وبني عليه عقيدة إثبات الملل لله سبحانه

وتعالى عما يقول!!!

دعوى أن كتب عقائد الأشاعرة لا يوجد فيها آية ولا حديثاً

قال الكاتب: تقرأ في كتب عقيدتهم قديمها وحديثها المائة صفحة أو أكثر فلا تجد فيها آية ولا حديثاً ، لكنك قد تجد في كل فقرة " قال الحكماء " أو " قال المعلم الأول " أو " قالت الفلاسفة " ونحوها .

الجواب :

^{١٣٩} أساس التقديس ٢١٨

^{١٤٠} رغم أن الإمام الرازي يرجح التفويض في كثير من كتبه لكنه يتعجب من عدم طرد القاعدة في دفع الظنيات عند وصف الله تعالى .

١. إن كتب العلم على مستويات فالرضيع لا يعطى اللحم، بل يتدرج في طلب العلم من صغار العلم إلى كبارهم، كل بحسب قدراته، فمن ذهب رأساً لكتب النقض على المبتدعة من الفلاسفة وغيرهم، وليس لديه الأهلية لذلك فلا يلومن إلا نفسه.

٢. أما قولك ليس فيها آية أو حديث، فليس بصحيح أن كل كتب العقيدة الأشعرية هكذا، بل هي على أقسام: فمنها ما ذكرت وهي التي ترد على الفلاسفة والملحدين ونحوهم، وهذه وإن قلت فيها الأحاديث والآيات إلا أن فيها ثمرة الأحاديث والآيات كما لا يخفى على اللبيب. ولا أدري كيف تريدهم أن يحاجوا أهل الزندقة، والفلسفة، والإلحاد بكتاب الله والسنة وهم لا يؤمنون بها أصلاً!!؟

ومن الكتب العقدية ماهو مليء بالآيات والأثار، وهذا كثير، وفيها المختصرات التي للحفظ ونحوه.

فما هذا التعميم؟! وإن كنت يا أخي الكريم إنما تقصد الوعظ والرقائق الإيمانية فعندهم كتب خصصوها لذلك.^{١٤١}
حكم الاحتجاج بالأدلة العقلية :

اختلف الناس في حكم ذلك على أقوال: القول الأول: قول الحنابلة الذي نص عليه الإمام أحمد قال ابن عقيل: القياس العقلي حجة يجب العمل به، ويجب النظر والاستدلال، وقد نقل عن الإمام أحمد الاحتجاج بدلائل العقول وبهذا قال جماعة الفقهاء والمتكلمين من أهل الإثبات. أ. هـ وقال أبو الخطاب الكلوزاني الحنبلي: القياس العقلي والا استدلال طريق لإثبات الأحكام العقلية نص عليه الإمام أحمد وبه قال عامة الفقهاء.^{١٤٢}
قال الإمام ابن مفلح: احتج الإمام أحمد بحجج العقول وعامة الفقهاء والأصوليين.^{١٤٣}

قال الكاتب: ، وقد يصححون بعض الأحاديث ويضعفونها حسب هذا الذوق، كحديث إسلام أبيي النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهما الجنة بزعمهم، ويسمون هذا " العلم اللدني " جرياً على قاعدة الصوفية " حدثني قلبي عن ربي "

الجواب: هذا الكلام غير صحيح لأن نجاة أبيي الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة خلافية مبنية على أدلة نقلية، فجمع من العلماء على أن أبيي ناجيان، ودونت فيها رسائل وبحوث علمية نافعة لا بمجرد الذوق. وأنت تختار من القولين هلاكهما فأنت وما تريد ولكن لا تلزم غيرك برأيك وفقنا الله وإياك لرضاه
أما الخلاف فهو يدور حول ماورد في الحديث الصحيح من حيث سنده، لكن لفظة انفرد بها حماد وهي إما وهم منه أو تحمل على غير ظاهرها كمعنى العم الذي هو معروف لغة لتتوافق الرواية مع عشرات الآيات القرآنية ولهذا فالحديث معارض لآيات محكمات هن أم الكتاب كقوله تعالى:

{لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٦]،

{لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة: ٣]،

^{١٤١} من الكتب المفيدة في العقيدة كتاب كبرى اليقينيات الكونية. والمختصر المفيد للقضاة، وكتاب العقيدة الإسلامية لعبد الرحمن حبنكة، وكتاب العقيدة الإسلامية للكتور مصطفى الخن ومستو، والأساس في السنة للحوى. وغيرها.

^{١٤٢} التمهيد ٢٦٠/٤ والعدة ١٢٧٣/٤ والتجوير شرح التحرير ٤٠٢٢/٨

^{١٤٣} اصول ابن مفلح ٩٧١/٣

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم/١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

مَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ { [سبأ: ٤٤]. وقال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى : { وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير { سبأ (٤٤) : وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقال تعالى: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. ١٤٤

إذن الأصل أن يغلب جانب حسن الظن في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم على سوء الظن...
ثم إن دلالة القرآن قطعية، ودلالة السنة الصحيحة أقل منها إجماعاً، والجمهور على عدم نسخ القرآن بالسنة، هذا في الأحكام، أما في الأخبار فلا ينسخ القرآن حتى القرآن.
ودلالة القرآن على أهل الفترة قطعية، ودلالة ما جاء من الأحاديث حول والدي النبي صلى الله عليه وسلم ظنية قولاً واحداً. إذن ليست المسألة ذوق بل جمع للنصوص في المسألة ثم الحكم فيها.
دعوى أن أهل السنة لا يعرفون إلا دليلاً يتيماً

قال الكاتب: إثبات وجود الله:

معلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحي أجل من الحصر ، ففي كل شيء له آية وعليه دليل .
أما الأشاعرة فعندهم دليل يقيم هو دليل " الحوادث والقدم "

الجواب: قول الكاتب : (معلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري)
أخي الكريم : هذا مذهب جميع أهل السنة والجماعة قال الغنيمي الأشعري في شرح الطحاوية : فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق كما في قوله تعالى ((فطرة الناس التي فطر الناس عليها))^{١٤٥}
٢. قولك : (والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق)
- هذه الدلائل التي ذكرتها تحتاج إلى آلة للاستدلال وهي العقل فيستدل بها العقل على وجود الخالق فهي عقلية فنقضت ماكنت تغزل من بداية الكتاب .

٣. قولك ليس عند الأشاعرة دليل على وجود الله إلا دليل الحوادث والقدم .
هذا غير صحيح فهناك يا أخي الكريم ثلاثة أشياء :
١. أما كونه دليل فلاشك في ذلك بل هو أقوى الأدلة بلا ريب في ذلك . قال تعالى ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)) بل إن نظرية الحوادث والقدم كانت هي الدليل الذي خضع له كثير من الملحدين:
صرح جين ويرز وهو عالم عمل موظفاً في مشروع التكاثر الإنساني، صرح بالتالي في أعقاب ما أطلع عليه من تربيئات إعجازيه. شاهدها رأي العين :

إن ما أذهلني حقاً هو كيفية بناء أو نشأة الحياه فنظام نشأة الحياه أمر بالغ التعقيد، فهو مستمر على ما هو عليه على نحو متواصل أي أن هناك قوه خارقه وراء نشأة هذه الحياه . ^{١٤٦}

^{١٤٤} هناك رسالة قيمة للإمام السيوطي (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) فصل في المسألة مطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي الجزء الثاني.

^{١٤٥} شرح الطحاوية ٤٩. وتفسير الآية رقم (٣٠) من سورة الروم في تفسير الإمام القرطبي الأشعري والإمام الرازي وغيرهم.

يقول الملحد البريطاني : أنطواني فلو الذي عاد في الآونة الأخيرة ليعلن أنه قد تراجع عن الخطأ الذي وقع فيه وتخلّى عن أفكاره الخاطئة وأنه يعترف ويقر بأن العالم مخلوق له خالق ولم يوجد من العدم . قال: لقد أثبتت أبحاث علماء الأحياء في مجال الحمض النووي الوراثي، مع التعقيدات شبه المستحيلة المتعلقة بالترتيبات اللازمة لإيجاد (الحياة) أثبتت أنه لا بد حتماً من وجود قوة خارقة وراءها."

"لقد أصبح من الصعوبة البالغة مجرد البدء في التفكير في إيجاد نظرية تنادي بالمذهب الطبيعي لعملية

نمو أو تطور ذلك الكائن الحي المبني على مبدأ التوالد والتكاثر."

"لقد أصبحت على قناعة تامة بأنه من البديهي جداً أن أول كائن حي قد نشأ من العدم ثم تطور وتحول إلى مخلوق معقد الخلق للغاية".^{١٤٧}

٢. وأما كون هذا الدليل هو الدليل الوحيد عندهم فليس بصحيح فقد سبق أنها أدلة.^{١٤٨}
فمنها : ذكر الباقلاني عدداً من الأدلة ، ومنها قوله: [إنا لا نشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كاتب ، وصناعة لا من صانع ، وحياسة لا من ناسج ، وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها ومحدث أحدثها ، إذ كانت ألطف وأعجب صنعاً من سائر ما يتعذر وجوده إلا من صانع] ^{١٤٩} .
وقال الباقلاني: [وإن أردتم بقولكم ما هو: (أي) ما الدلالة على وجوده؟ فالدلالة على وجوده جميع ما نراه ونشاهده من محكم فعله وعجيب تدبيره] ^{١٥٠} .

- قال المتولي: ومن الدليل على إثبات الصانع أنه لا يتصور في العقول بناء بلا بانٍ ، وكتابة بلا كاتب ، فكيف يتصور خلق بلا خالق؟! ويتضح ذلك بآيات من كتاب الله تعالى [أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ] ، وقوله تعالى [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] وغير ذلك من الآيات أ انتهى كلامه ^{١٥١} .

- ومنها أن الإمام الرازي ذكر أربعة براهين على وجود الله تعالى من الأدلة العقلية الكلامية ثم قال: [أما دلائل الآفاق فبعضها سفلية عنصرية ، ومجامعها الاستدلال بأحوال الحيوان والنبات والمعادن ، وبعضها علوية فلكية ، ومجامعها

^{١٤٦} مع أنهم في كلامهم يأتون بالفاظ لا تجوز كتسمية الله بالقوة الخارقة ولذا فوجب التنبيه إلى عدم إقراي لهم بشيء يخالف عقيدة أهل السنة.

^{١٤٧} عودة العالم العلمي إلى الله

^{١٤٨} منها بطلان الرجحان بلا مرجح ومنها برهان بطلان التسلسل ومنها بطلان الدور وقانون العلية أي التأمل في النظام الكوني . قد تستشكل الاصطلاحات المذكورة لكن الجديد على القارئ فقط هي الألفاظ أما مضمون معانيها فمعروف عند الناس جميعاً. أنظر كبرى اليقينيات الكونية لفضيلة الشيخ محمد البوطي . ص ٧٩

^{١٤٩} الإنصاف ص ٣٠

^{١٥٠} الإنصاف ١٩٢

^{١٥١} المغني ص ٩

الاستدلال بأحوال الأفلاك والكواكب، والاستقصاء في هذا النوع من الدلائل مذكور في القرآن العظيم ، مشروح في كتابنا المسمى بأسرار التنزيل وأنوار التأويل^{١٥٢}. وفي هذا النص إشارة إلى أن الدلائل على وجود الله تعالى نوعان: الأدلة العقلية الكلامية ، ودلائل الآفاق ، والأشاعرة يذكرون في كتب العقيدة الأدلة الكلامية على طريقة المتكلمين الفلاسفة ، لإفحام ملاحدة الفلاسفة بالطرق الفلسفية التي يفهمونها ، والتي لا يخضعون إلا لها ، من باب محاربتهم بسلاحهم ، ولا ينكرون

دلائل الآفاق ، بل يقررونها ويشرحونها في كتب التفسير .

وقال الرازي رحمه الله: [الناس قد توصلوا إلى إثبات واجب الوجود بطرق ... ، ومن الناس من اعتمد على الإحكام والإتقان المشاهدين في السماوات والأرضين ، وخاصة في تركيب بدن الإنسان وما فيه من المنافع الجليلة والبدائع الغريبة ، التي تشهد فطرة كل عاقل بأنها لا تصدر إلا عن تدبير حكيم عليم ، وهذه الطريقة دالة على الذات وعلى العالمية ، وهي طريقة من تأملها ورفض عن نفسه المقالات الباطلة وجد نفسه مضطرة إلى الاعتراف بإثبات المدبر عند مشاهدة خلقة أعضاء الحيوان] ١٥٣ ١٥٤.

٣. أنه من المسلم أن هذا الدليل لا يصلح مع جميع الناس .

ولذا قال الإمام الغزالي : فيما ينقله عنه العلاء البخاري مؤيداً له كما في المسامرة وشرح الطحاوية للغنيمي : إن الأدلة على وجود الصانع وتوحيده تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها القلب والطبيب إذا لم يكن حاذقاً وحينئذ يجب أن لا يكون طريق الإرشاد لكل أحد على وتيرة واحدة فالمؤمن المصدق سمعاً أو تقليداً لا ينبغي أن نحرك عقيدته بتحرير الأدلة فإن الرسول لم يطالب العرب بأكثر من التصديق ولم يفرق بين أن يكون بتقليد أو بيقين برهاني والجاني الغليظ الضعيف العقل الجامد على تقليد المصير على الباطل لا تنفعه معه الحجة ولا البراهين وإنما ينفع معه السيف والسنان. والشاكون اللذين فيهم نوع من ذكاء ، ولا تصل عقولهم إلى فهم البرهان العقلي المفيد للقطع واليقين ، ينبغي أن يتلطف في معالجتهم بما أمكن من الكلام المقنع المقبول عنده لا بالأدلة اليقينية البرهانية لقصور عقولهم عن إدراكها لأن الغالب على الخلق القصور والجهل فهم لقصورهم

لا يدركون براهين العقول كما لا تدرك أنوار الشمس أبصار الخفافيش ، بل تضرهم الأدلة

البرهانية العقلية كما تضر ريح الورد الجعل وفي مثل هذا قيل شعراً:

ومن منح الجهال علماً أضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

^{١٥٢} الأربعين في أصول الدين ص ٩٢

^{١٥٣} المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعات: ٢/ ٤٤٨ ، ٤٥١

^{١٥٤} أنظر عقائد الأشاعرة في حوار هادي مع شبّهات المناوئين للأردبلي.

واما الفطن الذي لا يقنعه الكلام الخطابي فيجب المحاجة معه بالدليل القطعي البرهاني . أ^{١٥٥} انتهى كلام الإمام الغزالي رضي الله عنه.

فهل السادة الأشاعرة جمدوا على دليل وحيد؟! أم أنهم فصلوا في طريقة التدليل وأحوال الناس ومقدار معارفهم ، وعقولهم ، ونفسياتهم ، فهل بعد هذا من فقه يا أخي؟! فاتق الله بارك الله لنا ولك في أعمالنا وأعمارنا وجعلها في رضاه . تنبيه : بعد ذلك حق لك أن تعجب من كلام الشيخ عبدالله الموحان في قوله : ومنه تلقف الأشاعرة الجوهر الفرد ، وأخلف الله على الأشاعرة في هذا الذي بنوا عليه أصل دينهم .^{١٥٦}

فهو يتهم الأشاعرة رحمهم الله تعالى بأنهم بنوا (أصل) دينهم على الجوهر الفرد .!!! وقد سبق أن تبين للقارئ الكريم أن مصدر تلقي الدين عند الأشعرية هو الأدلة السمعية بشرط العقل وهو شرط يخرج به المجنون ، وليس على جوهر فرد أو غيره .

وللفائدة: الجوهر الفرد فرض عقلي لوحدة بناء المادة ، صورته : أنه جزء لا يتجزأ ، ولم يقل أحد بأنه الذرة أو أحد مكوناتها ، فسواء توصل العلم إلى وحدة بناء للمادة لا تتجزأ فعلاً أو لم يصل فإنه يصح عقلاً أن تتكون المادة من أجزاء لا تتجزأ ، لأن ما لا يتناهي حصره لا يصح وجوده بالفعل ، فيصح أن تكون المادة . أي مادة . ينتهي حالها إلى عدد معين ولو بمليارات المليارات من الأجزاء التي لا تتجزأ . قال الباجوري: الجوهر الفرد معناه: الجزء الذي لا يتجزأ . أ . هـ وقال : وعندنا معاصر المسلمين لا ينكر ثبوته وتقرره في الوجود لأن الله تعالى قادر على تفريق الأجسام بحيث لا يبقى

جزء على جزء . أ . هـ .^{١٥٧} فالجوهر الفرد ونظرية الأوتار الفائقة **superstring theory** المكتشفة حديثاً

وغيرها من النظريات العلمية هي : وسائل تفيد في العلم والمعرفة ، وتساعد على نشر الإسلام ، ولا يعني ذلك أنها إذا سقطت ، أو تغيرت ، أو تطورت سقطت عقيدة المسلمين ، لأن عقيدة علماء الأمة من الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة لا تقوم على ذلك ، ولكنه التخلف والرجعية التي يعاني منها من يحارب العلم والعلماء . والناس أعداء ما جهلوا . قال الكاتب الثالث : التوحيد:

قال الكاتب : التوحيد عند أهل السنة والجماعة معروف بأقسامه الثلاثة وهو عندهم أول واجب على المكلف ، أما الأشاعرة قداماؤهم ومعاصروهم فالتوحيد عندهم هو نفي التثنية أو التعدد ونفي التبعض والتركيب والتجزئة أي حسب تعبيرهم " نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة " ومن هذا المعنى فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع وأنكروا بعض الصفات كالوجه واليد والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم [أما التوحيد

الحقيقي وما يقابله من الشرك ومعرفة والتحذير منه فلا ذكر له في كتب عقيدتهم إطلاقاً ، ولا أدري أين يضعونه؟ أي كتب الفروع؟ فليس فيها ، أم يتركونه بالمرّة؟ فهذا الذي أجزم به] .

الرد: . هكذا يجزم الكاتب ولا شك أن الجزم بالحكم يكون ناتج عن تحييص واستقراء لكتب الأشاعرة وما كتبه علماءهم وإلا فلا يكون جزمًا بل مجازفات .

^{١٥٥} شرح الغنيمي ٤٩ . والمسامرة

^{١٥٦} الرد الشامل ص ٩٩

^{١٥٧} فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد ٤٦٣

ومن البلية ما قاله الشيخ الموجان أيضاً عن الأشاعرة مانصه: نعم يجهلون معناها الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم حرفوا معناها (أي لا إله إلا الله) فجعلوا إله بمعنى اله أي لا قادر على الاختراع إلا الله ، ولا يعرفون أن إله بمعنى مألوه أي معبود. أ. هـ ١٥٨

الجواب: أولاً: الإله: هو المعبود المطاع الذي تأله القلوب ، أي تتجه له وتقصده وتخضع له وتذل له وتتعلق به خشية وإنابة ومحبة وخوفاً وتوكلأً عليه وإخلاصاً له تبارك وتعالى .

وأما تقرير أن معنى مألوه أي معبود : فأقول هناك معان في اللغة سأذكرها باختصار ثم لها معنى شرعي عن أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم: المعاني: التي اشتق منها « الاول » أنه مشتق من لاه الشيء إذا خفي ، قال الشاعر : لاهت فما عرفت يوماً بخارجة * يا ليتها خرجت حتى عرفناها الثاني : أنه مشتق من التحير لتحير العقول في كنه عظمته ، قال : ببذاء تيه تأله العير وسطها * مخفقة بالال جرد وأملق الثالث : أنه مشتق من الغيبوبة ، لانه سبحانه لا تدركه الابصار ، قال الشاعر : لاه ربي عن الخلائق طرا * خالق الخلق لا يرى ويرانا (هذا في الدنيا) . الرابع : أنه مشتق من التعب ، قال طرفة : لله در الغانيات

المدة * سبحن واسترجعن من تألهي الخامس : أنه مشتق من أله بالمكان إذا أقام به ، ولا يجوز على الله قال الشاعر العربي : ألهنا بدار لا يدوم رسومها * كأن بقاها وشام على اليد

السادس : أنه مشتق من لاه يلوه بمعنى ارتفع عن النقائص . السابع : أنه مشتق من وله الفصيل بأمه إذا ولع بها ، كما أن العباد موهون ، أي : مولعون بالتضرع إليه تعالى . الثامن : أنه مشتق من الرجوع ، يقال : ألهت إلى فلان ، أي : فزعت إليه ورجعت والخلق يفزعون إليه تعالى في حوائجهم ويرجعون إليه ، وقيل للمألوه [إليه] إله ، كما قيل للمؤتم به إمام التاسع : أنه مشتق من السكون ، وألهت إلى فلان أي : سكنت ، والمعنى أن الخلق يسكنون إلى ذكره. العاشر : أنه مشتق من الالهية . وهي القدرة على الاختراع . هذا لغة .

وأما قولك أنهم لا يعرفون أن إله بمعنى معبود فباطل بلا ريب وإليك النقول : قال الإمام فخر الدين الرازي : قوله [إِيَّاكَ نعبد] يدل على أنه لا معبود إلا الله ، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله ، فقوله [إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين] يدل على التوحيد المحض. ثم قال: [كل من اتخذ لله شريكاً فإنه لا بد وأن يكون مقدماً على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه ، إما طلباً لنفعه ، أو هرباً من ضرره ، وأما الذين أصروا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والأضداد ولم يعبدوا إلا الله ولم يلتفتوا إلى غير الله فكان رجاؤهم من الله ، وخوفهم من الله ، ورغبتهم في الله ،

ورهبته من الله ، فلا جرم لم يعبدوا إلا الله ، ولم يستعينوا إلا بالله] ١٥٩.

و قال الإمام السنوسي في شرحه لأمر البراهين : أما معنى الكلمة (لا إله إلا الله) فلا شك أنها محتوية على نفي وإثبات ، فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا عزوجل ، والمثبت فرد واحد وهو الله عزوجل ، وأتى بإلا لقصر حقيقة الإله

١٥٨ الرد الشامل ١٠١

١٥٩ مفاتيح الغيب: ١ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

عليه تعالى بمعنى أنه لا يمكن أن توجد تلك الحقيقة لغيره تعالى لا عقلاً ولا شرعاً ، وحقيقة الإله : هو الواجب الوجود المستحق للعبادة ... إلى أن قال: والمعنى على هذا : لا مستحق للعبودية في الوجود إلا خالق العالم جلا وعلا. أنتهى^{١٦٠} وقال الإمام الباجوري في شرح الجوهرة عند شرح البيت الثاني : والتوحيد لغة هو العلم بأن الشيء واحد وشرعاً : هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.

وقال ابن أبي شريف : التوحيد: والمراد به هنا اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها كتدبير العالم ، واستحقاق العبادة . أ. هـ ١٦١ وسيأتي مزيد من النقول في ذلك.

ثانياً : لماذا كان معنى القادر على الاختراع معنى قوي مناسب كذلك ؟: لأن أي مخلوق قد يعبد الناس ضلالاً وغواية ، وهو قد يدعوهم إلى عبادة نفسه ويدعي أنه معبود ينفعهم ويضرهم .

لكن لا يستطيع أي شيء أن يدعي أنه قادر على الاختراع لأنه سيعجز عن ذلك قطعاً بلا ريب.

ولذلك فإن من أدعى الربوبية في عهد إبراهيم عليه السلام ، أدعى أنه يحيي ويميت بزعمه ودل على ذلك بفعله ، ولكنه عجز عن أن يخترع شيئاً يسيراً على الخالق ، وهو تغيير نظام شروق الشمس.

ولذا جعل بعض العلماء مسألة القدرة على الاختراع من أخص خصائص الربوبية لعجز الناس عن إدعاءها عادة . وقولي عادة ليخرج به ما يكون من أشراط الساعة والمعجزات ونحوها. كمعجزات عيسى عليه السلام ، وكالأمور التي يمكن منها الدجال فتنة للعباد.

فيا أخي أتمنى أن تقرأ كتبهم بإنصاف ، ولا تصدق تلك الدعاوى العريضة التي هي أوهى من خيوط العنكبوت . ومما سبق وما يأتي أقول ماتراه في ثالثاً ورابعاً :

ثالثاً . فأقول : ليس بصحيح أن أئمة الأشاعرة لم يهتموا بالتوحيد ، وهل ألف علماء الأشاعرة كتب العقيدة إلا لبيان التوحيد والرد على المشركين ، والمبتدعة، وإيضاح التوحيد من الشرك ! وإليكم هذه النقول التأكيدية :

قال الإمام الباقلاني في العقيدة وهو يشرح التوحيد : [التوحيد له هو الإقرار بأنه ثابت

موجود ، وإله واحد فرد معبود ، ليس كمثله شيء] . ويقول: [ويجب أن يُعلم أن صانع العالم

جلت قدرته واحد أحد ، ومعنى ذلك أنه ليس معه إله سواه ، ولا من يستحق العبادة إلا إياه] ^{١٦٢} .

وقال سلطان العلماء العز ابن عبد السلام بعد ذكر الصفات الواجبة لله تعالى: [فإن الألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية ، ولا يستحق العبودية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه] . ثم قال: [ولا يستحق الإلهية إلا من اتصف بجميع ما قررناه] ^{١٦٣} .

^{١٦٠} شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي ٣٢٨. ٣٢٩

^{١٦١} المسامرة شرح المسامرة ص ٤١

^{١٦٢} الإنصاف: ص ٣٢ ، ٣٣ .

^{١٦٣} العقائد للعز ابن عبد السلام: ص ١١ ، ١٣ .

وقال الإمام السنوسي رحمه الله: [أنواع الشرك ستة: شرك استقلال ، وهو إثبات إلهين مستقلين ، كشرك المجوس ، وشرك تبعية ، وهو تركيب إله من آلهة ، كشرك النصارى ، وشرك تقريب ، وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب إلى الله تعالى زلفى ، كشرك متقدمي الجاهلية ، وشرك تقليد ، وهو عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير ، كشرك متأخري الجاهلية ، وشرك الأسباب ، وهو إسناد التأثير للأسباب العادية ، كشرك الفلاسفة والطبائعين ومن تبعهم على ذلك ، وشرك الأغراض ، وهو العمل لغير الله تعالى ، وحكم الأربعة الأول الكفر بإجماع ، وحكم السادس المعصية ، وحكم الخامس التفصيل ،] [١٦٤] .

وقال البيجوري: [ومعنى الإله: المعبود بحق ، ... وإذا كان معنى الإله ما ذكر كان معنى لا إله إلا الله

لا معبود بحق إلا الله] [١٦٥] . وبهذا يتبين تهور من يجزم بأشياء دون أدنى تثبت .

رابعاً : ظنكم صحة تقريركم لمسألة التوحيد فهو ظن غير صحيح ، وقد كتبت بحثاً قصيراً في خطأكم في تقرير توحيد الربوبية ، وذلك في رسالة أخرى ومما جاء فيها ما يلي :
الخطأ في تقرير توحيد الربوبية .

لأن التوحيد هو أعظم مطلوب فابدأ به ، وأول أقسامه على الاصطلاح الدراسي في المناهج التعليمية توحيد الربوبية :
وتوحيد الربوبية : هو إفراد الله تعالى بأفعاله ، ومنها الخلق ، والرزق ، والتدبير .

طبعاً ليس المراد التوسع في ذلك ولكن المقصود بيان المسألة بحددها (تعريفها) وتطبيقها وما يرد عليها ووجه الانتقاد هنا:
فالم تأمل في الحد المذكور بعاليه ، يجد أن توحيد الربوبية منصب على اعتقاد العبد انفراد الله بأفعاله سبحانه وتعالى ، ثم ضرب أمثلة على أفعال الرب سبحانه وتعالى بذكر الخلق ، والرزق والتدبير وليست أفعال الرب سبحانه وتعالى محصورة في ذلك ، بل إنما هي أمثلة لبعض أفعاله .

إذا كان الأمر كذلك فهل كفار قريش وحدوا الله في الربوبية (أي إفراده بأفعاله) أم أنهم كفار في هذه المسألة ؟!

تتابع أهل التدريس على مختلف المستويات على قولهم : إن كفار قريش موحدون في الربوبية ! بدليل قوله تعالى ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله))

{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ }

، وَقَوْلُهُ تَعَالَى { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ }

فأفادت الآيات الكريمة أن كفار قريش قد وحدوا الله في الربوبية . هكذا يقال !! .

وهذا الكلام غير صحيح لأسباب :

١٦٤ شرح المقدمات للسنوسي: ص ٣٣ ، ٤٠ .

١٦٥ حاشية البيجوري على متن السنوسية: ص ٤٢ . وعقائد الأشاعرة والرد على المناوئين للشيخ الأردبلي .

١. أن أفعال الرب - سبحانه وتعالى - غير محصورة في الخالقية ، أو الرزق ، أو التدبير ، بل المذكور في الآيات شيء من أفعال المولى - سبحانه وتعالى - وليست كل أفعاله ، فكيف نقول أنهم قد وحدوا الله في أفعاله (أي في ربوبته) وهم قد جحدوا أشياء من أفعاله ، منها البعث والنشور فيقول قائلهم - وقد أخذ عظم قد أرم - : يا محمد أتزعم أن ربك يعيد هذا ؟!! والقائل هو العاص بن وائل القرشي

وقال تعالى ((زعم اللذين كفروا أن لن يبعثوا ..)) فأين التوحيد في الربوبية ؟ ! فكأنهم اعترفوا ببعض الأفعال لا يعني ذلك توحيدهم في بقية الربوبية ، بل لو أقروا بالبعث والنشور وسائر أفعال الخالق سبحانه وتعالى ، ثم استنوا نملة من مخلوقاته ، أو ذرة من التراب وقالوا : خلق الله جميع الخلق إلا هذه النملة أو هذه الذرة من التراب ، لكانوا بذلك كفاراً غير موحدين في الربوبية ، فكيف وقد جحدوا البعث والنشور ، وزعموا أن أصنامهم شريكة لله في التصرف والتدبير وغير ذلك من ترهاثم ؟

٢. كونهم يقرون لله ببعض أفعاله ، لا يعني أنهم ينفون الشريك له فيها ، ولذا فنكمل الآية السابقة حتى يتبين الحق ، ولا تحتزئ النصوص ونبتزها فيخفى الحق عن طالبه ، وسأسوق الآيات السابقات وما يتبعها من آيات حتى يتكامل المعنى لدى طالب الحق ((، قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ٨٩ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ٩٠ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ٩١ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ٩٢)) وهنا بارك الله بكم اكتملت الآيات واتضح المراد .

قال الإمام القرطبي في تفسيره: ((بل أتيناهم بالحق)) أي بالقول الصدق لا ما تقول الكفار من إثبات الشريك ونفي البعث . أ. هـ

وقد وضعت لك تحت كل شاهد على ما أسلفت خطأ ، لتعلم أن الإقرار بالربوبية إنما هو إقرار ببعض الأفعال لا بأكملها ، ودون نفي وجود الشريك من آلهة أخرى ، ولاحظ أخي - رعاك الله - قوله تعالى ((وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق))

هل تتصور أن المولى عزوجل يخاطبهم بأمور لم تقع منهم ، بل ويدلل ببرهان التمانع على عقائد لم يعتقدوها !! سبحانه وتعالى عن ذلك . (معنى التمانع كون كل إله يذهب بما خلق) فكفار قريش يعتقدون بوجود شركاء لله في الخالقية ، ويعتقدون أن الله الخالق سبحانه وتعالى والأمر جلي لمن تبصر ففيه ثلاث نقاط :

الأولى : اعترفهم أن الله مدبر ، متصرف ، رازق ، خالق ، فهم مقرون به : وهم بذلك يفترون عن من ينكر ربوبية الله مطلقاً .

الثانية: اعتقاد وجود الشركاء لله ولو في بعض أفعاله (ربوبيته) ، وهم بذلك يفارقون من يعتقد أنه لا شريك له في ذلك .
الثالثة : أن هذا الاعتراف منهم ، أو المعرفة ، لا يعني أنهم موحدون في الربوبية لأن التصديق والإذعان غير متوفر فيهم فكيف نقول أنهم موحدون ؟ وأي توحيد هذا؟

النتيجة : أن كفار قريش لم يوحدوا في الربوبية ، وعليه فالشهادة لهم بذلك خطأ واضح ، فكيف بتقرير ذلك ، و نشره ، والتقليد فيه أليس في هذا بعد عن الصواب شاب عليه الكهل من أهل العلم ونشأ عليه الشباب ؟ !!
فنسأل الله أن يهدي من يقرر ذلك أو يشهد به لهم وأن يتوب علينا وعليه .

ثانياً : تفرع على التقعيد الأول . وهو اعتقاد أن الكفار قد وحدوا في الربوبية . اعتقاد آخر وهو أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يبعثهم الله لتوحيد الربوبية ، وإنما بعثهم لتوحيد العبادة لأن الناس على التوحيد الحق في الربوبية .!! وهذا باطل بما سبق..... أ. هـ وبه تعلم أن تقرير التوحيد الذي تدعونه غير صحيح . و توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية بينهما تلازم في الاصطلاح الشرعي . وكل هذا الخطب الذي يقوم به الشيخ الحوالي ، والموجان وغيرهما ، غلط في التقسيم ، وقولهم إن المشركين كانوا موحدين توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية جهل بحقيقة اعتقاد المشركين . غفر الله لنا ولهم .
قال الكاتب : (أما الأشاعرة قدامؤهم ومعاصروهم فالتوحيد عندهم هو نفي الثنية أو التعدد ونفي التبعض والتركيب والتجزئة أي حسب تعبيرهم " نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة ")

اولاً: الوجدانية : هي صفة الله سبحانه وتعالى ، ومعناها انتفاء التعدد في ذاته تعالى ، وصفاته ، وأفعاله . فهو سبحانه لا شبيه له ، و لا شريك له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . فهذا هو نفي الثنية أو التعدد الذي يشنع عليه الكاتب .

ثانياً: (التبعض) : الأشاعرة وأهل السنة كلهم ، ينفون كون الله مركب من أعضاء ، وأجزاء ، وأبعاض . سبحانه جل شأنه . أما المشبهة فقالوا أنه مركب من أجزاء فقال الجوابي : أنه جسم ، ولحم ودم وله جوارح وأعضاء... إلخ لذا فإن أهل السنة ينفون التركيب لأنه تشبيه.^{١٦٦}

ثالثاً: معنى (تنفي الكم المتصل والمنفصل) . ومعنى نفي الكم المتصل في الصفات : أنه ليس للإله من كل صفة من صفاته إلا صفة واحدة ، فليس له مثلاً إرادتان بل إرادة واحدة ، وليس له قدرتان بل قدرة واحدة ، وهكذا في كل صفة من صفاته تعالى ، ومع ذلك فإن إرادته تتعلق بجميع الممكنات ، وقدرته كذلك ، وعلمه يتعلق بجميع المعلومات... وهكذا ، والتعدد في العلاقات لا يلزم منه تعدد الصفات .

ومعنى نفي الكم المنفصل في صفاته تعالى : أن كل ما ثبت صفة لله تعالى استحال ثبوته لغيره ، وكذا كل صفة ثبتت للمخلوق استحال اتصاف الخالق بها . فلا شبيه لله تعالى مطلقاً . فإرادة الله تعالى ليست كإرادة المخلوقات ، ولا علمه كعلمهم ، ولا سمعه كسمعهم ، ولا بصره كبصرهم ، ولا حياته كحياتهم ، وهكذا في كل صفة من صفاته .

استشكال الكاتب حول مسألة النظر وخلاف الأشاعرة في ترتيب ذلك:

قال الكاتب : أما أول واجب عند الأشاعرة فهو النظر أو القصد إلى النظر أو أول جزء من النظر أو .. إلى آخر فلسفتهم المختلف فيها وعندهم أن الإنسان إذا بلغ سن التكليف وجب عليه النظر ثم الإيمان واختلفوا فيمن مات قبل النظر أو في أثناءه ، أم يحكم له بالإسلام أم بالكفر ؟!

الجواب : أولاً : تصور الأمور كما هي يؤدي إلى الحكم الصحيح الراسخ الذي لا يتزلزل بإذن الله ، ولذا فإن معرفة الله واجبة بأسماءه ، وصفاته ، وأنه لا شريك له فيسبق هذا العلم اليقيني نظر وتفكر ولذا قال الله تعالى ((أفلا ينظرون إلى

^{١٦٦} راجع أقوالهم في الملل والنحل ١ / ١٠٥ مبحث المشبهة .

الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ..)) وقال تعالى ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون)) وغيرها من الآيات الكثيرة التي توجب على الإنسان النظر ليتوصل لليقين .

قول الحنابلة وأصحاب الحديث في النظر:

قال القاضي أبو يعلى : أول واجب وطاعة اكتساب إرادة النظر المؤدي إلى المعرفة ، فمن تركه مع القدرة عليه لغير عذر أثم. ١٦٧

وقال ابن حمدان . وهو يذكر معتقد الحنابلة - : يجب معرفة الله شرعاً بالنظر في الوجود والموجود على كل مكلف قادر. ١٦٨

وأوجب ابن جبير النظر عند البلوغ لما سُئل : متى لزمه فرض النظر في مدبره وصانعه؟ ١٦٩
إذن فمأخذهم شرعي صحيح لا غبار عليه ولم يأمرنا الله بالتفكير والنظر عبثاً . سبحانه وتعالى . بل أمرنا بالنظر لمقصد عظيم ، وهو ما يورثه ذلك النظر من اعتقاد راسخ ، فهو وسيلة لا غاية في نفسه بينما ترى المقلد في ذلك متزلزل لا يثبت على شيء ، وهذا ما جعل كفار قريش يصدقون عمرو بن لحي في كون الأصنام التي جلبها من الشام آلهة مع الله.

ثانياً : سبب الخلاف بين الأشاعرة ؟
الخلاف هنا خلاف لفظي

قال الإمام صفى الدين أبو عبد الله الأرموي الأشعري: اختلفوا في أول الواجبات، ف قيل: هو معرفة الله تعالى، وقيل: هو النظر المفيد للمعرفة، وقيل: هو القصد إلى النظر، والخلاف لفظي، لأنه إن أريد بأول الواجبات ما يجب مقصوداً بالذات فلا شك أنه القصد، وإن أريد به السبب المفيد لما هو المقصود بالذات فلا شك أنه النظر المفيد للمعرفة، ثم النظر واجب سمعاً. ١٧٠ أ. هـ

إذن هو في الحقيقة ليس بخلاف تضاد، ولذا أمكن الجمع بين أقوالهم جميعاً: ذلك أنها تأتي باعتبارات :
كما قال الباجوري: فابعتبار المقصد والهدف فلا شك أنه المعرفة ، وباعتبار أقرب وسيلة فهي النظر ولكي يتم ذلك النظر فلا بد أن يقصد إليه ، بمعنى أن يفرغ القلب عن الشواغل والشبهات ليتسنى له النظر الصحيح . أ. هـ باختصار يسير ١٧١ . فتبين أن مقصودهم صحيح ، وأن الهدف منه واجب ، ومستنده النصوص الشرعية ، والنظر الرجح.

قال الكاتب : وينكر الأشاعرة المعرفة القطرية ويقولون إن من آمن بالله بغير طريق النظر فإنما هو مقلد.... إلخ

الجواب:

اختلف العلماء في ذلك لأنها مسألة اجتهادية وسبب اختلافهم هو كونه يورثه التردد والتحير في إيمانه وأكثر أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتردية والحنابلة على تحريم التقليد في ذلك . ولو دخلت موقع اللادينيين العرب لرأيت كم من شاب من شباب بلدك الحبيب إنزلق إلى الكفر ، ووقع

١٦٧ نهاية المبتدئين ص ٢٢ .

١٦٨ نهاية المبتدئين ص ٢٢

١٦٩ التبصير في معام الدين ص ١٢٢

١٧٠ الرسالة التسعينية في الأصول الدينية للأرموي المقدمة الثانية .

١٧١ شرح جوهرة التوحيد ص ١٠٠ .

في إلحاد و إنما إلحاد!! فالمقلد كالريشة في مهب الريح ولذا فوجب ترسيخ قضايا الإيمان بالله بكل الأدلة الممكنة المباحة. وأنا اذكر نفسي وإياكم بذلك. من باب الأمانة في النص.

أنقل ما ذكره المرادوي في التعبير حيث قال:

قال الحنابلة : يحرم التقليد في معرفة الله تعالى، والتوحيد، والرسالة عند أحمد والأكثر ذكره

القاضي، وابن عقيل، وابو الخطاب الكلواني، وذكره عن عامة العلماء، وذكر غيره أنه قول الجمهور. ١٧٢

القول الثاني : أنه يجوز التقليد: أجازة العنبري المعتزلي، ويعزى للحشوية كما في شرح الفية البرماوي والتعبير شرح التحرير ١٧٣ هـ.

والقول المعتمد الذي عليه الأشعرية هو ما اختاره الباجوري بعد أن ساق الأقوال في المسألة ثم قال: والقول الذي عليه المعول هو: أن التقليد في ذلك كافياً، فإن كان فيه أهلية للنظر كالعلماء ونحوهم فهو مؤمن عاصي، وإن لم يكن فيه أهلية النظر كأكثر الناس فهو معذور وإيمانه صحيح. أ. هـ ١٧٤ وهذا هو عين ما نقله الموجان في رده ناقلاً عن العلائي ولم يتنبه لما فيه وسبق، الكلام عن ذلك في مكانه.

الأدلة النقلية على صحة ذم علماء الأشاعرة والإمام أحمد وعامة أهل العلم للتقليد في العقيدة:
والمقصود شيئين:

١. عدم التقليد في مخالفة القطعي .
٢. عدم التقليد في تحصيله بل لا بد من طلبه بدليله ولو بأقل دليل. بشرط أن يورث اليقين .

ودليلهم أن التقليد في الاعتقاد مذموم أن الشرع قد أتى بزمه في القطعيات فمن ذلك:

١- قوله -تعالى-: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ))

٢- قول الله -تعالى-: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ))

٣- قول الله -تعالى-: ((إِنَّهُمْ أَلقُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ))

هذه الآيات وغيرها واردة في حق المشركين الذين قلدوا سادتهم وكبرائهم من علماء وآباء في الكفر بالله -تعالى- وعبادة الأصنام، فهي تدل على المنع من التقليد في العقائد.

فكلامهم صحيح بلا ريب .

المسألة الثانية :

١٧٢ شرح التحرير ٨ / ٤٠٨

١٧٣ شرح التحرير ٨ / ٤٠٨

١٧٤ شرح الجوهرة ١٠١

اختلاف مستويات الناس في الاستدلال العقلي

كل الخلق متفقون على الاستدلال بأدلة العقل على وجود الله المدبر لكل موجود، ولكن تختلف أساليبهم بحسب مستوياتهم العقلية ، والعلمية .

أمثلة : ١- لا يغيب عنا حال ذلك الأعرابي الذي استدل بالعقل على وجود المدبر فقال : [البصرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، أفأرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج ألا تدل على اللطيف الخبير] .

هذا الأعرابي بحسب إمكانياته العلمية استدل بدليل العقل على وجود الله تعالى ، فاستدل بدليل الحدوث وأن هذه الحوادث لا بد لها من خالق أوجدها وهو الله تعالى . فبالأثر استدل على المؤثر.

٢- وتترقى المفاهيم العقلية فنرى سيدنا الخليل عليه السلام يستدل بالدليل العقلي على أن الأفلاك ليست المدبر في الكون بدليل لتغير من حال إلى حال قال تعالى { فلما جن عليه الليل رأى القمر بازغاً } قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين { فهو يحرك عقول قومه بالتنبيه إلى أن المتغير لا يمكن أن يكون هو الرب سبحانه جل شأنه ، لأن التغير دليل على الحدوث ، وهذا يدل على الافتقار للغير ، والخالق المعبود يكون غنياً عمن سواه .

خضوع كثير من أهل الفكر للدليل العقلي:

إن بعض كبار الباحثين يمتازون عن غيرهم بأنهم يبحثون في الأمور بعقل ونظر . ولذا فإن شهاداتهم تعد ذات اعتبار كبير في الأمور التي يدلون فيها بأرائهم ، وأذكر هنا أقوال بعض من العلماء المشهورين في قضية الوجود والخلق .

١- قال نيوتن: إنه لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود مباحج عالم الطبيعة الزاهرة ، ومنوعاتها هذه، بدون إرادة واجب الوجود، أعني به الإله القادر قدرة مطلقة، السميع البصير ... أ.هـ.

٢- أما العالم الأمريكي الفسيولوجي أندرو كونواي ايفى فقد قال : إن أحداً لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول إن الله موجود، كما إن أحداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول: إن الله غير موجود ، وقد ينكر منكر وجود الله تعالى ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل. وأحياناً يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكري، ولكنني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلاً عقلياً واحداً على عدم وجوده تعالى ، وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده، كما لمست بنفسني بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين وما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين).^{١٧٥}

إشكالات الكاتب حول الإيمان

الأشاعة في الإيمان مرجئة جهمية أجمعت كتبهم قاطبة على أن الإيمان هو التصديق القلبي ، واختلفوا في النطق بالشهادتين أيكفي عنه تصديق القلب أم لا بد منه ، قال صاحب الجوهرة:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

وقد رجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق بهما ومال إليه البوطي ، فعلى كلامهم لا داعي لحرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عمه أبو طالب لا إله إلا الله لأنه لا شك في تصديقه له بقلبه ، وهو ومن شابهه على مذهبهم من أهل الجنة!!

هذا وقد أولوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان .

ولهذا أطال شيخ الإسلام رحمه الله الرد عليهم بأسمائهم كالأشعري والباقلاني والجويني وشرح كتبهم وقرر أنهم على مذهب جهم بعينه ، وفي رسالتي فصل طويل عن هذه القضية فلا أطيل به هنا.

الجواب :

١. أدعى الكاتب أن علماء أهل السنة من الأشاعرة مرجئة جهمية في الإيمان.!
٢. أدعى أنهم لا يدخلون العمل في الإيمان.
٣. أدعى أن لازم قولهم تصحيح إيمان المشركين كأبي طالب.
٤. أنهم لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه ولذا أدعى أنهم أولوا نصوص زيادة الإيمان ونقصانه معتمد في ذلك على كلام الإمام ابن تيمية .

و كل هذه الدعاوى باطلة قطعاً :

ووصفكم لهم بأنهم على مذهب جهم بعينه شهادة باطلة والله يتولى هداك:

واما البيت الذي نقلته لصاحب الجوهرة فأكتبه لكم كاملاً بسياقه

قال صاحب الجوهرة :

وفسر الإيمان بالتصديق

والنطق فيه الخلف بالتحقيق

شطر والإسلام اشرحن بالعمل

فقبل شرط كالعمل وقيل بل

ونأتي إلى بيان المسألة بعون الله تعالى :

السلف يقولون الإيمان هو (اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح)

والخوارج والمعتزلة يقولون الإيمان (اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح)

فهل سلف أهل السنة والجماعة يتوافقون مع الخوارج في ماهية الإيمان ، وكونها مركبة من أمور ثلاثة فمن أخل بشيء منها

فهو كافر؟

وبداية أقول : إن أهل العقائد دونوا علم العقيدة ، واصطلحوا على مصطلحات علمية عقدية توزن بها أقوالهم ، وحين

يذكرون الإيمان هنا فهم يقصدون أحد أمرين :

الأمر الأول : ما ينتفي به الكفر المخرج من الملة وهو ما يسمى بأصل الإيمان .

الأمر الثاني: مازاد على ذلك وهو ما يسمى بكمال الإيمان.

والحقيقة القطعية أنه لاتوافق بين أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم مع الخوارج ، والمعتزلة ، والمرجئة في معنى الإيمان ولذا

فهل العمل عند سلف أهل السنة داخل في الإيمان ؟ وهل وافقوا الخوارج في كونه شرط لصحة الإيمان ؟

الحقيقة أن أهل السنة والجماعة يفرقون بين أصل الإيمان ، وكماله وسأبين ذلك لاحقاً بالنقل والتوثيق . إن شاء الله . .

وسنرى هذه الجوانب الثلاثة عند الأشاعرة من كتبهم :

الجانِب الأول: اعتقاد القلب : ومعناه هو التصديق المقترن بالإذعان . والأشاعرة يقررون ذلك ، وهذا هو أصل الإيمان الذي به يدخل الإسلام وينتفي به الكفر ، فهو التصديق ، ومعناه عند الأشاعرة : قبول القلب وإذعانه لما علم من الدين بالضرورة.^{١٧٦} فالتركيز عليه لأنه أصل الإيمان .

قال تعالى في المنافقين من الأعراب {وقالت الأعراب أمنا قل لم تأمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}^{١٧٧}

وفي حديث جبريل المشهور قال ما الإيمان؟ (قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره))

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل وجاء فيه (فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول يارب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنتقل فأفعل) رواه البخاري في الصحيح وغيره^{١٧٨}

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني الأشعري: الإيمان لغة التصديق .

وشرعاً : تصديق الرسول فيما جاء به عن ربه وهذا القدر متفق عليه .

ثم وقع الاختلاف : هل يشترط مع ذلك مزيد أمر من جهة ابداء هذا التصديق باللسان المعبر عما في القلب إذ التصديق من أفعال القلوب ؟ أو من جهة العمل .. كما سيأتي ذكره إن شاء الله.^{١٧٩}

وقال الباجوري: المقصود بالتصديق هو التصديق المعهود شرعاً وهو : تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة .. والمراد بتصديق النبي في ذلك الإذعان لما جاء به والقبول له ، وليس المراد مجرد وقوع نسبة الصدق في القلب من غير إذعان وقبول له حتى لا يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ومصدق

ذلك قوله تعالى ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)) . أ. هـ بحروفه.^{١٨٠}

وهنا تبطل دعوى المؤلف من أن لازم قولهم تصحيح إيمان المشركين كأبي طالب ، لأنه ليس الإيمان عندهم معرفة مجردة ، ولا هو مجرد وجود نسبة الصدق في القلب ، بل هو أمر زائد عن ذلك ألا وهو الإذعان والقبول لدين الإسلام .

وقال الإمام الخطابي وهو من أصحاب الحديث: أصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد.^{١٨١}

وقال محمد بن نصر المروزي . وهو يحكي أقوال اصحاب الحديث .:

الأصل التصديق بالله والخضوع له بإعطاء العزم للأداء بما أمر به ومجانباً للاستنكاف والاستكبار والمعاندة.^{١٨٢}

^{١٧٦} المسامرة شرح المسامرة ص ٢٧٩ .

^{١٧٧} أنظر تفسير البغوي وابن الجوزي والرازي والقرطبي و الشوكاني وابن جرير سورة الحجرات .

^{١٧٨} مختصر صحيح البخاري ص ٧٣٨

^{١٧٩} فتح الباري كتاب الإيمان ١/٦٣

^{١٨٠} شرح جوهرة التوحيد ص ١١١ .

^{١٨١} شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٠٢

وقال أيضاً: فإن قيل لهم اليس الإيمان ضد الكفر؟ قالوا الكفر ضد لأصل الإيمان، لأن للإيمان أصلاً وفرعاً فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر.^{١٨٣} فانظر كيف يثبتون أن للإيمان أصل وفرع. والفرع هو ما يسمى بالكمال.

وقال : وقالوا: فكذلك لا نسميه مؤمناً، ونسميه فاسقاً زانياً وإن كان أصل في قلبه اسم الإيمان لأن الإيمان أسم أثنى الله به على المؤمنين ..

وقالوا: ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لا يكون في قلبه إيمان ولا إسلام من الموحدين لكان أحق الناس بذلك أهل النار الذين دخلوها فلما وجدنا النبي يخبر أن الله يقول ((أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ثبت أن شر المسلمين في قلبه إيمان)). أ. هـ ١٨٤

وغرضي من النقل عن الإمام المروزي بيان شيئين:

الشيء الأول: بيان اختلاف أصحاب الحديث في المسائل العقدية وهو اختلاف اجتهادي .

الثاني: لأبين كونهم يفرقون بين أصل الإيمان وكماله وأنهم يسمون فاعل الكبيرة فاسق مسلم وليس بكمال الإيمان وهو نفس كلام الأشاعرة لأنه عين مذهب السلف.

الجانب الثاني: عمل الجوارح: وهو شرط للإيمان عند الأشاعرة وجميع أهل السنة والجماعة ولكنهم يختلفون عن الخوارج والمعتزلة حيث أن الخوارج والمعتزلة يجعلون العمل شرط لصحة الإيمان ففاعل الكبيرة كافر عندهم في الآخرة فضلاً عن تارك العمل كلية وهو في الدنيا كافر عند الخوارج وفي منزلة بين الإيمان والكفر عندا المعتزلة ، بينما الأشاعرة وافقوا السلف في أن تارك العمل ليس بكافر ولو ارتكب الكبائر بل هو مؤمن فاسق وهو تحت مشيئة الله في الآخرة إن شاء عذبه أو غفر له ولو دخل النار فلا يخلد فيها .

لقوله تعالى ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))

أما إذا كان تركه للعمل استحلالاً أو عناداً للشارع أو شكاً في مشروعية العمل فهو كافر فيماعلم من دين الإسلام بالضرورة.

ويدل على دخول العمل في الإيمان ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وادناها إمطة الأذى عن الطريق)) .

ولذا قال الباجوري: [(العمل) شرط كمال على المختار عند أهل السنة ، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال ، ومن تركه فهو مؤمن لكنه قد فوت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته ، وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة . وذهبت المعتزلة إلى أن العمل شطر من الإيمان لأنهم يقولون : بأنه العمل والنطق والاعتقاد فمن ترك العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الإيمان وهو العمل ولا كافر لوجود التصديق فهو عندهم في

^{١٨٢} تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٥٢١

^{١٨٣} تعظيم قدر الصلاة ٣٣٤. للمروزي ٢٠٢ هـ إلى ٢٩٩ .

^{١٨٤} تعظيم قدر الصلاة ٣٣٥

منزلة بين المنزلتين ويخلد في النار ويعذب بأقل من عذاب الكافر . والخوارج يكفرون مرتكب الكبائر]. أ . هـ كلام الباجوري^{١٨٥}.

وقال الحافظ ابن حجر : فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان . وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله . ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان . أ . هـ^{١٨٦}

وقال ابن حجر أيضاً: والفارق بينهم وبين السلف أنهم (أي المعتزلة) جعلوا الأعمال شرطاً في صحته والسلف جعلوها شرطاً في كماله .^{١٨٧}

قال الإمام الأمدي: فعلى هذا مهما كان مصداقاً بالجنان على الوجه الذى ذكرناه وإن أخل بشئ من الأركان فهو مؤمن حقاً وانتفاء الكفر عنه واجب ، وإن صح تسميته فاسقاً بالنسبة إلى ما أخل به من الطاعات ، وارتكب من المنهيات ، ولذلك صح ادراجه في خطاب المؤمنين وادخاله في جملة تكليفات المسلمين بقوله: { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } ونحو ذلك من الآيات. أ . هـ^{١٨٨}

وقال ابن نصر المروزي: فإن قيل بين لنا الأصل والفرع؟ أي في الإيمان قيل لهم: الأصل التصديق بالله والخضوع له بإعطاء العزم للأداء بما امر به ومجانبة للاستنكاف والاستكبار والمعاندة. والفرع: تحقيق ذلك بالتعظيم لله ، والخوف ، والرجاء ، الذي يبعثهم على أداء فرائضه ، واجتناب المحارم ، فإن أدوا الفرائض ، واجتنبوا المحرمات من قلوبهم وأبدانهم فقد اجتمع أهل السنة على أن هذا هو الإيمان المفترض.^{١٨٩}

فهل تجد فرق حقيقي بين قول السادة الأشاعرة ، وبين سلفهم من أهل السنة والجماعة ؟!

تنبيه: ترك الصلاة بلا جحود مسألة فقهية خلافية وليست مسألة عقدية

فجمهور العلماء وهي رواية في مذهب أحمد اختارها الموفق ، والمجد ابن تيمية ، وابن بطة: أنه لا يكفر خلافاً للرواية الثانية وهي معتمد مذهب الحنابلة أنه يكفر ، ولكن بشرط أن يدعو إمام المسلمين أو نائبه كالقاضي الشرعي فيصر على الترك فهو كافر حينئذ .

ولا يبنى على هذه المسألة الفقهية كون من قال بكفر تارك الصلاة بشروط المذهب أنه خارج من أهل السنة والجماعة ، ولا أن من لم يقل بكفره خارج منهم ، لأنها مسألة فقهية فرعية .^{١٩٠}

^{١٨٥} ص ١١٧

^{١٨٦} الفتح ٦٤/١

^{١٨٧} الفتح ٦٤/١

^{١٨٨} غاية المرام ٣١٠/١

^{١٨٩} تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٥٢١

^{١٩٠} ويظن بعض المشايخ هداهم الله أن مسألة ترك الصلاة ونحوها من الأعمال مسألة عقدية فقال والصواب: أن الأعمال عند السلف : قد تكون شرطاً لصحة الإيمان أي أنها من حقيقة الإيمان قد ينتفي الإيمان بانتفاءها . أ . هـ وقد قدمت لك أخي القارئ أنها مسألة فقهية إلا إذا كان الترك جحداً أو عناداً لأنه تكذيب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهكذا يقال في سائر العبادات كجاحد الزكاة ونحوها مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

فالعامل عند الأشاعرة وسلفهم من أهل السنة والجماعة أنه شرط لكمال الإيمان، لا لصحة الإيمان، وأنه أصل، وفرع، ولذا فارقوا الخوارج والمعتزلة. لقوله تعالى ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) فتارك العمل إذا لم يكن شكاً ولا عناداً ولا جحداً، فهو مؤمن وليس بكافر، مع أنه فاسق بتركه للعمل، هذا مانص عليه الأشاعرة، وأصحاب الحديث وغيرهم.

الجانب الثالث النطق بالشهادتين: من شروط الإيمان عند الأشاعرة أن ينطق بالشهادتين فإن لم يفعل ذلك إباءً فهو كافر في الدنيا والأخرة.

يقول الباجوري: وإن الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما، ولو كان مدعن بقلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الأخرة. ١٩١ هـ.

وللحكم بالنطق عندهم محلان: في الحياة الدنيا وفي الأخرة: فمن اتفق أنه صدق بقلبه مع الإذعان التام ولم ينطق بلسانه لا لعذر منعه، كخرس ونحوه، ولا لإباء، فهو مؤمن عند الله، وأما في الأحكام الدنيوية فهو غير مؤمن، ويعنون بأحكام الدنيا، مناكحته وتغسيله والصلاة عليه إذا مات وغير ذلك فإنه لا يعطى له حكم المؤمنين إلا إذا علمنا بإيمانه، وهذا لا يحصل إلا بالنطق باللسان، لأنه علامة على ما في قلبه، فإن لم نعلم منه ذلك فيعطى أحكام الكفار في الدنيا، وأما في الأخرة فمادام أنه صدق بقلبه مع الإذعان التام فهو مؤمن عند الله لأن الله علام الغيوب. وقولهم مع الإذعان ليخرج تصديق إبليس ونحوه من الكفار فإنه بغير إذعان. فالإقرار باللسان عندهم شرط لإجراء أحكام المسلمين عليه ومعاملته معاملة المسلمين. ١٩٢.

فتبين مما سبق أنهم وافقوا السلف في الإيمان لأن هذا معنى قول السلف أن الإيمان تصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، ونطق باللسان، وليس معناه أن السلف يقولون بقول الخوارج من أنه إن لم يعمل فهو كافر، إلا ما ذكر في الكلام السابق مما استثناه العلماء كالأبي والجاحد ونحوهم. كلام ابن حزم في المسألة:

وقال الإمام ابن حزم: إن قال قائل: أليس الكفر ضد الإيمان؟

قلنا وبالله التوفيق: إطلاق هذا القول خطأ، لأن الإيمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا. فمن تلك المعاني شيء يكون الكفر ضداً له. ومنها ما يكون الفسق ضداً له لا الكفر. ومنها ما يكون الترك ضداً له لا الكفر ولا الفسق.

فأما الإيمان الذي يكون الكفر ضداً له فهو "العقد بالقلب، والإقرار باللسان" فإن الكفر ضد لهذا الإيمان. وأما الإيمان الذي يكون الفسق ضداً له لا الكفر فهو "ما كان من الأعمال فرضاً" فإن تركه ضد للعمل وهو فسق لا كفر. وأما الإيمان الذي يكون الترك له ضد فهو ما كان من الأعمال تطوعاً فإن تركه ضد العمل به وليس فسقاً ولا كفراً. برهان

١٩١ شرح الجوهرة ص ١١٦

١٩٢ نفس المصدر ص ١١٦

ذلك ما ذكرناه من ورود النصوص بتسمية الله عز وجل أعمال البر كلها إيماناً وتسميته تعالى ما سمي كفراً وما سمي فسقاً وما سمي معصية وما سمي إباحة لا معصية ولا كفراً ولا إيماناً. ١٩٣

المسألة الثانية : هل هم مرجئة كما ذكر الكاتب غفر الله له ؟

اولاً : نأخذ كلام المرجئة : فقد كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. ١٩٤

فلازم ذلك أن إيمان أفضل الصحابة أبي بكر رضي الله عنه كإيمان أفسق الفساق من المؤمنين .

فكيف نقول أن الأشاعرة كالمرجئة !!؟

وقد تقدم لك أنهم يقولون أن العمل شرط لكمال الإيمان ، وتاركه فاسق ، وهو تحت مشيئة الله في الآخرة إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فقولهم فيه هو قول أصحاب الحديث سواء بسواء من حيث المعنى على أقل تقدير .

فإذا كنت تقصد أن الأشاعرة مرجئة بمعنى أنهم لا يكفرون المسلمين بترك العمل إذا تركوه تهاوناً وكسلاً ، فهذا ليس بنقص في الأشاعرة ، بل هو عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج. وإن قصدت أنهم مرجئة بمعنى أنهم لا يدخلون العمل في الإيمان العام فكلامك باطل، لأن الأشاعرة

يدخلون العمل في الإيمان كما سبق بيانه.

فالأشاعرة وسائر أهل السنة وسط بين المرجئة والوعيدية من المعتزلة والخوارج.

قال الإمام الأرموي: والعاصي غير الكافر لا يعاقب عند المرجئة، وهو مذهب مقاتل بن سليمان، وعند المعتزلة والخوارج يقطع بعقابه.

وعندنا أنه لا يقطع بالعقاب ولا بالعفو، هذا في حق المعينين، وإن كنا نقطع بوقوع عفو الله تعالى في الجملة وأن الله

تعالى يعفو عن بعضهم، لما ورد في السمعيات الدالة عليه. ١٩٥

فواضح من كلام العلماء السابق أن الناس على أربعة مذاهب :

١. أهل السنة والجماعة : وهم جمهور الأثرية والأشعرية والماتريدية وهؤلاء يجعلون العمل شرطاً لكمال الإيمان لا لصحته.

٢. الخوارج والمعتزلة : وهؤلاء يجعلون العمل شرطاً لصحة الإيمان.

٣. مرجئة أهل الحديث ويسمون أيضاً مرجئة أهل السنة : وهم لا يدخلون العمل في الإيمان ولكنهم يعتبرون تارك العمل فاسقاً فمنهم : الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وسعيد بن جبيرة ، وطلق بن حبيب ، وعمرو بن مرة ، ومحارب بن زياد ، ومقاتل بن سليمان ، وحمام بن أبي سليمان ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن. ١٩٦ وهؤلاء من الفرقة الناجية بلا شك لأن الخلاف فيها يسير بين أهل السنة .

١٩٣ الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١٨/٣

١٩٤ الملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١

١٩٥ الرسالة التسعينية في العقائد الدينية .

١٩٦ الملل والنحل : ١/ ١٤٦

٤. غلاة المرجئة : وهم يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ولا يدخلون العمل في الإيمان بتاتاً . وهؤلاء هم المرجئة الخارجون عن أهل السنة والجماعة .

قال الإمام ابن حزم : وإنما لم يكفر من ترك العمل وكفر من ترك القول لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم بالكفر على من أبى القول وإن كان عالماً بصحة الإيمان بقلبه، وحكم بالخروج من النار لمن آمن بقلبه وقال بلسانه وإن لم يعمل خيراً قط، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيخرج منها - يعني من النار - قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»، فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه»^{١٩٧}

المسألة الثالثة: دعوى أنهم يقولون: أنه لا داعي لأن يقول الكافر لا إله إلا الله !! وهذا غلط عليهم وقد تبين مما سبق قولهم أن الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر في الدنيا والآخرة ولو كان مدعن بقلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة.^{١٩٨}

بل إذا لم ينطق به في الدنيا فليس بمؤمن في الأحكام الدنيوية فلا يعامل معاملة المسلمين.^{١٩٩} وتنبه إلى أن الكاتب يلقي التهم جزافاً بلا نقل ولا تثبت. وإن نقل أحدهم نقل شيئاً وترك الأشياء التي لو نقلت لثم بها التوضيح.

هل يزيد الإيمان وينقص على معتقد الأشاعرة؟

نعم يقول الباجوري: فتلخص أن الأقسام ثلاثة :

١- يزيد وينقص ، وهو إيمان الأمة إنساً وجناً .

٢- لا يزيد ولا ينقص وهو إيمان الملائكة .

٣- يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء . أ. هـ^{٢٠٠} ولكن تصديقه الذي هو أصل دخوله الإسلام وانتفاء الكفر لا ينقص ، ومادام أنه لا ينقص فكيف يزيد وذلك لأن التصديق لو نقص فهو إما شكاً أو تكذيباً وكلاهما كفر . قال ابن بطال: وأما التصديق بالله ورسوله فلا ينقص ولذلك توقف مالك رضي الله عنه في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لا

يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار

شكاً وخرج عن اسم الإيمان.^{٢٠١}

قال الإمام النووي: قال المحققون من أصحابنا المتكلمين : نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها . هـ^{٢٠٢}

^{١٩٧} الدرة فيما يجب اعتقاده ص ٣٣٧

^{١٩٨} شرح الجوهرة ص ١٦١

^{١٩٩} شرح المسيرة وشرح الجوهرة مبحث الإيمان .

^{٢٠٠} شرح الجوهرة ص ١٢٨

^{٢٠١} شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٠٣

مع العلم أن من الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة من يقول أن التصديق يزيد، وكأنه نظروا إلى مقتضيات زيادة تثبيت اليقين، ولكن المتأمل يرى أنه لا خلاف، لأن مقصود الجمهور منهم في نفي نقص الإيمان هي الشك أو التكذيب، بخلاف ما يقصده الآخرون وهو عمل القلب من طمأنينة وخشوع وغيرها.

إذن فكلام الأخ الحوالي وغيره. هداهم الله. مجرد شبهات، ولا يصلح أن يرمي طالب العلم بالكلام على عواهنه بلا بينة، ولا تثبت، ولا تمحيص. غفر الله للجميع. رغم أن مسألة الإيمان فيها خلاف كبير بين أهل السنة والجماعة، بين الأشعرية أنفسهم. وكذلك بين أصحاب الحديث أنفسهم، وراجع ليتبين لكم ذلك كتاب تعظيم قدر الصلاة لابن نصر، ولا إشكال في هذا الخلاف والله الحمد، فهذا خلاف لا يخرجهم عن الطائفة الناجية.

ثمرات خلاف الناس في مسألة الإيمان :

١. من الثمرات زيادة الإيمان ونقصانه: وهذا خلاف لمن يقول إذا وقع في كبيرة زال إيمانه بالكلية وخلد في النار. وهذا لا يقول به أحد من أهل السنة والجماعة لا من الأشعرية ولا الحنابلة المفوضة ولا الماتردية.
٢. أن الإيمان لا يزيد بفعل الطاعات لا في أصله ولا في كماله، فإيمان أفسق المسلمين كإيمان أبي بكر وعمر. وزعموا أن الإيمان هو مجرد المعرفة وهذا هو الإرجاء ولا يقول به أحد من أهل السنة والجماعة. ٢٠٣

مناقشة ثمة أقوال الحوالي والموجان مقارنة بأهل السنة والجماعة

قول الحوالي وغيره: أن العمل جزء من الإيمان معناه أن تارك العمل كافر قال الحوالي: (الإيمان حقيقة مركبة وترك جنس العمل كفر) ٢٠٤

فأقول: أولاً أن الإيمان أصل، وكمال وقد قاله كثير من العلماء ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية حيث قال: والدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع وهي كمال الإيمان. أ. هـ ٢٠٥

بينما الكاتب وغيره لا يعترفون بهذا التقسيم.

وعلى كل حال فلن أطيل في بيان أن تارك العمل إن لم يكن مستحلاً لتركه فليس بكافر وإنما إليكم نقول عن السلف هي عين مذهب الأشاعرة.

١. ما روي عن الإمام أحمد في رسالته إلى مسدد بن مسرهد: ((ولا يخرج من الإسلام إلا الشرك العظيم، أو يرد فريضة من فرائض الله جاحداً لها، فإن تركها تهاوناً وكسلاً كان في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه) ٢٠٦
٢. وعن سفيان الثوري قال: فمن ترك خلة من خلل الإيمان جاحداً كان بها عندنا كافراً، ومن تركها تهاوناً أو كسلاً أدبناه، وكان بها عندنا ناقصاً، هكذا السنة. ٢٠٧

٢٠٢ شرح صحيح مسلم ١/ ١٠٥

٢٠٣ الملل والنحل ١/ ١٤٠

٢٠٤ ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي. للحوالي وانظر نقضها للدكتور ياسر برهامي ص ٣٧

٢٠٥ مج الفتاوي ١٠/ ٣٥٥

٢٠٦ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢٦.

٢٠٧ الشريعة للأجري ١/ ٢٤٩ والإبانة لابطة ٢/ ٨٥٥.

٣- وقال ابن بطة : وقال أهل الجماعة : الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان ، والجوارح ، غير أن له أصلاً ، وفروعاً : فأصله المعرفة بالله والتصديق له وبه وبما جاء من عنده بالقلب ، واللسان مع الخضوع له والحب ، والخوف منه والتعظيم مع ترك الاستنكاف والمعاندة فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه . ولا يكون مستكماً له حتى يأتي بفروعه ، وفروعه المفترض عليه الفرائض واجتناب المحارم . أنتهى

وقارن بين كلام هؤلاء وبين قول الأشاعرة ، ومنهم ابن حجر العسقلاني ، والباजوري ، وابن بطلال وغيرهم فيما سبق نقله . والخلاصة : ١. أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون بترك العمل إلا إذا كان جاحداً ، ولا خلاف في ذلك إلا في مسألة ترك الصلاة ، وقد سبق بيانه ، وكذا إذا منع الزكاة وقاتل على ذلك فهما قيدان في الحكم الأول : أن يمتنع من إعطاء الزكاة . والثاني : أن يقاتل على ذلك . ففي هذه الحالة اختلف العلماء في كفره .^{٢٠٨} والراجح عند الجمهور عدم كفره .

٢. واتفق أهل السنة والجماعة ومنهم الأشاعرة على أن من طلب منه الإقرار باللسان وأبى فهو كافر في الدنيا والآخرة . وأما من لم ينطق بلسانه ولم يأبى فكذلك لا يحكم بإسلامه في الدنيا اتفاقاً ، لكن وقع الخلاف في هل هو شرط لإجراء الأحكام ، أم لصحة التصديق ، والأشاعرة على أنه لإجراء الأحكام .

والثمرة من ذلك أنه كافر عند الجميع في أحكام الدنيا ، أما في الآخرة فلا يجزم بكفره إن كان مصدقاً مدعناً في الباطن لأن الله أعلم بالباطن وهذا قول جمهور الأشاعرة ، أما الماتردية وبعض الأشاعرة فيكفرونه في الدنيا والآخرة . وحجة جمهور الأشاعرة أن الله أعلم بالباطن مادام أنه مؤمن بالله ففي قلبه مثقال ذرة من الإيمان أو أكثر . فحكمنا له بالظاهر ، وأما الباطن فعلمه عند الله . وحجة الجمهور أن نحكم له وحكماً إنما هو بحسب الظاهر ، ولم نحكم أصلاً بالباطن . فهو خلاف لفظي كما ترى .

٢. أن أهل السنة والجماعة قاطبة يحكمون بفسق تارك العمل كلية وأنه لو كان لا يترك العمل ولكنه يقع في كبيرة فهو فاسق أيضاً لا كافر ولو كانت كبيرة واحدة .

٣. أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية عند الأشاعرة والسلف . فبطلت جميع مزاعم الشيخ الحوالي والموجان غفر الله لي ولهما .

منشأ الشبهة عند الحوالي : هو أخذه بمرويات الأئمة دون تفريق بين الترك المجرد ، وبين الترك بجحود واستحلال ، وهذا هو عين شبهة الخوارج حيث أخذوا بظواهر الآيات والأحاديث كقوله ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) ونحوه من الأحاديث وإنما المقصود هنا هو كمال الإيمان لا أصله .

ومما تعلق به قول سفيان بن عيينه : المرجئة سموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم (أي ارتكاب المحرمات) وليسوا سواء ، لأن ركوب المحارم متعمداً من غير استحلال معصية ، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر ، وبيان ذلك في أمر آدام ، وإبليس ، وعلماء اليهود الذين أقرؤا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه . أنتهى كلام سفيان رحمه الله .

وكلام سفيان جلي في أن مقصوده المستحل والجاحد ، لأنه قد بين ذلك مستشهداً بفعل إبليس وعلماء

^{٢٠٨} المغني: ٣ / ٣٨٠ وفيه تفصيل نفيس .

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم/١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

اليهود، وإبليس ليس تركه تركاً مجرداً بل هو إباء واستكباراً، ولذا قال الباجوري رحمه الله: وإن الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما، ولو كان مذعن بقلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الأخرى. ٢٠٩ هـ. واليهود أبوا كذلك، وكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه نبي .

هل الإمام أبو حنيفة من أهل السنة والجماعة؟

هذا السؤال مما يتعجب أن يسأل عنه في إمام كالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، ولكن في زماننا حتى الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه لم يسلم من القدح فيه :

وللفائدة، فالإمام لا يقول أن تارك العمل ليس بفاسق، أو أن مرتكب الآثام والكبائر كأعدل المؤمنين . ولذا فعدم إدخاله العمل في مسمى الإيمان لا يترتب عليه شيء من جهة الفسق والعدالة لأن مرتكب الكبائر فاسق عنده . ولكنه يرى رضي الله عنه أن الآيات الدالة على زيادة الإيمان إنما هو من جهة التدرج في التشريع، أي أن الإسلام بدأ بتشريع الصلاة ثم زاد الأعمال الأخرى تدرجاً وشاهد ذلك قوله تعالى ((وما كان الله ليضيع إيمانكم)) فإن معناها عند أهل التفسير صلواتكم إلى المسجد الأقصى قبل نسخ حكم ذلك، والصلاة عمل من الأعمال والقرآن يفسر بعضه بعضاً. فإذا تأمل المنصف وجد أن له مأخذ قوي رحمه الله تعالى .

قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني عن الإمام أبي حنيفة : وعده كثير من أصحاب

المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول : الإيمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان . والرجل مع تحريجه في العمل كيف يفتي بترك العمل !!؟

وله سبب آخر وهو أنه كان يخالف القدريّة والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول . والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئاً، وكذلك الوعيدية من الخوارج . فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريق المعتزلة والخوارج، والله أعلم. أ. هـ.

٢١٠

إذن لا بد من النظر إلى ثمرات الأقوال ومعانيها، لا لمجرد الألفاظ والاصطلاحات، لأن الأحكام تترتب على المعاني لا على

الألفاظ فقط.

مسألة كلام الله تعالى

قال الكاتب: القرآن: أما مذهب الأشاعرة فمن منطلق التوفيقية - التي لم يخالفها التوفيق - فرقوا بين المعنى واللفظ، فالكلام الذي يشبّهه الله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء .

واستدلوا بالبيت المنسوب للأخطل النصرائي :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف - ومنها القرآن - فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة، بل هي عبارة عن كلام الله النفسي، والكلام النفسي شيء واحد في ذاته، لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو تورا وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه..

وعلى القول أن القرآن الذي نقرؤه في المصاحف مخلوق سار الأشاعرة المعاصرون وصرحوا، فكشفوا بذلك ما أراد شارح الجوهرة أن يستتره حين قال : " يمنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم " .

الجواب :

هنا كلام مختصر هو زبدة ما سأفصل فيه فأذكر الاختصار في نقاط :

١. أن كلام الله صفة له قائمة بذاته تعالى كسائر صفات الذات وليس بمحدث ولا حادث ولا مخلوق بل هو صفة أزلية أبدية القول فيها من هذه الجهة كالقول في الذات وبقية الصفات الذاتية.

٢. أن الأشاعرة خالفوا من قال أن ما بين دفتي المصحف هو صفة الله الأزلية وأنه حال في المصاحف وصدور الرجال وقائل ذلك هم بعض الحنابلة نقله عنهم ابن الزاغوني في كتاب الإيضاح.^{٢١١}

قال ابن الزاغوني: إن أصحابنا ومشايخنا العراقيين يقولون: القرآن في المصاحف ، والصدور لا على وجه الحلول ، ولا أنه قديم بها ، وأما أصحابنا أهل خراسان فإنهم لا يمتنعون من إطلاق ذلك والقول به. أ . هـ^{٢١٢} وهذا خلافاً لقول الإمام ابن تيمية : أنه لا قائل بهذا القول ، فتبين أن هناك من علماء مذهبه من قالوا بذلك ، وقد نقل عنهم علماء المذهب نفسه قبل الإمام ابن تيمية. بل قال عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المتوفى سنة (٣٨٧هـ) : قال ابن حجر : [وقد وقفت لابن بطة على أمر استعظمته واقشعر جلدي منه] . وبين ذلك إذ ذكر حديث [كلم الله تعالى موسى يوم كلمه وعليه جبة صوف وكساء صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي] ، وأشار إلى ضعف سنده ، وإلى رواية ابن بطة لهذا الحديث ، لكن بزيادة منكورة في آخره ، وهي [فقال: من ذا العبراني الذي يكلمني من الشجرة؟] . قال: أنا الله . وعلق ابن حجر بقوله: [وما أدري ما أقول في ابن بطة بعد هذا؟! ... والله أعلم بغيبه] .

٣. أن الأشاعرة خالفوا من قال إن كلام الله مخلوق خلقه في شجرة ونحوها وليس بصفة لله ، وهؤلاء هم المعتزلة . فمن يزعم أن الأشاعرة يقولون أن كلام موسى لله ليس حقيقة وإنما خلقه في شجرة فهو باطل وغلط عليهم .
٤. أن الأشاعرة خالفوا من قال إن كلام الله يحدث في ذاته وهم طائفتان : الطائفة الأولى : تقول أن نوعه قديم ولكن أفراده حادثة تحدث في ذاته . وهذه عقيدة ابن تيمية وأتباعه.

الطائفة الثانية : تقول أنه كلام ، وقول . فالكلام قديم ، والقول حادث وليس بمحدث . والكلام ليس بمسموع ، وأما قوله فمسموع . واتفقوا مع أتباع ابن تيمية على أن ذات الله محل للحوادث فتحدث في ذاته أقواله وأفعاله . سبحانه وتعالى . عن ذلك وهؤلاء هم الكرامية .^{٢١٣}

فأتباع ابن تيمية يقولون هو نوع وأفراد . والكرامية يقولون : هو كلام وقول .

والفرقتان أتفقتا على أنه حادث في ذات الله . مع تفصيل في الألفاظ سبق ذكره.

٥. أن الأشاعرة ينفون كون صفة الكلام الأزلية بحرف وصوت لعدم الدليل على ذلك . خالفوا بذلك كثيراً من الحنابلة^{٢١٤} والكرامية ونحوهم ممن تمسكوا بكون صفة الكلام الأزلية بحرف وصوت .

^{٢١١} أنظر نهاية المبتدئين لابن حمدان ص ٢٨ .

^{٢١٢} الإيضاح في أصول الدين لابن الزاغوني ص ٣٥٣

^{٢١٣} التبصير في معالم الدين للأسفراييني . مبحث الكرامية .

٦. أن الأشاعرة خالفوا الذين جعلوا كل إضافة ككلمة الله أو كلام الله أزلي . فخالفوا النصارى الذين قالوا إن عيسى قديم غير حادث لقوله تعالى ((وكلّمته ألقاها إلى مريم)) فرعموا أن عيسى عليه السلام كلمة الله وكلام الله أزلي فعيسى أزلي .^{٢١٥}!! وخالفوا من قال : أن ما بين دفتي المصحف هو صفة الله الأزلية . فبينوا أن كل لفظ على الحدوث دلا فهو غير أزلي كعيسى عليه السلام ، ومحمد ، والسماء ... إلخ.

ونأتي إلى تفصيل بعض لمسائل :

أولاً: الأشاعرة يطلقون على الصفة الأزلية القائمة بالله صفة الكلام النفسي ويطلقون عليها القرآن.

ومناسبة تسمية الصفة الأزلية بالقرآن ، لأنه لما كان ما بين دفتي المصحف دال على الصفة الأزلية صح تسميتها بمادل عليها ، وهذه التسمية هي من الأمور العملية لا العلمية الاعتقادية .

ثانياً: الأشاعرة يطلقون على ما بين دفتي المصحف القرآن ويسمونهم أيضاً كلام الله ، لقوله تعالى ((فأجره حتى يسمع كلام الله)). وقوله ((إنه لقرآن كريم)).

ثالثاً: تعريف صفة الكلام عند الأشاعرة : قال السنوسي : هو صفة أزلية قائمة بذات الله ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم وما في معناه من السكوت ولا التبعض ولا التقديم ولا التأخير .^{٢١٦}

قال ابن جرير الطبري وهو من أئمة السلف : العالم الذي أحاط بكل شيء علمه والقادر الذي لا يعجزه شيء أرادته ، والمتكلم الذي لا يجوز عليه السكوت.^{٢١٧} فاتبه لقول الإمام ابن جرير لا يجوز عليه السكوت . وهذا خلافاً للدكتور الحوالي ونحوه ممن وصف الله بالسكوت سبحانه وتعالى عن ذلك . وبالمقابل فلا يعني ذلك أن كلام الله ككلامنا ليلزم أننا إذا لم نسكت فنحن نثرثر كما يتخيل بعض من شبهوا الله بخلقه ، وقاسوا صفاته كالكلام على صفات مخلوقاته - سبحانه وتعالى .

قول الحنابلة: كما هو المعتمد عندهم قال أحمد في رواية ابن عبدوس: أن كلام الله ليس ببائن عنه نص عليه في رواية ابن عبدوس .^{٢١٨}

وقال الإمام أحمد : إن الله عزوجل كلاماً هو به متكلم وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها نفسه.^{٢١٩}

إذن فانظر إلى معتقد الأشاعرة وأصحاب الحديث ومنهم الحنابلة حيث أجمعوا على أنه لا يوصف كلام الله بالسكوت، وهذا مخالف لعقيدة الكاتب هداه الله وغيره .

^{٢١٤} للحنابلة حجج ليست بالقوية ومع ذلك فهم يقولون حرف وصوت لا يشبه الأصوات وينفون كونه بمعنى اصطكاك الأجرام ونحوها من خصائص الصوت المعهودة . وعرفوا الصوت بأنه ما يمكن سماعه هذا معناه عندهم . فاتهامهم بالتشبيه بعيد لكن ليس هناك دليل يدل على أن كلام الله بصوت والمسألة تحتاج إلى تحرير ليس هذا مكانه .

^{٢١٥} أنظر لمزيد تفصيل قولهم والرد عليهم كبرى اليقينيّات الكونية ص ١٢٧ .

^{٢١٦} حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين ١٧٦

^{٢١٧} التبصير في معالم الدين ١٢٧ .

^{٢١٨} نهاية المبتدئين ٢٨

^{٢١٩} اعتقاد الإمام أحمد ٣٨

استدلوا على ذلك بحديث: ((إن الله حد حدود فلا تعتدوها ، وفرض شرائع فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)).

وقد اختلف العلماء في تضعيف الحديث ، وتحسينه ، وتصحيحه . وعلى فرض ثبوته فهو صريح في أن السكوت ليس سكوت كلام ، وإنما هو بمعنى عدم تشريع أشياء غير ما شرع ليس إلا . فمن أين أتوا بإثبات صفة السكوت الكلامي ؟!! وهل هذا إلا تعجل وتجاسر على وصف الله بما لم يثبت وصفه به وإنما هو مجرد ظنون ، ولذا خالفهم في ذلك جميع أهل السنة من الحنابلة والأشاعرة والماتريدية فما وقفت عليه .

و كلام الله تعالى عند الأشاعرة يطلقونه على جهتين :

الجهة الأولى : الصفة الأزلية القائمة بالله تعالى والتي هي قديمة بلا ابتداء لا تتصف بالسكوت والخرس ونحوهما . ٢٢٠ لأن القول في صفات الذات كالقول في الذات من جهة الأزلية والأبدية ، فهي قديمة قدم الذات ، أبدية أبدية الذات ، وهي قائمة بالموصوف سبحانه وتعالى وليست بمحاذة ، شأنها في ذلك شأن الذات وبقية الصفات كصفة السمع والبصر والعلم والقدرة وغيرها .

سبب تسمية الصفة بالكلام النفسي : ويسمون هذه الصفة بالكلام النفسي أي : الكلام الذاتي لأنهم يقولون العلم النفسي والكلام النفسي وهكذا بمعنى الذاتي والدليل قوله تعالى ((ويحذركم الله نفسه)) فقالوا نفسه أي ذاته وقال تعالى ((تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)) فهذا معنى قولهم كلام الله النفسي أي . الذاتي . وهذا الكلام ينكر الأشاعرة كونه بحرف أو صوت لعدم الدليل المثبت لذلك .

الجهة الثانية : النظم المعجز الذي بين دفتي المصحف المسمى أيضاً بكلام الله تعالى . فكلام الله مشترك اشتراكاً لفظياً يطلق على كل من النظم والصفة إطلاقاً حقيقياً لوضعه له في اللغة . ٢٢١

لقوله عز وجل : ((فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)) فهذا الكلام مكتوب في المصحف بحروف ، وعلامات ترقيم ، وعلامات وقف وابتداء ، وتحزيب ، واجزاء ، وتنقيط ، وغيرها مما لا يخفى ، ويقرأه القارئ بحروف وأصوات ، فيصح أن يقال أنه بحرف لأننا نرى الألف والباء وغيره من الحروف التي تألف منها القرآن الكريم ، ويصح أن نقول أنه منقوط ، ومعرب ، أو مبني ، ومرفوع ، ومنصوب ، ومجزوم ، وغير ذلك مما نقوله في اللغة ، ولكن هذا الذي بين دفتي المصحف ليس هو الصفة القائمة بالله حلت في الورق ، وطبعها المطابع ، وخطتها الأيدي بالخير والمداد كما يتصور من لاعقل له؟ بل معناه أن الله تكلم به فهو كلامه .

قال الحنابلة : كلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث لا يشبه كلام الناس . ٢٢٢ فالحنابلة يخالفون الشيخ الحوالي وغيره في قوله : القرآن حادث الأفراد .

٢٢٠ حاشية الدسوقي على أم البراهين ١٧٦

٢٢١ حاشية الدسوقي على أم البراهين ١٧٧

٢٢٢ نهاية المبتدئين ٢٦

وقال الإمام أحمد : في قوله منه بدأ وإليه يعود قال: منه بدأ علمه وإليه يعود حكمه.^{٢٢٣} وقال تارة

القرآن من علم الله . وقال أخرى منه ظهر وهو المتكلم به وإليه يعود. وقد رد الأشاعرة على

شبهات بعض الحنابلة اللذين شذوا فقالوا بقدّم المداد والورق وقد ذكر مقالتهم ابن الزاغوني في كتاب الإيضاح والحنابلة يتبرؤون من هذا القول والله الحمد . قال الأشاعرة في رد هذه الشبهة :

أن الصفة الأزلية لا تحل في الورق ، ولا تكون حروف ولا أصوات ، وما في المصحف الكريم إنما هو دال على الصفة الأزلية القائمة بالموصوف سبحانه وتعالى ، لأن صفات الله لا تحل في الورق والقرطاس واللوح ، ولا في بيت العزة ، ولا غير ذلك من المخلوقات ، وثبتت أنها كلام الله تعالى .

وأما ماهو مراد الأشاعرة بالكلام الذي يثبتونه في اللغة ويطلقون عليه النفسي ؟

الحقيقة يا أيها القارئ الكريم أنه مجرد رد على المعتزلة الذين حصروا الكلام في اللغة في الحرف والصوت ، قال المعتزلة: لا يعرف كلام عند الناس إلا بحرف وصوت ، فقال الأشاعرة: بل الكلام في اللغة يطلق على الحرف والصوت ، ويطلق على النفسي الذي في الفؤاد . فهم يقصدون

كلام المخلوق وليس كلام الله.

وقول الأشاعرة أن الكلام يطلق ويراد به أيضاً ما في النفس هو قريب من قول الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى حيث قال: (وقد يراد بالحروف الحروف الخيالية الباطنة ، وهي ما يتشكل في باطن الإنسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل أن يتكلم به) ^{٢٢٤} . أ . هـ

وأعني قريب منه أي من جهة اتصاف المخلوق بذلك لا الخالق جلّ وعلا.

وقد استدل أئمة أهل السنة من الأشاعرة على إثبات كلام في اللغة بهذا المعنى الذي تبناه ، فمن أدلتهم على ذلك: قوله الله سبحانه وتعالى {ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول} و قوله عز وجل {فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم} قال أنتم شر مكانا {

واحتجوا بقول العرب : " أرى في نفسك كلاما ، وفي وجهك كلاما "

قول الشاعر العربي :^{٢٢٥}

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الكلام
دليلا

فظن البعض من خلال محاجة الأشاعرة للمعتزلة ونحوهم في لغة العرب أنه يثبتون هذا المعنى لله سبحانه وتعالى ، و الأشاعرة ينزهون الله عن كلام كالکلام المتعارف عليه بين البشر ، سواء كان بحرف وصوت ، أم كان كلام الفؤاد والنفس

ـ

^{٢٢٣} نهاية المبتدئين ٢٦

^{٢٢٤} مجموع الفتاوى ١٥٢/١٢

^{٢٢٥} قيل أن البيت للأخطى وقيل أنه نصراني واجمعوا على أنه عربي فاستشهد الأشاعرة ببيته ليس لأنه مسلم أو كافر بل لأنه عربي وقد نزل القرآن بلغة قريش وكانوا كفاراً فلا علاقة لذلك باللغة فتنبه يا أخي الكريم.

قال الإمام السنوسي: ما يوجد في كتب العلماء من التمثيل أي لكلامه تعالى القديم بالكلام النفسي في الشاهد عند ردهم على المعتزلة الفائلين باحصار الكلام في الحروف والأصوات ، لا يفهم منه تشبيه كلامه تعالى بكلامنا النفسي في الكنه تعالى وجل أن يكون له شريك ، وكيف يتوهم أن يكون كلامه تعالى مماثل لكلامنا النفسي وكلامنا أعراض حادثة... وإنما مقصد العلماء بذكر الكلام النفسي في الشاهد النقض على المعتزلة في حصرهم الكلام في الحروف والأصوات، فقليل لهم ينتقض حصرهم ذلك بكلامنا النفسي فإنه كلام حقيقة وليس بحرف ولا صوت، وإذا صح ذلك فكلام مولانا عزوجل ليس بحرف ولا صوت كما أن كلامنا النفسي ليس بحرف ولا صوت ، وأما الحقيقة فمباينة للحقيقة كل المباينة فاعرف هذا فقد زلت هنا أقدام لم تؤيد بنور الملك العلام^{٢٢٦}. أ. هـ قال الدسوقي : وحاصله أن أهل السنة ردوا على المعتزلة بأن كلامنا النفسي ليس بحرف ولا صوت وهو كلام حقيقة فليكن كلام الله كذلك أي ليس بحرف ولا صوت وهو كلام حقيقة فليس مراد أهل السنة بقولهم : فليكن كلام الله كذلك أنهما متماثلان في الحقيقة بل هما متباينان لأن كلامه تعالى صفة قديمة وكلامنا النفسي حادث وإنما مرادهم التشبيه في أن كل منهما ليس بحرف ولا صوت ، وإن تباينا في الحقيقة. أ. هـ ٢٢٧

المسألة الثالثة : إذا علمنا أن الكلام صفة من صفات الله ، وعلمنا أن صفات الله غير مخلوقة ، وأن صفاته لا تشبه الصفات من أي وجه كان من حيث الحقائق والمعاني ، فيأتي الجواب على السؤال إن شاء الله تعالى : من عدم مشابهة صفة الله وهي الكلام في مبحثنا لصفات المخلوق أمور كثيرة قد تقدم ذكر بعضها ونذكر الآن بعضها مما ذكره الأشاعرة :

١. كلام المخلوق بلغة من اللغات المخلوقة كالعربية أو السريانية أو غيرها أما كلام الله الذاتي فلا يشبه كلام المخلوق. قال الإمام الباقلاني: وأن كلامه مسموع بالأذان وإن كان مخالفاً لسائر اللغات كما أنه مرئي بالأبصار وإن كان مخالفاً لأجناس المرئيات.

وقال : كلام الله تعالى صفة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفاً به ، وأنه قائم به ومختص بذاته ، ولا يصح وجوده بغيره وإن كان محفوظاً بالقلوب ومتلوّاً بالألسن ومكتوباً في المصاحف ، ومقروءاً في المحاريب على الحقيقة لا على المجاز وغير حال في شيء من ذلك وأنه لو حل في غيره لكان ذلك الغير متكلماً به وأمرأً ومخبراً ((إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني)) وذلك خلاف دين المسلمين. أ. هـ ٢٢٨ وهذا نقيض كلام ابن بطة ونحوه حيث قال من عنده وضعاً في الحديث : [فقال: من ذا العبراني الذي يكلمني من الشجرة؟ . قال: أنا الله] . وعلق ابن حجر بقوله: [وما أدري ما أقول في ابن بطة بعد هذا؟ ! ... والله أعلم بغيه] . كما في لسان الميزان في ترجمة ابن بطة.

^{٢٢٦} في شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليه . ص ١٧٩

^{٢٢٧} حاشية الدسوقي ١٧٨

^{٢٢٨} الإنصاف ٣٨

٢. كلام المخلوقين في لغاتهم محصور بالعربية مثلاً تحد بثمانية وعشرين حرفاً، وهكذا غيرها من لغات المخلوقين. وكلام الخالق لا يشبه المخلوق فكلمات الله لا تنفذ قال تعالى ((قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً))

٣. كلام المخلوق يتعاقب شيء بعد شيء كما ترى فيما أكتب هنا، فالألف بعد التاء وكلام الخالق لا يشبه كلام المخلوق فلا يتعاقب. لأن كلام الله صفة من صفاته لا تقاس بصفة كلام المخلوق.

٤. فالإنسان مخلوق وكلامه مخلوق. والله تعالى خالق وكلامه ليس بمخلوق.

فبعد أن تبين لنا هذا فهل يجوز أن يقال أن القرآن الكريم مخلوق؟

ومن تأمل في حال الإمام أحمد مع المعتزلة علم أن المعتزلة أصلاً لا يثبتون الصفة قالت المعتزلة: تكلم بمعنى أنه محدث مخلوق واستدلوا بقوله تعالى ((ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون)) فرد عليهم الإمام أحمد وقال المحدث نزوله لا صفته ففرق الإمام بينهما. ولذا قال الأشاعرة من قال أن لفظي بالقرآن مخلوق. فمبتدع وإن أراد الصفة فهو كافر.

قال الإمام أحمد: القرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق فإن كلامه تعالى منه وليس ببائن منه (أي غير منفصل) وليس منه شيء مخلوق. أ. هـ ٢٩.

رأي الشيخ الحوالي في كلام الله تعالى: عقيدة الكاتب كما في شرحه على الطحاوية وهو ينسبه لأهل السنة والجماعة ظناً منه أن الأمر كذلك: أن كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد أي متعاقبة شيئاً بعد شيء. يقول الحوالي هده الله: مذهب أهل السنة والجماعة أنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يتكلم كما يشاء في أي وقت شاء، وكذلك في الأزل فيما لا أول له، فالنوع قديم، وأما آحاد أو أعيان الكلام فإنها متجددة

فأهل السنة!! يعتقدون أنه تعالى متصف بصفات الكمال أزلاً، وهو الأول والآخر، فهو يتكلم،

ونوع الكلام قديم ليس له أول، أما آحاده فلا. أ. هـ من شرحه على الطحاوية

فاعتقاد الشيخ الحوالي في صفة الكلام ليس هو عقيدة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً فليس عقيدة أحمد ابن حنبل رضي الله عنه ولا غيره، فالسلف يبدعون ويكفرون من يقول أن الكلام مخلوق أو حادث، أو متجدد كما عبر الكاتب بل الكلام عندهم صفة أزلية.

وإليك النقول في ذلك عن السلف:

١. في العلو للحافظ الذهبي أن فضيل بن عياض كان يقول: من زعم أن القرآن محدث فقد كفر ومن زعم أنه ليس من علم الله فهو زنديق.

٢. أملى أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه اعتقاده واعتقاد رفقاءه على أبي بكر بن أبي عثمان، وعرضه على محمد بن إسحاق الفقيه بن خزيمة فاستصوبه محمد بن إسحاق وارتضاه، وكان فيما أملى من اعتقادهم: فكلام الله عز وجل غير بائن عن الله ليس هو دونه ولا غيره ولا هو هو، بل هو صفة من صفات ذاته كعلمه الذي هو صفة من صفات ذاته، لم يزل ربنا عالماً ولا يزال عالماً، ولم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم، فهو الموصوف بالصفات العلى، ولم يزل بجميع صفاته

التي هي صفات ذاته واحداً ولا يزال ، وهو اللطيف الخبير . وكان فيما كتب : القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته، ليس (((شيء))) من كلامه خلقاً ولا مخلوقاً ولا فعلاً ولا مفعولاً ولا محدثاً ولا حدثاً ولا إحداثاً . (الأسماء والصفات ٢٢/٢)

وهكذا رد أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على من يقول أن كلام الله تعالى قديم النوع حادث (متجدد) الآحاد . وقال وكيع: من قال إن القرآن مخلوق فقد زعم أن القرآن محدث، ومن زعم أن القرآن محدث قد كفر .^{٢٣٠} فقد ورد وصح عن الإمام أحمد أنه لما كان في المحنة قالوا له ما تقول في القرآن قال ما تقولون في علم الله ؟؟ فجعل الكلام في القرآن كالكلام في صفة علم الله تعالى، وأنتم يا أخي الكاتب تفرقون بين كلام الله وبين علم الله من جهة قيامهما بالله كتفريق المعتزلة والكرامية .^{٢٣١} وقد سبق بيان كلام أهل السنة في صفة الكلام فليراجع وقارن . ولذا فكلام الباجوري يحمل على أحد محملين:

١. أن يكون مقصوده لفظنا به ، وليس المقصود أن كلام الله الذي تكلم به مخلوق .
 ٢. أو يقصد أن بعض مدلولات اللفظ مخلوقة فقد قال رحمه الله:.. والحاصل أن للألفاظ التي نقرأها دلالتان : إلى أن قال .. ثانيهما: وضعية لفظية والمدلول بهذه الدلالة بعضه قديم، وبعضه حادث وهذا يحمل كلام القراني وغيره . قال الإمام القراني: منه قديم وهو ذات الله وصفاته ، ومنه حادث كالسموات والأرض. أ. هـ .^{٢٣٢} أي مما ذكر في القرآن . قال الذهبي: فالقرآن العظيم حروفه ، وألفاظه ، ومعانيه كلام رب العالمين غير مخلوق ، وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة . إلى أن قال وفي المسألة بحوث طويلة والكف عنها أولى .^{٢٣٣}
- إذا علمنا ذلك علمنا أن تهمة الكاتب للإمام الباجوري تهمة في غير مكانها ، وأن الإمام مقصوده واضح يعرف من كلامه ومن كلام الناظم الذي شرحه ، وقد سبقه إلى ذلك أئمة الكرايسسي وابن كلاب والبخاري ومسلم وداود الظاهري والحارث المحاسبي فلا وجه للتشنيع هداكم الله . مع العلم أن قول : أن القرآن مخلوق قول باطل ، أقل ما فيه إيهاهم الناس .

وطالب العلم يجب عليه أن يسكت كما سكت الصحابة والتابعين وتابعيهم قبل أن تحصل الفتن فإن ابتلي بمعتزلي فيقول ما قال أحمد وغيره ، وإن ابتلي بمشبه فيقول ما قال البخاري وغيره ، وذلك كله للتعليم ، وإلا فالسكوت والإشتغال بالعمل النافع ، وترك الخوض أفضل ، ولذا قال الإمام أحمد : لولا ما قيل في القرآن لوسعه السكوت ، ولكن لم يسكت .^{٢٣٤} أي لم تسكت المعتزلة فاحتاج للكلام في المسألة رحمه الله تعالى . قال الإمام الباقلاني : قال الأشعري من قال : لفظي بالقرآن

^{٢٣٠} شرح اصول الاعتقاد ١/ ٢٣٢ ت نشأت كمال الدين .

^{٢٣١} نقل ذلك الذهبي في السير ١١/ ٢٤٥ وغيره بأسانيد صحيحة

^{٢٣٢} ١٧٨ شرح الجوهرة .

^{٢٣٣} السير ١٣/ ١٠١

^{٢٣٤} الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني تحقيق محمد سعيد القحطاني . ص ٧٣

مخلوق فهو ضال مبتدع قال الباقلاني : وكذلك نضلل ونبدع من قال لفظي به غير مخلوق وهو مذهب أحمد الذي رواه عنه ابنه صالح وعبدالله . ٢٣٥

وقال: وأن الله تعالى متكلم وكلامه غير مخلوق. ٢٣٦

فهذا رأي أئمة الأشاعرة في المسألة وهو عين كلام الشافعي وأحمد وأبوحنيفة وغيرهم مع مزيد إيضاح ليس إلا. ويقول الإمام السبكي في طبقات الشافعية وهو يذكر فتنة خلق القرآن وإفراط ابن أبي دؤاد: إنه لما كان الفداء في سنة إحدى وثلاثين ومائتين واستفك الوثائق من طاغية الروم أربعة آلاف وستمائة نفس قال ابن أبي دؤاد على ما حكى عنه ولكن لم يثبت عندنا من قال من الأسارى القرآن مخلوق خلصوه وأعطوه دينارين ومن امتنع دعوه في الأسر وهذه الحكاية إن صحت عنه دلت على جهل عظيم وإفراط في الكفر. وهذا من الطراز الأول فإذا رأى الخليفة قاضياً يقول هذا الكلام أليس يوقعه ذلك في أشد مما وقع منه فنعوذ بالله من علماء السوء ونسأله التوفيق والإعانة. أ. هـ من ترجمة السبكي للإمام أحمد فهل علماء الأشاعرة يقولون هذا عن من قال بخلق القرآن ويكونون قائلين بخلقه؟!!!

مسألة : دليل الأشاعرة على أن كلام الله ليس بصوت ولا حرف

١. الدليل عندهم على ذلك هو عدم الدليل قالوا لا يوجد دليل سمعي ولا عقلي على ذلك . فأما استدلال من خالف الأشعرية وغيرهم بأنه صوت وحرف فأدلة لا تقوم بها حجة : فأدلتهم هي :

١. اللغة : وهو أنه لا يعرف في الشاهد كلام إلا بحرف وصوت .

الرد: أن صفات الله لا تقاس على صفات المخلوق. رغم أن اللغة لا تحصر الكلام في الحرف والصوت بل هناك في اللغة كلام الفؤاد والنفس ولا نقول أن الله له كلام بهذا المعنى ولا بمعنى الصوت والحرف لأن هذا قياس باطل فإن صفات الله لا تقاس على صفات المخلوق. ٢٣٧

قال الألوسي: أما النفسي: فمعناه الأول تكلم الإنسان بكلمات ذهنية وألفاظ مخيلة يرتبها في الذهن على وجه إذا تلفظ بها بصوت محسوس كانت عين كلماته اللفظية .

ومعناه الثاني هو هذه الكلمات الذهنية والألفاظ المخيلة المرتبة ترتيباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتيب الخارجي.

والدليل على أن للنفس كلاماً بالمعنيين الكتاب والسنة فمن الآيات قوله تعالى : (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً) فإن (قال) بدل من (أسر) أو استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال في نفسه في ذلك الأسر فقيل (قال أنتم شر مكاناً) وعلى التقديرين فالآية دالة على أن للنفس كلاماً بالمعنى المصدرى وقولاً بالمعنى الحاصل

بالمصدر . ومن الأحاديث ما رواه الطبراني عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سأله رجل فقال : إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لأحببت أجرى فقال لا يلقي ذلك الكلام إلا مؤمن فسمى صلى الله

٢٣٥ الإنصاف للباقلاني.

٢٣٦ الإنصاف ص ٥٦

٢٣٧ مختصر من شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليه . ص ١٧٩

تعالى عليه وسلم ذلك الشيء المحدث به كلاماً مع أنه كلمات ذهنية والأصل في الإطلاق الحقيقة ولا صارف عنها أ. هـ

٢٣٨

٢. استدلل المثبتون لصفة الصوت : بحديث عن مسروق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم قال فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق الحق).

وفي البخاري تعليقاً من قول عبد الله بن مسعود: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق) انتهى .

قال في فتح الباري في رواية أبي داود وغيره " سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا " ول بعضهم الصفوان بدل الصفا وفي رواية الثوري الحديد بدل السلسلة ، وفي رواية شيبان بن عبد الرحمن عن منصور عند ابن أبي حاتم مثل صوت السلسلة ، وعنده من رواية عامر الشعبي عن ابن مسعود " سمع من دونه صوتاً كجر السلسلة " وقال البخاري في كتابه خلق أفعال العباد يذكر (هكذا بصيغة التمرير) عن النبي صلى الله عليه وسلم " إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا للذي قال : الحق ، وهو العلي الكبير ، فسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا - بعضهم فوق بعض - وذكر الحديث " .

وحديث: ((عن أبي سعيد مرفوعاً))(يقول الله يا آدام فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار))رواه البخاري

قال ابن حجر: ووقع فينادي مضبوطاً للأكثر بكسر الدال ، وفي رواية أبي ذر بكسر الدال على لبناء للمجهول (فينادى)، ولا محذور في قول الجمهور فإن قرينة قوله (إن الله يأمرك) تدل ظاهراً على أن المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك . أ. هـ ٢٣٩ فإذا لحديث فيه قرائن على أن النداء ليس من الله وإنما من ملك على أي الروايتين شئت فكيف نقطع بأن الحديث فيه إثبات صفة الصوت ؟ والدليل إذا تطرق له الاحتمال بطل الاستدلال.

رد أهل السنة على بقية الأحاديث:

لا بد للحكم الشرعي فضلاً عن الحكم العقدي من جمع جميع الأدلة في المسألة ، ثم بعد ذلك يحكم الحاكم حكماً صحيحاً ، وفائدة جمع جميع الأدلة لأن في الأدلة مطلق يحمل على مقيد وعام له مخصص وهكذا مما هو معروف في الأصول ، وإذا طبق ذلك على مسألة الصوت فإن بعض الأحاديث يفسر بعضاً ، والذي في الحديث يدل على أن الصوت صوت رجفة السماء كما في حديث أبي داود ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة....)) فالكلام صريح في أن الصوت هنا صوت للسماء كجر السلسلة .

٢٣٨ روح المعاني ١/ ص ١٠

٢٣٩ فتح الباري ١/ ٢٤٣

فإذن لا دليل صريح على أن الصوت هو كلام الله خصوصاً وقد فسر بأنه يخص السماء بقوله ((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجمر السلسلة))

ثانياً : أن قول القائل صوت الله كالسلسلة فالكاف هنا كاف التشبيه الصريح فتبين أن الأمر كيفما قلبته لا يثبت أن الصوت صفة لكلام الله الأزلي.

وغاية إضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالق ، لأن السماء مخلوقة وصوتها مخلوق ، فهو كما نقول بيت الله وناقة الله ونحو ذلك.

اما الحرف : فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف } رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وكل ماورد من أحاديث الحرف يقصد بها تلفظ الإنسان بالحرف ، وهذا لا يعني أن الصفة الأزلية بحرف ، فالقرآن مكتوب بلغة العرب وهي حروف ، ويتلوها بحروف ، وليس في الأحاديث الواردة في ذلك إلا بيان الثواب على قراءة القرآن لا أنه صفة الله الأزلية مركبة من حروف ، ولا دليل من الشرع ولا العقل على ذلك بل الكلام في ذلك دخول في التكيف والتشبيه والعياذ بالله وليس هناك دليل يعتمد عليه معتمد عند الوقوف بين يدي ربه يحتاج به عن نفسه فيقول: **جزمت** بأنك موصوف بالصوت والحرف . ولذا فقول القائل أن عدم وصف الله بالصوت والحرف من التعطيل كلام باطل ، لأنه لم يثبت حتى يقال أنه عطل شيئاً ، بل الملام على من يقطع أن الله موصوف بها بأدلة محتملة ، والاحتمال يبطل الاستدلال فتنبه رعاك الله . وقد تقدم بيان الاحتمالات الواردة بل تقدم صريح كون الصوت هو صوت السماء ونحوها من المخلوقات وليس صفة لله .

هذا هو رأي الأشاعرة في مسألة الكلام وحججهم ، واجتهادات من رد عليهم ، واجتهاداتهم لتعرف أقوال الأشاعرة كما هي . فيعتقد الأشاعرة أن صفة الكلام صفة أزلية ثبتت بالدليل القطعي الشرعي في الكتاب والسنة ، وصفات الله تعالى لا تثبت بالقياس على المخلوق .^{٢٤٠}

وما تقرر هو عين ما قاله الإمام أحمد : . فقد ورد وصح عنه أنه لما كان في المحنة قالوا له ما تقول في القرآن؟ قال ما تقولون في علم الله ؟ فحججهم بأن جعل الكلام في القرآن كالكلام في صفة علم الله تعالى ، نقل ذلك الذهبي في السير ٢٤٥/١١ وغيره بأسانيد صحيحة . وهذا هو كلامه وكلام أهل السنة قاطبة .

وثبت أن الكاتب هداه الله واقع في القول بخلق كلام الله ، وكلام الله ليس بحادث كما يقول ابن تيمية ، ولا متجدد كما يقول الكاتب ، بل هو صفة من صفاته يقال فيه كما يقال في صفة العلم كما ورد عن الإمام أحمد رضي الله عنه . نسأل الله لنا ولكم الهداية .

وفي ختام المسألة فإن الصوت الذي يضاف إلى الله لم ينكره أحد من الفريقين ولكنه يكون على احتمالين :

^{٢٤٠} الأشاعرة يخالفون قول من يقول : كل كمال ثبت للمخلوق فالله أولى به لأن المخلوق من كمالاته الزوجة والولد والبيت والمركب ونحو ذلك والله غني عن كل ذلك .

والقاعدة عندهم : أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه فيجب إثباته لله تعالى .

الأول : أنه إضافة مخلوق إلى خالق وبه قال جمهور أهل السنة والجماعة لعدم الدليل القاطع على أنه صفة ولا يجوز

الثاني: أنه إضافة صفة إلى موصوف ،وبه قال جمع من أهل العلم من الحنابلة وغيرهم ، ثم هؤلاء على قسمين: الأول :
يتعامل معه كسائر الصفات المتشابهة فيثبت الصوت مع القطع بأنه ليس كصوت المخلوق ثم يفوض معناه إلى الله ،فلا
كيف ولا معنى ،بل يمره ويسكت كما سكت الصحابة، أو يؤله على معنى لائق بالله . قال ابن حجر : وإذا ثبت ذكر
الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة ،وجب الإيمان به ،ثم إما التفويض وإما التأويل وبالله التوفيق.^{٢٤١}

الثاني: من قال أن الله صوت على الحقيقة في اللغة ونحن نعلم معناه. فهو مطالب بإظهار هذا المعنى الذي علمه فإن كان حق فهو مقبول وقوله على الحقيقة في اللغة باطل ، وإن كان المعنى فيه تشبيهه فهو باطل لفظاً ومعنى . وكذا من قال إنه قول كالمعروف في المحسوسات من ذبذبات ونحوها وهذا لا يقوله إلا غلاة المشبهة .

وقفه مع الموجان : الموجان يؤمن كما في كتابه بأن أفعال الله تحدث في ذاته .

فقال: أما مسألة قيام الحوادث بذات الله تعالى فهو أمر مجمل... إلى أن قال: فإن أردت أن الله محلاً للمخلوقات، أو تقوم به صفة لم تكن، فهذا ممنوع، وإن أردت أن لا يقوم به فعل يفعل ما يشاء وقت ما شاء فقد خالفت عشرات النصوص الدالة على أفعال الله {كل يوم هو في شأن} وقولك ومن المعلوم أن الحدوث دليل النقص هي دعوى مجردة عن برهانها قال تعالى {لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً}.. إلى أن قال: {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث} أ. هـ ٢٤٢ كل هذا ليستدل أن ذلك يحدث في ذات الله سبحانه وتعالى عن ما يقول.

التعليق على كلام الموجان: ١. قولك : (وإن أردت أن لا يقوم به فعل يفعل ما يشاء وقت ما شاء)

أقول يا أخي هداك الله :هل هذا الفعل يفعلهُ الله في ذاته أم يفعلهُ الله في مخلوقاته ؟! فنعم { كل يوم هو في شأن } فهذا يموت وهذا يولد ،وهذا يرزق وهي أفعال يفعلها الله في مخلوقاته لا في ذاته ،فأرجو أن تفهم ذلك يا أخي الكريم، لأنه إذا قامت الحوادث بالأزلي فهو حادث بلا ريب فالمركب من القديم والحادث هو حادث .ولذا فلا شك أن الله فعّال لما يريد، لكن أفعاله في مخلوقاته أما ذاته فلا تتغير ولا تتبدل ولا يحدث الله فيها شيئاً.

٢. تحججك بقوله تعالى : { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } على أن ذلك يحدث في الله تعالى فقد احتج الجهمية على الإمام أحمد رضي الله عنه بقول الله تعالى : ((ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون)) فقال : يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه هو المحدث . (البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٧) هذا معناه يا أخي هداك الله .

وجاء في جامع البيان عن تأويل آي القرآن . - للإمام الطبري الجزء ١٧ << سورة طه >> القول في تأويل قوله تعالى : { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون } . يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم، إلا استمعوه وهم يلعبون لا هيون لاهية قل و هم.

٢٤١ فتح الباري: ١٣/٤٥٨

٢٤٢ الرد الشامل ١٤٠

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن قتادة قوله: { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } . الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون.

وقال القرطبي: في الجزء ٧ سورة الأعراف < الآية: ٥٤

فقوله تعالى: "ألا له الخلق والأمر" صدق الله في خبره، فله الخلق وله الأمر، خلقهم وأمرهم بما أحب. وهذا الأمر يقتضي النهي. قال ابن عيينة: فرق بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. فالخلق المخلوق، والأمر كلامه الذي هو غير مخلوق وهو قوله: "كن". "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" [يس: ٨٢]. وفي تفرقة بين الخلق والأمر دليل بين على فساد قول من قال بخلق القرآن إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقاً لكان قد قال: ألا له الخلق والخلق. وذلك عيٌّ من الكلام ومستهجن ومستغث. والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه. ويدل عليه قوله سبحانه: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" [الروم: ٢٥]. "والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره" [الأعراف: ٥٤]. فأخبر سبحانه أن المخلوقات قائمة بأمره فلو كان الأمر مخلوقاً لافتقر إلى أمر آخر يقوم به، وذلك الأمر إلى أمر آخر إلى ما لا نهاية له. وذلك محال. فثبت أن أمره الذي هو كلامه قديم أزلي غير مخلوق.. أنتهى .

وفي آية سورة الأنبياء ، قال القرطبي: ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان ينزل سورة بعد سورة وآية بعد آية كما كان ينزل الله تعالى عليه في وقت بعد وقت لا أن القرآن مخلوق وقيل : الذكر ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمهم به وقال : { من ربهم } لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بالوحي فوعظ النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيره ذكر وهو محدث قال الله تعالى : { فذكر إنما أنت مذكر }

وهكذا يعلم المسلم أن المحدث هو نزول القرآن وليس صفة الكلام ، بخلاف من قال : أن كلامه سبحانه قديم النوع
حادث الأفراد يحدث في ذاته شيء بعد شيء . !!!

وفي العلو للحافظ الذهبي أن فضيل بن عياض كان يقول : من زعم أن القرآن محدث فقد كفر ومن زعم أنه ليس من علم الله فهو زنديق.

٣. قولك : (أو تقوم به صفة لم تكن ، فهذا ممتنع). أقول : هذا حق فلماذا تتناقض وتفهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضبه من قبل)) على أن ذلك حدث له سبحانه وتعالى أفلا ترى إلى قوله تعالى ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ...)) محمد ٣١ فهل تفهم من ذلك أن الله كان لا يعلم من هو المجاهد منهم ومن هو الصابر حتى ابتلاهم فحدث علمه بذلك ؟ أخي الكريم من كان في علم الله من أهل السعادة فهو من أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فهو منهم وتذكر حديث ابن مسعود في الصحيح فيؤمر بكتب أربع منه ((شقي أو سعيد) فما يستجد إنما هو للمخلوق ، أما الله تعالى فلا يحدث له شيء سبحانه جل شأنه ، واعلم أن السعيد من سعد في الأزل ، والشقي من كتب من أهل الشقاء في الأزل ، ولا يحدث لله شيء سبحانه جل شأنه .

٤. وقولك (أن قاعدة الحدوث دليل النقص هي دعوى مجردة عن البرهان) جوابه: بل عليها أعظم البراهين والدليل هو في معنى الحادث.. فمعنى الحدوث هو حصول شيء لم يكن ثم كان ووجد، فإذا كان حصل معنى الحدوث في موجود،

فذلك دليل على حدوث ذلك الموجود، لأن الوجود بعد العدم قد حصل في ذلك الموجود، ففرض كونه قديماً وهو قد قام به حادث تناقض تام .

فإذا قام الحادث بالقديم الأزلي جل شأنه ، وبقي قديماً، فمعنى ذلك أنه قد حصل في ذلك القديم شيء لم يكن، فهذا القديم مختلط بين القديم والحادث، فلا يبقى قديماً وإذا كنت تجوز في العقل أن القديم يمكن أن يقيم في نفسه حادثاً ويبقى قديماً، فهل تجوز أن **الحوادث** التي نراها بالمشاهدة يمكن أن تكون قديمة؟ إن قلت لا، فقد علمت المقصود ففقد عنده.

قال سيف الدين الأمدي: لو قامت **الحوادث** بذاته تعال لكان متغيراً، والتغير على الله تعالى محال. ولهذا قال الخليل عليه السلام: - لا أحب الآفلين - [الأنعام: ٧٦]، أي المتغيرين. كما في أبكار الأفكار ٤٦٠/١.

أملى أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه اعتقاده واعتقاد رفقاءه على أبي بكر بن أبي عثمان ، وعرضه على محمد بن إسحاق الفقيه بن خزيمة فاستصوبه محمد بن إسحاق وارتضاه ، وكان فيما أملى من اعتقادهم : فكلام الله عز وجل غير بائن عن الله ليس هو دونه ولا غيره ولا هو هو ، بل هو صفة من صفات ذاته كعلمه الذي هو صفة من صفات ذاته، لم يزل ربنا عالماً ولا يزال عالماً ، ولم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم ، فهو الموصوف بالصفات العلى ، ولم يزل بجميع صفاته التي هي صفات ذاته واحداً ولا يزال ، وهو اللطيف الخبير . وكان فيما كتب : القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفات ذاته، ليس ((شيء)) من كلامه خلقاً ولا مخلوقاً ولا فعلاً ولا مفعولاً ولا محدثاً ولا حدثاً ولا أحداثاً . (الأسماء والصفات ٢٢/٢ ختاماً أقول : لا أدري لماذا يظن هؤلاء الناس أنهم إذا خالفوا ابن تيمية في أي مسألة عقدية فإنهم تاركون لمعتقد أهل السنة ؟ !.

مسألة القدر

قال الكاتب غفر الله لنا وله :السادس : القدر:

أراد الأشاعرة هنا أن يوقفوا بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلاً عن إفهامها لغيرهم ولهذا قيل :

مما يقال ولا حقيقة تحته

معقولة تدنو إلى الأفهام

الكسب عند الأشعري ، والحال عند البهشمي ، وطرفة النظام

ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها : " إن الإنسان مجبور في صورة مختار "

وقال الحوالي في إيضاح شرح الطحاوية : ولكن ورث الجهم في مسألة الجبر أبو الحسن الأشعري الذي جاء بنظرية الكسب وطلابه إلى الآن على ذلك، وهم أنفسهم عاجزون عن إيضاح هذه النظرية، أ. هـ

هكذا قال !!!!!!!!

الجواب : أولاً : الكسب لم يأتي به الإمام الأشعري ولا غيره : بل هو المذكور في كتاب الله تعالى في آيات عديدة.

فما معنى الكسب ؟ وما معنى مصطلح التأثير عند أهل العقيدة ؟

الكسب والسبب والاختيار والخلق والجبر ألفاظ أطلقها الناس على فعل العبد الاختياري.

وقد اختار الأشاعرة لفظ الكسب لفعل العبد لأنه الوارد في القرآن الكريم قال تعالى ((بما كسبت أيدي الناس)) وقال تعالى ((ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)) ولذا فقد كان اللفظ الذي أطلقوه على الفعل هو الوارد في النصوص الشرعية . لأن الكسب معناه: قصد إلى الشيء مع الإنجاز . فهما شيئان (١) قصد ، (٢) وإنجاز. ٢٤٣

المسألة الثانية : معنى التأثير عند العقائديين ؟

اولاً : لابد أن نعلم أن الأشاعرة يذكرون هذه المسألة تحت أصل من أصول العقيدة وهو استحالة وجود شريكاً لله تعالى في أفعاله . فأصل هذا المسألة هو فيما يتعلق بأفعال الله هل الله شريك في ذلك أم لا ؟ ثم ما هو دور العبد في إيجاد فعله

الاختياري؟

فأهل السنة والجماعة على أنه لا شريك لله في أفعاله ، وأن كل مخلوق في هذا العالم فاعله خالقه .

ثانياً: التأثير مصطلح علمي اصطلاح عليه علماء العقائد ومعناه مرادف لمعنى الخلق : وهو كون السبب يوجد الأثر من العدم إلى الوجود استقلالاً عن الله أو بقدرة أودعها الله فيه فيكون العبد واسطة في ذلك. ٢٤٤

فهو مرادف لمعنى الخلق . فعند الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة والجماعة أن الله هو المنفرد بالخلق فمعنى قولهم أن العبد غير مؤثر بنفسه أي غير خالق لفعله رداً على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه . ولا يقصدون أن العبد لا يعمل بالأسباب كما يشاع عنهم .

المسألة الثالثة : وهي ماهو دور العبد في أفعاله الاختيارية ؟

فجوابه: أن أشهر الطرق في ذلك مايلي:

١. مذهبي غلاة القدريّة : وهم أصحاب معبد الجهني (ت ٨٠ هـ)، وغيلان الدمشقي (ت ٩٩ هـ)، وقد قالوا بالقدر الخالص وأنكروا علم الله تعالى الأزلي بأفعال العباد، وقالوا مقولتهم المشهورة المعروفة: "لا قدر والأمر أنف"، أي إن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد حصولها، وبالتالي يستحيل أن يكون قد قدرها منذ الأزل . وهذا المذهب مذهب مرذول مردود من قبل سائر الفرق الإسلامية، لأنه يعارض أموراً معلومة من الدين بالضرورة. ٢٤٥

٢. مذهب الفلاسفة : أن فعل العبد يحصل بقدرة مؤثرة يخلقها الله في العبد . وهذا باطل لأن الله غني عن عباده فليس بفقر إلى واسطة توجد الفعل بل ((إنما أمره إذا أراد أمراً أن يقول له كن فيكون)) فبطل كلام الفلاسفة وللأسف فقد تبع الفلاسفة على هذا الاعتقاد الضال بعض من المسلمين فتأثير شيء من الكائنات بقوة جعلها الله تعالى فيه ممتنع شرعاً وعقلاً ، لأنه يصير حينئذ خالق الكون محتاجاً في إيجاد

بعض الأفعال إلى واسطة تلك القوة، وهذا باطل لما عرف من وجوب استغنائه جل وعز عن كل ما سواه.

((وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين)) ((إنما أمره إذا أراد إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون))

٢٤٣ الإنسان مسير أم مخير للبوطي ص ٦٢

٢٤٤ وهذا المعنى متفق عليه حتى عند ابن تيمية إلا أنه يزيد رأي آخر في معنى التأثير ليس عليه العلماء ويأتي ذكره ومناقشته.

٢٤٥ راجع الباب الثالث من كتاب الانتصار للأشاعرة للشيخ الفودة.

٣. مذهب المعتزلة: أن العبد هو المخترع لأفعاله الاختيارية التي خلقها الله تعالى له إما مباشرة ، وإما توليداً ، وليس فعل العبد عندهم فعلاً لله تعالى، مع أنه سبحانه هو الذي خلق له أسباب الفعل من قدرة ونحوها. فحاصل مذهب المعتزلة أن الفعل ناتج فقط عن قدرة العبد وبلا تدخل من قدرة الله تعالى. مع إقرارهم أن الله تعالى يعلم ما سوف يكون منذ الأزل، ومع هذا فإن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى بل هي مخلوقة للناس. وهو باطل أيضاً لأنه لاخالق إلا الله. فاتفق الفلاسفة والمعتزلة أن العباد مستقلون بخلق أفعالهم الاختيارية بقدرتهم التي تحدث بخلق الله تعالى هذه القدرة لهم. والفرق بين مذهب الفلاسفة والمعتزلة هو في كيفية حدوث تلك القدرة فالمعتزلة يقولون : أن قدرة العبد حادثة باختيارالله وأما الفلاسفة فبطريق الإيجاب بالذات لاعتقادهم أن الله سبحانه لا يفعل باختياره، تعالى الله عما يقولون.^{٢٤٦}

٤. زعمت الجبرية أنه لا فعل للعبد أصلاً وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة للعبد عليها ولا قصد ولا اختيار". ومذهب الجبرية باطل بالضرورة للفرق الواضح بين حركتي المرتعش والمختار، والساقط من السلم والنازل باختياره، فقولهم واضح البطلان.

٥. مذهب الإمام الرازي وقلده فيه الإمام ابن تيمية^{٢٤٧}. يقول الرازي: هو أن مجموع القدرة مع الداعي مستلزم الفعل الذي يكون بحال متى اتصف بالقدرة والإرادة الجازمة ، وارتفعت الموانع فإنه يجب الفعل.^{٢٤٨} وقال ابن تيمية : فقدره العبد سبب من الأسباب ، وفعل العبد لا يكون بها وحدها، بل لا بد من الإرادة الجازمة مع القدرة ، وإذا أريد بالقدرة القوة القائمة بالإنسان فلا بد من إزالة الموانع. أ. هـ^{٢٤٩} فعندهم أن فعل العبد لا بد له من : قدرة + إرادة جازمة + انتفاء الموانع = وجود الفعل .

٦. أن فعل العبد واقع عند الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة بقدرة الله تعالى وحدها، و يوجد قدرة للعبد مقارنة للفعل لكن بلا تأثير . ومعنى بلا تأثير أي ليس العبد خالق للفعل وهناك أدلة فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وقوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ وقوله ﴿الله خالق كل شيء﴾. ومن السنة : ﴿إن الله صانع كل صانع وصنعه﴾، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، والحاكم، والبيهقي في الأسماء عن حذيفة. ودل على قول أهل السنة أيضاً إجماع السلف قبل ظهور أهل البدع، على أن الله تعالى هو الخالق بالاختيار لكل ممكن يبرز للوجود، ذاتاً كان أو قولاً لها أو فعلاً لا يشاركه تعالى في ملك جميع الممكنات واختراعها شيء أي شيء كان، وأن التأثير وإيجاد

الممكنات خاصة من خواص الله تعالى يستحيل أن يشاركه تعالى فيها غيره^{٢٥٠}.

^{٢٤٦} المسامرة شرح المسامرة ١١١

^{٢٤٧} وقبلهما أبو الحسين البصري المعتزلي .

^{٢٤٨} القضاء والقدر للإمام الرازي ٢٥٨ تحقيق محمد البغدادي ط دار الكتاب العربي

^{٢٤٩} مجموع الفتاوى ٤٨٧/٨

^{٢٥٠} أنظر كلام السنوسي رحمه الله.

فالأشاعرة لا ينكرون وجود قدرة للعبد على وفاق فعله ولا ينكرون وجود إرادة له كذلك، واختيار، ولكن الذي ينكره أهل السنة هو أن تكون قدرة العبد الحادثة لها تأثير في خلق الأفعال أي في إيجادها من العدم سواء استقلالاً أو بمعاونة الله الخالق وحده غنياً عما سواه. فمخالفة كثير من الفرق لأهل السنة والجماعة في كون قدرة العبد هي الكسب لا التأثير مخالفة باطلة، لأن هذا التقرير الذي قرره الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة، هو النتيجة الحتمية لما يقرره أهل السنة والجماعة في سائر الصفات من عدم وجود الشريك لله في أفعاله وصفاته. فلا وجه للتعجب الذي يبديه الكاتب والرافضة والمعتزلة وغيرهم لأنه تعجب في غير مكانه. بل العجب من المعتزلة كيف ينفون وجود الشبيه لله في خصائصه ثم يدعون أن لغيره تأثير في إيجاد المخلوقات كأفعال العباد

اهـ. قال الكاتب: (ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها: "إن الإنسان مجبور في صورة مختار")...

الجواب: أنه عين قول ابن تيمية بالجبر حيث يقول الإمام ابن تيمية: لوقيل: هب أن فعلي الذي فعلته واخترته هو واقع بمشيئتي وإرادتي أليست تلك الإرادة والمشيئة من خلق الله تعالى؟ وإذا خلق الأمر الموجب للفعل فهل يتأتى ترك الفعل معه؟ أقصى ما في الباب أن الأول جبر بغير توسط الإرادة من العبد وهذا جبر بتوسط الإرادة من العبد؟

فنقول (القائل ابن تيمية): الجبر المنفي هو الأول وأما إثبات القسم الثاني فلا ريب فيه عند أهل الاستنار والآثار لكن لا يطلق عليه اسم الجبر خشية الألتباس بالقسم الأول وفراراً من تبادل الأفهام إليه وربما يسمى جبراً إذا أمن من اللبس وعلم القصد أ. هـ ٢٥١

فالمأمل في كلامه، يعلم أنه يقول: إن تسمية ذلك جبراً هي تسمية صحيحة، لكن المانع من إطلاقها هو خشية الألتباس بمذهب الجبرية، لكن لو أمن اللبس جاز إطلاقه.

قال محمد بن كعب القرظي في قوله (الجبار) قال جبر العباد على ما أراد. ٢٥٢

وليس مقصود الإمام الرازي وابن تيمية أن الإنسان ليس له اختيار وإرادة، ولكن المقصود أن ما يفعله من أفعاله الاختيارية قد قدره الله تعالى ووقع بمشيئة الله وإرادته وخلقها. فمن قال أنه يفعل أفعاله بدون مشيئة الله، أو أنه مستقل بالفعل والإيجاد أو أن الله أودع فيه قوة يخلق بها فعله: فهو ضال والعياذ بالله. ولكن لا يعني أن يترك العمل بل (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وتركه للعمل حجة على تارك العمل بأن له اختيار وتوجه. ولكن الصحيح أن كون الله تعالى خالقاً في العبد إرادته وفعله وقدرته لا يستلزم مطلقاً أن يكون العبد مجبوراً، بل هذا هو الاختيار، لأنه تابع لإرادة العبد التي علمها الله تعالى منذ الأزل ولذا قال الإمام السعد التفتازاني: يعلم ويريد أن العبد يفعله أو يتركه باختياره، فلا إشكال. فإن قيل: فيكون فعله الاختياري واجباً أو ممتنعاً وهذا ينافي الاختيار. قلنا: ممنوع، فإن الوجوب بالاختيار محقق للاختيار لا مناف. أ. هـ ٢٥٣

٢٥١ مجموع الفتاوى ٣٩٥/٨

٢٥٢ نفس المصدر

٢٥٣ شرح العقائد النسفية

شواهد صريحة من أقول علماء السنة بالكسب:

فمنها حديث ابن عمر مرفوعاً ((كل شيء بقضاء حتى العجز والكيس))

وقال إمام من أئمة أهل لسنة وهو ابن جرير الطبري المفسر حيث قال:

في تفسيره آخر آية من سورة الفاتحة:- ((وَمَنْ شَأْنُ الْعَرَبِ إِضَافَةُ الْفِعْلِ إِلَى مَنْ وُجِدَ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ مُسَبِّبَهُ غَيْرَ الَّذِي وُجِدَ مِنْهُ أَحْيَانًا ، وَأَحْيَانًا إِلَى مُسَبِّبِهِ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي وُجِدَ مِنْهُ الْفِعْلُ غَيْرَهُ. فَكَيْفَ بِالْفِعْلِ الَّذِي يَكْتَسِبُهُ الْعَبْدُ كَسْبًا وَيُوجِدُهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَيْنًا مُنْشَأَةً ؟ بَلْ ذَلِكَ آخَرَى أَنْ يُضَافَ إِلَى مُكْتَسِبِهِ كَسْبًا لَهُ بِالْقُوَّةِ مِنْهُ عَلَيْهِ وَالِاخْتِيَارِ مِنْهُ لَهُ ، وَإِلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِإِيجَادِ عَيْنِهِ وَإِنْشَائِهَا تَدْبِيرًا أ. هـ

قال الإمام أبوحنيفة : وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله

خالقها. أ. هـ الفقه الأكبر مع شرحه ١٥٣

وقال الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث ٢٧٩: ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد إنها مخلوقة لله تعالى

إذن أهل السنة والجماعة كلهم قائلون بالكسب وإن اختلفوا في التسمية ، فمنهم من يسميه كسباً وفاقاً لصريح القرآن ، ومنهم من يسميه سبباً أو اختياراً . ولا مشاحة في الاصطلاح. ثم بعد ذلك تجد الموجان يقلد المحمود في إيهام القارئ أن هناك خلافاً في المعنى بين كلام الأشاعرة وبين سلفهم من أهل السنة في الكسب فأوهمو القارئ أنه لا توافق في المعنى ثم لم يأتوا بأي قرينة على هذا الاستنتاج ، فظهر أنه مجرد إيهام منهم وظنون لا مستندله بقرائن لفظية أو غيرها، وإنما دفعهم إلى

٢٥٥

٢٥٤

ذلك أنهم وجدوا جميع أهل السنة سلفها وخلفها قائلين بالكسب لفظاً ومعنى . ٢٥٤ يقول الموجان في بيان مذهب ابن تيمية في أفعال العباد: إن الله خالق أفعال العباد كلها ، والعباد فاعلون حقيقة ، ولهم قدرة حقيقية على أفعالهم ولهم إرادة ، ولكنها خاضعة لمشيئة الله الكونية فلا تخرج عنها، فالله يخرج فعل العبد بتوسط قدرة العبد وإرادته. أ. هـ ٢٥٦ وقد سبق بيان ما في كلامه من محاذير فالله يخرج فعل العبد عند أهل السنة بدون حاجة إلى واسطة (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) . والخلل الثاني: قوله أن العبد فاعل حقيقة ، لأن الفاعل حقيقة هو الخالق لأفعاله. فلا فاعل حقيقة عند أهل السنة إلا الله . أي لا خالق إلا هو ، ولا شك أنه لا يقصد أنه خالق لفعله فقد صرح بذلك ، وإنما أقول أن أهل السنة يردون على المعتزلة ، والفاعل عند أهل السنة والمعتزلة في هذه المسألة هو خالق الفعل فتبين لكل من يفهم ، ماهو مغزى العقائديين من الطرفين في موطن النزاع فكلامه هنا في موطن النزاع مجرد تشغيب وسيأتي مزيد بيان . قال: الصفاقسي : وهذا الكسب الذي أثبتته أهل السنة لا تأثير له كما أشار إليه الناظم بقوله:

٢٥٤ الرد الشامل ١٦٢

٢٥٥ للفائدة العظيمة أنظر هذه المسألة بتفصيل شيق للشيخ محمد البوطي في كتابه (الإنسان مسير أم مخير)

٢٥٦ الرد الشامل ١٥٦

(ولم يكن) ذلك العبد (مؤثراً) بذلك الكسب الذي كُلف به في المقدور تأثير اختراع وخلق وإيجاد له؛ لقيام البرهان على انفراد البارى بالتأثير، لا مؤثر سواه في شيء ماعموماً^{٢٥٧}

سؤال : مانوع الفاعل في هذه الجمل؟

علم الله طلبه العلم . (فاعل حقيقية) (مؤثر خالق)

علم المدرس طلبه العلم . (فاعل مجازاً) (أي غير خالق)

دمر الله القرية . دمر الجيش القرية .

هذا الفعل للإنسان هل هو على وجه الاستقلال أو الشراكة، أو الكسب ؟ فإن قلت الاستقلال فهو كفر بالله كما لا يخفى . وإن قلت شريك له فهذا شرك أكبر . فلم يبق لك إلا أن تقول : هو كسب فقط أو تسميه سبباً أوتقصد أنه فاعل مجازاً . حتى على قولك أنه **فاعل حقيقة فكلامك يحتمل أحد معنيين :**

الاحتمال الأول : أن مقصودك أنه الخالق لفعله وهذا استبعد أن يكون هو مرادك وإن كان هو المقصود عند جمهور العقائديين خلافاً لمعتمد الماتردية .

الاحتمال الثاني : أن تقصد أنه السبب المباشر للفعل لكن لا على وجه الخلق والإيجاد أي التأثير ، ولا على وجه المعاونة لله سبحانه ، بل الله الخالق وحده فهذا هو نفس كلام الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة فصار الخلاف لفظياً . فالمهم أن العبد ليس بمؤثر أي ليس بخالق لفعله . فالأشاعرة يا أخي ينفون أن يكون المخلوق فاعل بمعنى الخلق ، سواء كان هذا الإيجاد استقلالاً أو كشريك لله ولو أدنى شراكة أو كون العبد واسطة بين الله ومفعولاته . فهذا هو مذهبهم فالكسب وصف وليس بفعل إيجاد ولذا فيقال فلان شرير لأنه اكتسب الشر . ولا يقال للخالق عز وجل أنه شرير لأنه خلق الشر . لأن الشرير هو المكتسب للشر لا الخالق . قال الإمام الأنصاري: ومع أن الشر مخلوق لله تعالى على فرض أنه وجودي، لكن الأدب أن لا ينسب لله تعالى إلا الحسن فينسب الخير لله والشر للنفس ، وإن كان منسوباً خلقاً لله، وذلك لأن نسبة الشر يتبادر منها عادة اكتسابه، والرضى به، ومعلوم أن الله تعالى لا يرضى بالشر^{٢٥٨}.

وقول القائل : أن الفعل يضاف للعبد ؟ فنعم والإضافة إليه إضافة صفة إلى موصوف ، وهذا هو الكسب . أما إضافته لله فهي إضافة مخلوق مفعول إلى خالق فاعل . ويصح أن تقول أن العبد فاعل لكن مجازاً لاحقيقة . أي أنه ليس بخالق . هذا هو معنى كلامهم .

^{٢٥٧} تقريب البعيد إلى جوهر التوحيد تأليف الشيخ علي بن محمد التميمي المؤخر الصفاقسي ص ٦١

^{٢٥٨} شرح الأنصاري على أم البراهين تهذيب الشيخ الفودة .

وعلى هذا فيصح أن نقول: فلان ساجد، عابد، أو زاني عاهر لأن هذه صفات تضاف إلى من يتصف بها وهو من يوصف بالكسب. وتضاف إلى الله إضافة مخلوقات إلى خالق. ومعلوم أن خالق الخير والشر وجميع المفعولات هو الله وحده لا شريك له. ولكن لا يضاف الشر إلى الله من باب التأدب. قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((والشر ليس إليك)). هذا هو مذهب الأشاعرة بلا تشنيع. قال تعالى ((هل من خالق غير الله))

والمقصود أن المطلوب هو ثلاثة أشياء:

١. أن نعلم أن العبد لا يخلق فعل نفسه وإنما الخالق هو الله وحده.

٢. أن العبد غير مجبور على أفعاله الاختيارية بل هو مختار .

٣. أن نستعمل الاصطلاحات العلمية عند أهل الفن الذي نتكلم فيه، فلا تقل أن العبد مؤثر وأنت تقصد مجرد كونه سبباً لا خالقاً ، لأن هذا فيه تلبيس للمصطلحات والمفاهيم العلمية مما يورث الشقاق.

تنبيه/خير القارئ المنصف يعلم أن كلام الرازي وابن تيمية في فعل العبد لا يغير من الحقيقة أي شيء ، لأن الخلاف أصلاً في إيجاد فعل العبد من العدم إلى الوجود هل هو بفعله هو أم بفعل الله ؟
والجواب المتفق عليه : أن الله هو الذي أوجده من العدم .

فيتبعه السؤال الثاني: وهو هل للعبد قدرة على منع ما أراد الله إيجاداه ؟ والجواب أنه لا مدافع لقدرة الله أبداً .

فلماذا يحاسب العبد على ذلك وهو لم يخرج من العدم إلى الوجود ؟ وجواب أهل السنة أن العبد هو الذي اختار ذلك وأراد ، فيحاسب على قصده وتوجهه ، واكتسابه له . ((بما كسبت أيديكم))

فالسؤال هنا : ماهي حقيقة هذا الاختيار أو السببية أو الكسب ؟ . وهنا وقف الأشاعرة وإذا ذكر القدر فأمسكوا ،

لأن هذا ما يعجز الناس عن بيان حقيقته ، وتكلم غيرهم فلم يأت بمفيد ، لأنهم لم يبينوا حقيقة فعل العبد إلا بما هو عين قول الأشاعرة في المعنى وإن خالفوا في اللفظ ، فهم لا يقولون أن العبد خلق فعله فهو مستقل به أو معاوناً لله ، ولا

أظن أن أحد منهم يجيز أن غير الله خلقه ، بل غاية ما يقوله بعضهم أنه اعتباري ، وعند ذلك سنطلب معنى كونه

اعتباري وما سر محاسبته عليه . وهي كالحوض في حقيقة الصفة وحقيقة الذات الإلهية وحقيقة ما في الجنة ، والنار فمن أين للناس معرفة ذلك؟! فلو قيل فاعل أو كاسب فالنتيجة واحدة بعد الاتفاق على أنه غير خالق.

ختاماً : فكلام الرازي وابن تيمية قد يقتنع به صاحب عاطفة جياشة ، ولكنه لا يفيد في المسألة عند التحقيق، فهو يصلح لتقريب المعنى ، لا لبيان حقيقة المعنى ، وإنما خوض العلماء وخلافهم في حقيقة فعل العبد لا في تقريب المعاني ،

هذا سبب خلاف المعتزلة والجبرية وأهل السنة والجماعة

فنظرية القائلين : أن القدرة + إرادة جازمة + انتفاء الموانع = وجود الفعل .

نقول وجود الفعل هذا هل هو إيجاد من العدم ... إلى آخر الأسئلة السابقة . ولم يبق للمؤمن إلا التسليم . وأن مذهب الأشاعرة المعتمد هو صحيح بلا شك ، والله أعلم.

قال الكاتب غفر الله له: والإرادة عند الأشاعرة معناها " المحبة والرضا وأولوا قوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) بأنه لا يرضاه لعباده المؤمنين ! فبقي السؤال وارداً عليهم : وهل رضيه للكفر أم فعلوه وهو لم يرده ؟

الجواب : هذا الكلام غير صحيح فمن الذي قال أن تعريف الإرادة عند الأشاعرة المحبة والرضا!!!!

قال الكليسي رحمه الله : وأما الإرادة فهي كالمشيئة صفة قديمة زائدة على الذات، قائمة به، تخصص أحد طرفي الشيء من الفعل والترك، بالوقوع في أحد الأوقات، مع استواء نسبة القدرة إلى جميع الممكنات. فكل ممكن علم الله تعالى أنه يكون أو لا يكون فذلك مراده، وبذلك تعلم أن تعلق الإرادة فرع عن تعلق العلم أي تابع له ومتأخر عنه في التعقل .^{٢٥٩}

فقول الكاتب: والإرادة عند الأشاعرة معناها " المحبة والرضا) باطل فهم يفرقون بين الإرادة والرضا .

قال الإمام الباجوري في تعريف الرضا : رضا الله تعالى : هو قبول الشيء والإثابة عليه .

وقال : وغايرت الإرادة رضاه تعالى وغرضه بذلك (أي الناظم) الرد على من فسر الإرادة بالرضا

. فإن الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى كالكفر الواقع من الكفار فإنه بإرادة الله ولا

يرضاه.^{٢٦٠}

والخلاصة أن الأمور التي تجري في المخلوقات ومنها كفر الكافر ، وإسلام المسلم ، وموت شخص وولادة آخر ، كلها بإرادة الله فلا مكره له .

فليس الله مكرهاً على أن يكفر الكافر بل كفره بإرادة الله ، وليس الله مكرهاً على أن يسلم المسلم ، بل إسلامه بإرادة الله قال تعالى ((وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين))

فصد الإرادة الإكراه والله لا مكره له ، هذا كل ما في الأمر. قال تعالى ((فعال لما يريد)) وهو عين قول السلف (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) وهو صريح قول الطحاوي في متن الطحاوية : (لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد).

صفة الإرادة صفة واحدة كسائر الصفات الأزلية .

شبهات حول صفة الإرادة : يظن البعض هداهم الله تعالى أن صفة الإرادة تنقسم^{٢٦١} ثم جعلوا تقسيمها إلى إرادة تكوينية وإرادة شرعية ، ثم ظنوا أن ما اسموه إرادة الله الشرعية يريد به الله فلا يقع هكذا !!

واستدلوا بالآيات التالية :

١. قول الله سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)

الجواب: أنه خاصة بالتشريع والتشريع قد وقع فعلاً ولم يتخلف فأراد تشريعه أن يكون يسيراً بنا فوق ذلك ولم يرد أن يكون عسيراً فوق ذلك ووقوعه بإنشاء وإنزال هذه الشريعة فإنها شريعة يسيرة لا عسر فيها والله الحمد فقول من يقول: أن الإرادة هنا قد تتخلف باطل لأنها لم تتخلف بل

^{٢٥٩} خير القلائد شرح جواهر العقائد.

^{٢٦٠} شرح جوهرة التوحيد ١٦٨

^{٢٦١} لمزيد الفائدة أنظر ما كتبه الشيخ: سعيد الفودة الأشعري في شرحه للطحاوية.

وقعت .

٢. (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) وهذا يقع أيضاً ولا يتخلف فإن من تاب توبة صحيحة تاب الله عليه فكيف يقول القائل أن الله يريد لها فلا تقع؟! فمن تاب فقد أراد الله له الهداية ومن لم يتب واتبع الشهوات فقد أرا دالله له عدم التوبة كما قال ((وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ)) فالنصوص بعضها يفسر بعضاً.

٣. : ((يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الَّذِينَ سَبَقُوا مِنَ الَّذِينَ يَتُوبُونَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) وهذه أيضاً قد وقعت ولم تتخلف كما يزعم من يزعم ذلك فإن الله قد بين لهذه الأمة أمر دينها وقد هداها فعلاً لما قبلها من سنن المؤمنين السابقين لها زمناً وأراد أن يتوب عليهم وكل هذا قد وقع ولم يتخلف. فقد بين الله دينه بإرسال نبيه وإنزال كتابه وما مات الرسول إلا والناس على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك. وكذلك شرع لهم التوبة بشروطها ولم يتخلف مما أراه الله شيئاً. ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ))

٤. ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ))

فيقول قائل فلم يريد الله لنا شرعاً أن تقع في حرج، لكن قد تقع فيه قدرأ كونياً. وهذا باطل لأن معنى الآية أن الله لا يريد بإنزال التشريع أن يشق عليكم بل أنزل التشريع تطهيراً للناس، ولا شك أن هذا قد وقع بإنزال الشريعة واتباعها. ولا حظ أن الكلام موجه للجميع لأن الشريعة لا حرج فيها حقيقة، ولا كلفة، ولأن التطهير واقع لأتباعها فلله الفضل والمنة. فكيف نقول أنه قد يقع حرج فالحقيقة أن الشريعة لا حرج فيها بذاتها أما كون عبد من العباد قد يتحرج في شيء فالشريعة والله الحمد فيها رفع الحرج عن هذا العبد فمانزلت بحرج فمن حصل له حرج بمرض وجد الرخصة في الشريعة ومن وجد حرج بسفر وجد الرخصة في الشريعة ولا يوجد في الشرع حرج أبداً لأن الشرع أتى برفع الحرج إن وقع شخص في حرج فلا تضاد في مرادات الله أبداً. ومن تأمل فطن لذلك. فمن قال: إن إرادة الله قد لا تقع (أي قد تتخلف) فهو مخطيء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فيا أخي إن رأيت أمراً لم يقع فاعلم أن الله لم يرد ولا يعني أنه أراه ثم تخلف وقوعه. فلا سبيل لوصف إرادة الله بالتناقض والعياذ بالله. ولا وجه لافتراض إرادة الله تقع، وإرادة الله لا تقع.

ولعل منشأ الخلط هنا هو الخلط بين مفهوم الإرادة، والرضا، والأمر، وقد سبق بيان الفرق بينها.

ثانياً: إسلام الصحابة، وكفر أبي لهب كله بإرادة الله. فلم يسلم الصحابة بدون إرادته

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

، ولم يعصه أبي لهب كرهاً . بل قد اراد الله له النار وبئس القرار مصداق ذلك قوله تعالى ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ))

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزوجل ((هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي)) ((لا يسئل عما يفعل وهم يسألون))

فإرادة الله تعالى صفة واحدة كسائر الصفات الذاتية . ٢٦٢

أقوال ائمة السلف في المسألة وكلهم يقولون كقول الأشاعرة لأن كلام أهل السنة واحد في معناه :

١. قول الصحابة أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وزيد بن ثابت وحذيفة :

(إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم) ٢٦٣ وعن عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده مرفوعاً ((لو اراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس) ٢٦٤

٢. قال أبو عثمان الداني المشهور بابن الصيرفي: ومشيتته تبارك وتعالى ومحبتة ورضاه ورحمته

وغضبه وسخطه وولايته وعداوته هو أجمع راجع إلى إرادته.

وقال : وما يجعله منه كسباً لعباده من خير وشر ، ونفع وضر وهوى وضلال وطاعة وعصيان ولا يكون حادث إلا بإرادته ، ولا يخرج مخلوق عن مشيئته ، وما شاء كونه كان وما لم يشأ لم يكن ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا مضل لمن هداه ولا هادي لمن اضله كما أخبر عن نفسه ((إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين)) ٢٦٥

٣. قال الإمام الطحاوي: يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً وكلهم متقبلون في مشيئته بين فضله وعدله. ٢٦٦

خلط الكاتب بين مسألة الإرادة والرضا

قول الكاتب: (ولا يرضى لعباده الكفر) بأنه لا يرضاه لعباده المؤمنين ! فبقي السؤال وارداً عليهم : وهل رضيه للكفار أم فعلوه وهو لم يرده ؟

٢٦٢ لمزيد الفائدة أنظر كبرى اليقينيات الكونية للبوطي .

٢٦٣ شرح أصول السنة للألكائي ١/ ٥٩٣

٢٦٤ نفس المصدر ١/ ٥٤١

٢٦٥ الرسالة الوافية ص ٦٤ تحقيق: محمد سعيد القحطاني.

٢٦٦ متن الطحاوية.

الجواب: هذا الإيراد من الكاتب غفر الله له هو إيراد المعتزلة على أهل السنة والجماعة ومنهم الأشاعرة. وكثير من الإيرادات التي أوردها الكاتب هي إيرادات المعتزلة على الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة والجماعة، وقد دحض أهل السنة والجماعة شبهات المعتزلة في كتب كثيرة جداً، فيأتي الكاتب - هداة الله - فيأخذ ذلك السؤال الذي أورده المعتزلي، ثم ينثره بين أناس لا يدرون أنه سؤال المعتزلة، ثم يصور لهم أن أهل السنة وقعوا في حيرة من أمرهم وبقي الاستشكال وارداً كما هو. وهذا باطل وإليك جواب أهل السنة والجماعة عن إيراد المعتزلة الذي ذكره الكاتب هداة الله.

أما كون الآية خاصة بالمؤمنين فلا شك، وكثير من الآيات المقترنة بقوله يا عبادي وعباده ونحوها خاصة بالمؤمنين. والسؤال يرد عليهم أيضاً: هل الخالق - سبحانه وتعالى - مجبور على كفر الكافرين فيكفر الكافر بدون إرادة الله، وهل يعصونه قهراً فتظهر مشيئتهم على مشيئته وتغلب إرادة المخلوق إرادة الخالق؟! !!

قال الإمام عثمان الكليسي: فمذهب أهل الحق أن كل ما أراده الله فهو كائن، وإن كل ما هو كائن فهو مراد له وإن لم يكن مرضياً ولا مأموراً به، بل منهياً.

وهذا منصوص في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ وفي الحديث: ﴿ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن﴾.

و مذهب أهل الحق أن الرضا أحص من الإرادة، لكونه عبارة عن الإرادة مع ترك الاعتراض.

وجاء في شرح البيت الثالث والخمسين من تهذيب الجوهرة: مذهب أهل السنة: أن الإرادة تتعلق بالممكنات بأسرها، لا يند عنها ممكن ما، كالقدرة في تعلقها بالممكنات، لكن الإرادة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، والقدرة تبرز ما خصصته الإرادة، والإرادة غير العلم والرضا والأمر.

وخالف المعتزلة في الأصلين الأولين، أعني أن كل ما أراد الله فهو كائن وإن كل ما هو كائن فهو

مراده ذهاباً إلى أنه يريد من الكفار والعصاة الإيمان والطاعة، ولا يقع مراده ويقع منهم الكفر والمعاصي ولا يريد هما، وكذا جميع ما يقع في العالم من الشرور والقبائح.

وأيضاً خالفوا في الأصل الثالث حيث قالوا بتلازم الإرادة والرضا. ٢٦٧

قال الخيالي: اتفق أهل الحق على أن إرادة الله تعالى تتعلق بما كان ولا تتعلق بما لم يكن، على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وانعقد عليه إجماع السلف والخلف.

وقالت المعتزلة: أنه لو كان الكفر مراداً لكان بقضائه، فيجب الرضا به، لأن الرضا بالقضاء واجب، واللازم باطل، لأن الرضاء بالكفر كفر.

والجواب أن للكفر نسبتين: نسبة إليه تعالى، باعتبار خالقيته، ونسبة إلى العبد باعتبار

كاسبيته، فوجوب الرضاء باعتبار النسبة الأولى لا يستلزم الرضاء باعتبار الثانية التي هي مناط الإنكار. وحاصل جواب المحقق عن استدلال المعتزلة منع كون الاتيان بالكفر طاعة، كيف والطاعة موافقة الأمر، لا موافقة الإرادة كما زعمت

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

المعتزلة، إذ هي قد تكون طاعة وقد تكون معصية، وأما موافقة الأمر فهي طاعة لا محالة، فالأمر غير الإرادة ولا يستلزمها أيضاً كما مر في صورة الاختيار والاعتذار، ولهذا يقال: فلان مطاع الأمر، ولا يقال: مطاع الإرادة.

وللفائدة: فمذهب أهل الحق أن بين الأمر والإرادة عمومًا وخصوصًا من وجه، يجتمعان وينفردان، فإيمان أبي بكر رضي الله عنه مثلاً مراد مأمور به، وكفر أبي لهب مثلاً مراد غير مأمور به، وإيمانه مأمور به غير مراد له تعالى. أ. هـ ٢٦٨

فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة فيقولون: ما شاء كونه كان وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء

ويضل من يشاء لا مضل لمن هداه ولا هادي لمن أضله كما أخبر عن نفسه ((إن تحرص على هداهم فإن

الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين))^{٢٦٩} عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً ((لو أراد الله أن لا يعصى

ما خلق إبليس)^{٢٧٠} وقال تعالى ((لو شاء لجمعهم على الهدى)) قال ابن عباس: إن زنا وإن سرق فبقدر وإن شرب الخمر فبقدر. أ. هـ ٢٧١

استشكال الكاتب مسألة السببية

يقول الكاتب: ينكر الأشاعرة الربط العادي بإطلاق وأن يكون شيء يؤثر في شيء وأنكروا كل "باء سببية" في القرآن، وكفروا وبدعوا من خالفهم و مأخذهم فيها هو مأخذهم في القدر، فمثلاً عندهم: من قال إن النار تحرق بطبعها أو هي علة الإحراق فهو كافر مشرك، لأنه لا فاعل عندهم إلا الله مطلقاً..... قالوا إن الأسباب علاقات لا موجبات حتى أنهم يقولون: الرجل إذا كسر الزجاج ما انكسرت بكسره وإنما انكسرت عند كسره، والنار إذا أحرقت ما تحرق ما احترق بسببها وإنما احترق عندها لا بما فالإنسان إذا أكل حتى شبع ما شبع بالأكل وإنما شبع عند الأكل.

ومن قال عندهم أن النار تحرق بقوة أودعها الله فيها فهو مبتدع ضال، قالوا: إن فاعل الإحراق هو الله ولكن فعله يقع مقتزناً بشيء ظاهري مخلوق، فلا ارتباط عندهم بين سبب ومسبب أصلاً وإنما المسألة افتتان.....

ومن متوهم في العقيدة:

والفعل في التأثير ليس إلا	للوحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالعلة	فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة	فذاك بدعي فلا تلتفت

الجواب:

أولاً: قول الكاتب أن الأشاعرة ينكرون الربط العادي بإطلاق كلام باطل غير صحيح. بل الأشاعرة يشبثون الربط العادي، وإنما الذي ينكره الأشاعرة التأثير وأنواع الربط الأخرى.

ومعنى التأثير: هو الخلق والإيجاد فالأشاعرة بل وسائر أهل السنة ينكرون أن

يكون هناك مؤثر حقيقي أي موجد للشيء من العدم إلى الوجود إلا الله تعالى. وهذه المسألة كما بينت سابقاً يذكرها السادة الأشاعرة عند ذكر المستحيلات ومنها وجود الشريك لله في أفعاله.

ومعنى الربط: أي التلازم وأهل السنة لا ينكرون التلازم بإطلاق وإنما ينكرون أنواع من التلازم ويشبثون التلازم العادي وسأبين ما غاب عن فهم الكاتب إن شاء الله فلا يظن أن أهل السنة من الأشاعرة يبدعون أو يكفرون بالهوى.

^{٢٦٨} مختصراً من شرح خير القلائد مبحث الإرادة.

^{٢٦٩} الرسالة الوافية ص ٦٤ ت: محمد سعيد القحطاني.

^{٢٧٠} الرسالة الوافية ٥٤١/١

^{٢٧١} الرسالة الوافية ٥٩٣/١

الناس في هذه المسألة وهي مسألة التأثير أربعة فرق: الفرقة الأولى: تعتقد أن الدواء أو نحوه من الأسباب تؤثر بطبعها وذاتها وهذه الفرقة لا نزاع في كفرها . وهم الفلاسفة الغلاة ومعنى التأثير بالطبع أي أن السبب يخلق الفعل استقلالاً عن الله بطبيعته و يوجد الشيء ولا مدخلية لله في ذلك .

والثانية: تعتقد أن الأدوية وغيرها من الأسباب تؤثر بقوة أودعها الله فيها، وهذه الفرقة اختلف في كفرها ، والجمهور على عدم الكفر كما قيل في المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه ، ومعنى أنها تؤثر بقوة جعلها الله فيها أي معاونة ولا شك أن من ادعى لأحد غير الله أدنى شيء من الإيجاد فإنه ضال .
وللفائدة فابن تيمية ينفي نوعين من التأثير . التأثير بمعنى الإيجاد المستقل - وينفي التأثير بمعنى المعاونة وجعل كلاهما شرك^{٢٧٢} ولكنه يثبت تأثيراً قال فيه : إن أريد أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثه ، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله الفعل بهذه القدرة .. كما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط ، وأسباب ، فهذا حق .. وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً أ . هـ^{٢٧٣}
وسأني برأي الكاتب ومناقشته إن شاء الله.

الفرقة الثالثة: تعتقد أن التأثير ليس إلا الله تعالى لكن تعتقد التلازم بين الأسباب ومسبباتها عقلياً فمثلاً تعتقد التلازم بين الدواء و الشفاء عقلياً، وهذه الفرقة ليست كافرة لكن ربما جرّها ذلك الاعتقاد إلى الكفر، لأنه قد يؤديها إلى إنكار الأمور الخارقة للعادة كمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكبعث الأجساد لأن هذه الأشياء ثبتت بالأدلة الشرعية لا بالأدلة العقلية . فالحكم العقلي يفهم من مجرد العقل من غير تكرار ولا وضع واضح.

الفرقة الرابعة : أهل السنة والجماعة : يقولون : الصواب أن الترابط بين السبب والمسبب ترابط عادي بمعنى أنه يمكن وقوعه ويمكن تخلفه فالأشاعرة وسائر أهل السنة يعتقدون أن التأثير ليس إلا الله تعالى . كما يعتقدون إمكان التخلف بين السبب والمسبب كالدواء والشفاء . وكم من دواء حصل فيه الشفاء لأناس ولم يحصل لأخرين؟! وبنوا على معتقدهم الإيمان بالكرامات لأنها أمر خارق للعادة . ولم يقولوا أمر مستقل بالإيجاد . ولا قالوا أمر مؤثر يجري بقوة أودعه الله في الفاعل .^{٢٧٤} معنى العادي: العادي يعرف بالتجربة والتكرار كوجود الاحتراق عند النار، فالخالق للإحراق هو الله تعالى فلا تأثير للنار وكذلك جميع الأسباب العادية، وإنما أجرى الله العادة أن يخلق الفعل عندها لا بها .
وقولهم عندها لا بها : أي أنه غني عن الوسائط سبحانه وتعالى فهو غير محتاج لشيء أبداً فالباء هنا عند أهل العقائد هي باء تفيد الاستعانة ، وليس نفى للسببية .

والتلازم بين النار والإحراق تلازم عادي ، فلقد اعتدنا أن وجود الإحراق عند مس

^{٢٧٢} مع الفتاوى ٨ / ٣٨٧

^{٢٧٣} مع الفتاوى ٨٩ / ٣٨٩

^{٢٧٤} انظر للفائدة حاشية الباجوري على أم البراهين . وكذا تهذيب السنوسية . والبيت الخامس والأربعين من تهذيب شرح الجوهرة.

النار وهذا يقع بل شك لكن هل يمكن أن تتخلف هذه العادة ، فجواب أهل السنة نعم يمكن ذلك كمسألة المعجزات للأنبياء ، والكرامات للأولياء وهي صور قليلة استثنائية على مر العصور .

ومما سبق يتضح أن معنى التأثير هو الخلق والإيجاد وهذا ينفيه الأشاعرة عن العبد فلا خالق إلا الله وينفون كذلك كون الترابط بين السبب والمسبب لا يمكن أن يتخلف بل هو تلازم عادي فيمكن أن يحصل الأثر المترتب على السبب ويمكن أن يتخلف وقد تم إيضاح ذلك..

الفروق الجوهرية بين العقيدة الصحيحة وعقيدة الكاتب في الأسباب

١ . يقولون : أن الله يخلق الأشياء بالوسائط فالأسباب واسطة في خلق الله تعالى ، يقول الموجان ناقلاً عن ابن تيمية : وإن أريد بخروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثه بمعنى أن القدرة المخلوقة هي واسطة وسبب في خلق الله الفعل بهذه الواسطة .. كما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب فهذا حق. أ. هـ ٢٧٥ والباء هنا إما أن تكون بقصد الاستعانة فهذا الذي ينفيه الأشاعرة لأنه الله يعين ولا يُعان ، أو من باب السببية بدون تأثير إيجاد منها ، أو معاونه لله ، فهذا هو معتقد الأشاعرة ، وصار الخلاف لفظياً ، وراجع تفاسير الأشاعرة في آيات السببية كقوله تعالى ((فأحيا به الأرض بعد موتها)) ونحوها من الآيات ، لأن الباء هنا للسببية لا للاستعانة والتوسط ، والمرفوض عند الأشعرية هو كون الباء للوساطة أو الاستعانة ، وهم بذلك يردون على من يستشهد بها على هذا المعنى .

فأهل السنة والجماعة يقولون أما أمره إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون . فيخلق الله الأشياء سواء وجدت الأسباب أم لم توجد . فهو يخلق الأشياء عندها لا بها . فهم ينفون احتياج الله للأسباب ، أو أن تكون أفعاله متوقفة على وجودها ، أو أن يستعين بها .

وقد اعترض على ذلك بالآيات التي فيها الباء وذكر أنها باء السببية كقوله تعالى ((فأحيا به الأرض بعد موتها)) أن مرد ذلك إلى مفهوم السببية كمسألة عقدية ، وليس إلى مجرد الألفاظ ، فالأشاعرة لا ينكرون الربط العادي والسببية العادية ككون الماء إذا صب على الشجر حصل الإنبات عادة ، وإنما الإنكار منصب على التأثير باستقلال أو بمعاونة ، فمن يفهم من الباء في الآيات دلالة الاستعانة أو وجود الوسائط وتوقف ذلك عليها ، فهذا ضلال ومن يفهم منها السببية والربط العادي فلا شيء عليه. ٢٧٦

٢ . أيه القارئ الكريم : إن في كتب التفسير عند الأشاعرة لا تجدهم يقولون أن الباء لا يصح استعمالها على وجه السببية ، كما يظن الكاتب وغيره . لأن هناك فرق واضح جلي بين أن تذكر هذه المسألة في كتب العقائد التي ينصب البحث فيها عن مفهوم الفعل ، والسبب ، ونوع الترابط بين السبب والمسبب . فهنا لابد من الاحتراز في المصطلحات ، وبين أن تذكر المسألة على جهة التسبب لا الاستعانة في مواطن أخرى.

. ولذا فإنما وقع الخلل حينما قال بعضهم كالإمام ابن تيمية : أن الله يخلق الأشياء بالأسباب لا كما يقول أتباع جهم أنه يفعل عندها لا بها. أ. هـ مع الفتاوى ٤٨٦/٨

فأنت تراه غفر الله له يتكلم في معرض البحث العقدي ، وهو يعلم أن الأشاعرة ينكرون استعانة الله بخلقه ، وأنهم كانوا يردون على المخالفين القائلين بأن الله يخلق بواسطة ، فيعترض مثل هذا الاعتراض الذي يعلم كل منصف أنه اعتراض في غير مكانه .

أخيراً : فنعم يجوز أن يستخدم الشخص اللفظ الوارد في القرآن على نفس المعنى المقصود في القرآن ، لأن المعنى المقصود في القرآن على معناه العادي بلا تأثير بل على وجه السببية فقط ، وليس الاستعانة ولا الوساطة ومن رجع إلى تفاسير القرآن التي كتبها الأشاعرة ، وهي أكثر التفاسير لوجد ذلك جلياً ، ووجد أن من يدعي أنهم ينكرون العمل بالأسباب هو ادعاء باطل لاصحة له . قال : أبو حيان في تفسيره البحر المحيط { فأخرج به } : والهاء في به عائدة إلى الماء ، والباء معناها السببية . فالماء سبب للخروج ، كما أن ماء الفحل سبب في خلق الولد ، وهذه السببية مجاز ، إذ الباري تعالى قادر على أن ينشئ الأجناس ، وقد أنشأ من غير مادة ولا سبب ، ولكنه تعالى لما أوجد خلقه في بعض الأشياء عند أمر ما ، أجرى ذلك الأمر مجرى السبب لا أنه سبب حقيقي . والله تعالى في إنشاء الأمور منتقلة من حال إلى حال حكم يستنصر بها ، لم يكن في إنشائها دفعة واحدة من غير انتقال أطوار ، لأن في كل طور مشاهدة أمر من عجيب التنقل وغريب التدرج تزيد المتأمل تعظيماً للباري . وقال : أبو حيان في تفسيره عند قوله تعالى { فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين } .

وأما { فأهلكوا بالطاغية } فالباء فيه للسببية أي أهلكوا بالفعل الطاغية وهي الكفر أو عقر الناقة والطاغية من طغى إذا تجاوز الحدّ وغلب ومنه تسمية الملك والعاتي بالطاغية وقوله

{ إنا لما طغى الماء } وقال تعالى : { كذبت ثمود بطغواها } أي بسبب طغيانها حصل تكذيبهم ويمكن أن يراد بالطاغية الرجفة أو الصيحة لتجاوز كل منهما الحدّ . أنهى كلامه رحمه الله ٢٧٧

إذن : كل ما ينكر عليهم دعاوى زائفة ، تقطع عن موارها ، وعن أسبابها ، وعن سياقها ، وسباقها .

٣. معتقد طوائف أهل السنة ومنهم الحنابلة أن السبب معرف لا مؤثر ، وهذا يبحث في العقيدة وأصول الفقه ، بخلاف الإمام ابن تيمية فقد خالف مذهب الحنابلة وسائر أهل السنة فقال : أنه مؤثر كما في مج الفتاوى ٨ / ٤٨٥ . أما الحنابلة فقال الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ابن مبرد) : مما استعير له السبب شرعاً : العلة الشرعية الكاملة ، وسميت سبباً ، لأن علتها ليست لذاتها ، بل بنصب الشارع لها ، فأشبهت السبب وهو ما يحصل الحكم عنده لابه . أ . هـ ٢٧٨ وجاء في مختصر التحرير : في تعريف السبب . . فيوجد الحكم عنده لابه . ٢٧٩

٢٧٧ تفسير البحر المحيط (٣٨٥/٥)

٢٧٨ شرح غاية السؤل ١٧٨ ص .

٢٧٩ مختصر التحرير تحقيق محمد رمضان . ص ٨٧

وجاء في التعبير شرح التحرير للمرداوي: و لا شك أن الأسباب معرفات إذ الممكنات مستندة إلى الله تعالى ابتداء عند أهل الحق. أ. هـ ٢٨٠ فتأمل في قوله عند أهل الحق.

نتيجة : ١. إذا كان هؤلاء الأخوة كالحوالي وغيره ينفون أن يكون العبد خالقاً لفعله استقلالاً أو معاونة: فلا معنى لقولهم أنه مؤثر لأن كلامهم هذا متناقض ومخالف لاصطلاح أهل العلم بالعقائد فهو مجرد تشغييب ليس إلا ، أما إن كانوا في الواقع يعتقدون أنها مؤثرة بقوة أودعها الله فيها فإذن هم على هذا قد أثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها، لكن لا بداتها بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجبة . فالمطلوب الآن ما المقصود بهذا التأثير ، وماوجه كونها موجبة للتأثير ؟ وهذا الواجب على من!!

٢. إذا كانوا ينفون احتياج الله لواسطة في أفعاله فلا معنى لتشغييبهم على أهل السنة الذين ينفون ذلك وينفون احتياجه لها أو توقف أفعاله عليها . ولكن قول الإمام ابن تيمية : كما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط ، وأسباب ، فهذا حق ٢٨١ أ. هـ فيه إثبات الوسائط بين الله ومخلوقاته وهذه نقطة خلاف حقيقي بلا ريب.

٣. إذا كانوا يؤمنون بأن للقدر سر لا يمكن تفسيره كما ورد ((أن القدر سر الله في خلقه)) فلا

داعي لقولهم أن الأشاعرة لا يقدر على فهم ذلك أو إفهامه لغيرهم، لأنه لا قدرة على ذلك كما لا قدرة على بيان حقيقة الصفات، أو حقيقة الذات الإلهية، أو حقائق الأمور الغيبية .

٤. إذا كانوا يؤمنون بأنه لا يلزم وجود الفعل، بل هو ممكن فقط ، ولذا فيمكن أن يقع ويمكن ان يتخلف . فيجب أن يتخلوا عن قولهم : إذا وجد الداعي التام والقدرة التامة لزم وجود الفعل . لأن الفعل لا يلزم وجوده بل يمكن تخلفه ويمكن وجوده . ونحن نرى في حياتنا وجود الداعي التام والقدرة التامة ثم لا يقع الفعل بلا سبب بل بمحض إرادة الله أن لا يقع ، ولا مكره له سبحانه وتعالى ، فالفرق دقيق جداً وهو أن أهل السنة يقولون يجوز أن يقع ولا يجب أن يقع لأنه لا يجب على الله شيء.

استشكال الكاتب لمسألة العلة الغائية :

ينفي الأشاعرة قطعاً أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقضي إيجاد الفعل أو عدمه ، وهذا نص كلامهم تقريباً ، وهو رد فعل لقول المعتزلة بالوجوب على الله حتى أنكر الأشاعرة كل لام تعليل في القرآن وقالوا إن كونه يفعل شيئاً لعله ينافي كونه مختاراً مريداً ، وهذا الأصل تسميه بعض كتبهم " نفي الغرض عن الله " ويعتبرونه من لوازم التنزيه ، وجعلوا أفعاله تعالى كلها راجعة إلى محض المشيئة ولا تعليق لصفة أخرى - كالحكمة مثلاً - بها ، ورتبوا على هذا أصولاً فاسدة كقولهم بجواز أن يخلد الله في النار أخلص أوليائه ويخلد في الجنة أفجر الكفار ، وجواز التكليف بما لا يطاق ونحوها. وسبب هذا التأصيل الباطل عدم فهمهم ألا تعارض بين المشيئة والحكمة أو المشيئة والرحمة ، ولهذا لم يثبت الأشاعرة الحكمة مع الصفات السبع واكتفوا بإثبات الإرادة مع أن الحكمة تقتضي الإرادة والعلم وزيادة حتى أن من المعاصرين من أضافها مثل سعيد حوى .

الجواب : قول الكاتب هده الله : (ينفي الأشاعرة قطعاً أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقضي إيجاد الفعل أو عدمه ، وهذا نص كلامهم تقريباً)

هذا باطل واخلط بين الأمور فنأخذها مسألة مسألة حتى نتبين مرادهم رحمهم الله تعالى :

٢٨٠ التعبير ٣ / ١٠٦٣ ، وأصول ابن مفلح (٢٢٧/٣) .

٢٨١ مج الفتاوي ٣٨٩/

١. تعريف العلة الغائية : هي الغرض الذي يقوم في ذهن الإنسان ويتجه إلى تحقيقه فيدفعه وذهنه هو العلة لتحقيق لتلك الوسائل والأسباب .ومن أجل أن هذا الغرض هو في الحقيقة غاية يستهدفها الإنسان عند مباشرته للأسباب ، يطلق عليه العلماء اسم :العلة الغائية .ومن شأن هذه العلة أنها في الوجود الذهني تكون سابقة على القيام بالوسائل والأسباب ، وأما في الوجود الخارجي والحقيقي فتأتي متأخرة عنها .^{٢٨٢} إذا تبين لك هذا فإن معنى نفهمه للتعليل أو الغرض الباعث: وما نقل عن الثقات أنها غير معللة معناه غير معللة بما يرجع نفعه إلى الله تعالى، إذ العرف أن يقال: إني ما فعلت هذا لغرض أو علة، أي بما يرجع نفعه إلي، لا

أنه ما فعله لمصلحة أصلاً، انتهى.^{٢٨٣} وتفسير الرازي لسورة الذاريات (ومما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))

فقول أن الله له غرض يبعثه أو يدفعه سبحانه وتعالى إلى فعل الأشياء هو قول باطل فإن التعليل بالأغراض: إما أن يرجع إلى الله تعالى ،وعلى هذا: فإما أن يعتقد الشخص معتقد الفلاسفة في ذلك ،فيقول إن الغرض الباعث له على الفعل قديم أزلي وأفعاله تعالى بالإيجاب العقلي وهذا كفر . أو يقال أنه حادث غير أزلي ولكن لا بد أن يكون له دافع أو باعث أو ما يسمى بالعلة التي تسوقه سبحانه لفعل الأفعال وهذا باطل لأنه تنقص لله تعالى . وإما أن يتبنى قول المعتزلة بقولهم: يتوجب من الخالق سبحانه وتعالى مراعاة الصلاح والأصلح عقلاً وهذا باطل أيضاً لأن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل الأمر له تعالى يتصرف في ملكه كما يريد . قال الإمام السنوسي في شرح الجزائرية :قالوا: لا شك أن التعليل بالأغراض مستحيل في حقه تعالى مطلقاً، سواء كان الغرض راجعاً إليه تعالى أو إلى خلقه.أما وجه استحالة الغرض الراجع إليه تعالى فالأنه إن كان ذلك الغرض الباعث على الفعل قديماً وجب قدم العالم ولزم كون أفعاله تعالى بالإيجاب العقلي كما هو مذهب الفلاسفة أبعدهم الله تعالى. وإن كان الغرض حادثاً يتصف به عند إيجاد الأفعال لزم نقصه تعالى في ذاته وكونه مستكملاً بتحصيل ذلك الغرض، وهذا باطل.وأما وجه استحالة التعليل بالغرض الراجع إلى خلقه فهو أنه لا يجب عليه إيصال غرض إلى شيء من مخلوقاته، إذ لا يجب عليه تعالى مراعاة صلاح ولا أصلح بل ذلك محض فضل منه تعالى. أ. هـ ^{٢٨٤}

فليس فعله لغرض ولا أحكامه لغرض بل ذلك محض فضل منه أو عدل منه،فما فعل الله لعباده من الإحسان

والصحة والسلامة والإيمان والهداية واللفظ، فتفضل منه، ولو لم يفعل ذلك لكان جائزاً، وليس على الله واجب.

قال الإمام :محمد بن عبدالكريم الشهرستاني : مذهب أهل الحق أن الله خلق العالم ...

^{٢٨٢} كبرى اليقينيات الكونية ١٤٥

^{٢٨٣} نفس المصدر ١٦٢

^{٢٨٤} شرح الجزائرية للإمام السنوسي

لا لعللة حاملة له على الفعل سواء قدرت تلك العلة نافعة له أو غير نافعة له إذ ليس يقبل النفع والضرر (سبحانه) أو قدرت تلك العلة نافعة للخلق إذ ليس يبعثه على الفعل باعث .. أ. هـ ٢٨٥

٢. مسألة نفهم للحكمة: وهذا غير صحيح، قال الإمام اللقاني في شرحه على الجوهرة: وليس فيه ما يرد على مذهب الأشاعرة إذ يقولون بالحكمة والمصلحة في نفس الأمر، لأنهم يمنعون العبث في أفعاله تعالى، كما بمنعون الغرض، ولذلك كان التعبد من الأحكام ما لم نطلع على حكمته لا ما لا حكمة له، انتهى قول اللقاني.

قال الإمام بهاء الدين : والأشاعرة لا ينكرون كون فعل الله تعالى متضمناً لحكم ومصالح، وإن أنكروا كون أفعال الله معللة بالأغراض. ٢٨٦

ثانياً : لام التعليل كقوله تعالى ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) فتسمى بلام العاقبة أي أن عقبي خلقي لهم أن يعبدون أو لام العلة الجعلية لا العلة الحقيقية . ولكن هل عبادتهم لله هي غرض أو علة دفعت الله سبحانه وتعالى لخلقهم أم أنه محض فضل عليهم وتشريف لهم ؟ الجواب أنه الثاني ولذا جاء في الحديث القدسي ((يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل مازاد ذلك في ملكي شيئاً)) إلى أن قال ((إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)).

تنبيه: قال الشيخ : محمد سعيد البوطي: وليس من ضير أن تستعمل لام التعليل في الكلام عن أفعال

المخلوقات، ولا ضير أن تستعمل أنت ذلك في كلامك عن خلق الله وترتيبه الأشياء على بعضها، ولكن المحذور أن تفهم من لام التعليل الدلالة على ثبوت العلة الباعثة أو الغائية في حق

الله تعالى. أ. هـ ٢٨٧. فنفي التعليل والحكمة الدافعة عن أفعال الله معناه: أنه لا يبيني أفعاله عليهما لأن ذلك شأن المفكرين في عواقب الأمور وهذا يجب تنزيه الله تعالى عنه.

هل يجب بدليل العقل على الله أن يثيب المطيع ويعذب العاصي

قال الكاتب: ورتبوا على هذا أصولاً فاسدة كفهوم بجواز أن يخلد الله في النار أخلص أوليائه ويخلد في الجنة أفجر الكفار، وجواز التكليف بما لا يطاق ونحوها

عند أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم أن الله إذا عذب أحداً فبمحض العدل، لأن الله لا يجب عليه شيء ولا يظلم أحداً. والمسألة تأتي على جهتين :

٢٨٥ نهاية الإقدام ص ٢٢٢ القاعدة الثامنة عشرة.

٢٨٦ شرح خير القلائد ص ١٦٠

٢٨٧ كبرى اليقينيات الكونية ص ١٤٦،

من جهة العقل : فلا يجب على الله شيء خلافاً للمعتزلة الذين يوجبون على الله فعل الصلاح والأصلح.

بينما أهل السنة ومنهم الأشاعرة فيقولون لا يجب عليه سبحانه وتعالى ، بل هو جائز فقط.

من جهة الشرع: فإن الله أوعد الكفار بالنار ، والمتقين بالجنة ، والعصاة من المؤمنين تحت المشيئة ولا يخلف الله وعده. قال الباجوري : معنى العدل المحض وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل. والظلم هو وضع الشيء في غير محله مع الاعتراض على فاعله وهذا رد على المعتزلة القائلين: بوجوب تعذيب العاصي، لقولهم بوجوب إثابة الطائع. وبنوا ذلك على قاعدتهم. من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية التي منها الطاعة والمعصية، وأما أهل السنة فقاعدتهم: أن الله تعالى هو الخالق للأفعال كلها، ومنها الطاعة والمعصية. وبنوا على ذلك أن الإثابة بالفضل والتعذيب بالعدل، وليسوا بواجبين عليه تعالى. وبالجملة فهو سبحانه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب، وإنما هما أمارتان عاديتان تدلان على الثواب لمن أطاع، والعقاب لمن عصى. حتى لو عذب الله المطيع وأثاب العاصي، بأن جعل الطاعة أمانة على العذاب والمعصية أمانة على الثواب لكان منه ذلك حسناً سبحانه، لا يسأل عما يفعل، وهذا كله بحسب العقل، وأما بحسب الشرع: فلا يجوز خُلف الوعد، لأنه سفه، وهو يستحيل عليه سبحانه . وأما الوعيد فهو في حق الكفار واقع لا محالة، لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}. أما في حق المؤمنين فواقع في بعضهم لورود الأخبار بذلك، ثم يخرجون من النار، فلا يبقى فيها موحد، فتظل لأصحابها الطغاة الفجرة، الذين استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً. أنتهى كلامه رحمه الله^{٢٨٨}

دعوى الموجان أن الأشاعرة لا يثبتون الله الفعل.

الرد على الموجان : قال الموجان : الأشاعرة لم يثبتوا أصلاً أفعالاً لله حتى يثبتوا لها حكمة بل فعله عندهم مفعوله أ. هـ^{٢٨٩} هكذا قال !! فيأخي الكريم دع عنك العقائد إن كنت لا تدري عن مذاهب الناس . فالله فاعل ، والخلق فعل ، والموجان مفعول أي مخلوق. لا أحد ينكر ذلك لا الأشاعرة ولا الماتريدية ولا أصحاب الحديث . . ولا أدري ما ذا تفهم حين تراهم يعرفون التوحيد أنه: أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالاً . أ. هـ^{٢٩٠} يوحدونه في أفعاله فلا شريك له، ألم تسأل نفسك عن أفعاله؟! وحدانية الله في أفعاله هي أن تنفي أن يكون هنالك قسيم لله تعالى أو شريك له في أفعاله. بل الله تعالى هو المتفرد بالإيجاد والإعدام . والأفعال كلها لله تعالى. وما يظهر من الأفعال على يد المخلوقات إنما هو كسب لهم، والله تعالى وحده هو الفاعل . ومنه تعلم أن فعله ليس مفعوله. وانظر ذلك في شرح الجوهرية للباجوري . والاعتقاد والهداية . قال الباجوري . في معنى الوحدانية في الأفعال . : الكم المنفصل في الأفعال وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد ، وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار وهذا الكم منفي بوحدانية الأفعال وأما الكم المتصل فإن صورناه بتعدد الأفعال فهو ثابت لا يصح نفيه ، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء

^{٢٨٨} تهذيب شرح الجوهرية شرح البيت رقم (٥٠).

^{٢٨٩} الرد الشامل: ١٦٨

^{٢٩٠} شرح الجوهرية للباجوري ٣٨

وإماتة إلى غير ذلك، وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال، فهو منفي أيضاً بوحداية الأفعال. أ. هـ ٢٩١
فعسى في هذا إيقاظ. وهنا همسة أخرى للأخ الموجان فقلوه: معلوم أن الفلاسفة نفاة للحكمة فهم موافقون للأشاعة
في هذا فهذا الإلزام صالح لهم. أ. هـ ٢٩٢ لعله تبين لك فساد فهمك لمذهبهم.

ثالثاً: قول الكاتب: لم يثبت الأشاعة الحكمة مع الصفات السبع واكتفوا بإثبات الإرادة مع أن الحكمة تقتضي الإرادة والعلم وزيادة.

الجواب: أن الحكمة تأتي تبعاً لأفعاله وأحكامه جل شأنه، وليست باعثاً أو دافعاً كما مر بيانه. وهذا لا ينافي أن أفعاله
تعالى لا تخلو عن الحكم والمصالح.

قال شيخ الإسلام مصطفى صبري: أما القول باستلزام كون أفعال الله تعالى عبثاً واتفاقاً إذا لم تتعلل

بالأغراض والعلل الغائية، فوهم محض منشأه كون القائلين بهذا يقيسون الله تعالى على أنفسهم أي على

الإنسان الذي لا يعمل إلا بالمرجح والعلة الغائية فإن لم يعمل بذلك كان عبثاً واتفاقاً. وكان حسبهم في نفي هذا القياس
أن الله لا يحتاج إلى التأمل والتفكير. أ. هـ ٢٩٣

وذكر قاعدة عظيمة فقال: نحن ننفي التعليل بالغايات ولا ننفي الغايات والعلم بها. ٢٩٤ وبهذا تعلم فساد تقارير الموجان
في كتابه وكذا الحوالي، والحمود الذي ينقل عنه الموجان، لسبب بسيط جداً أن هؤلاء كلهم لا يرجعون إلى كتب الأشاعة
لمعرفة معتقدهم بل يأخذونه من كتب الإمام ابن تيمية وهذا غلط كبير.

الخلاصة: ١. أن الله لا يدفعه إلى أفعاله دافع ولا يبعثه دوافع ولا له أغراض لأنه الكامل جل شأنه، بل الحكممة تأتي
تبعاً لأفعاله. و؛ وله يدندن أهل السنة كافة من الأشعرية وغيرهم قال الإمام تقي الدين السبكي في رده على ابن تيمية في
مسألة فناء النار **فان قلت: ما في خلق هؤلاء من الحكمة؟ قلت: اظهر القدرة واعتبار المؤمنين وفكرتهم في عظمة الله**
تعالى القادر على ان يخلق الملائكة والبشر الصالحين والأنبياء ومحمداً صلى الله عليه وآله وسلم سيد الخلق، وعلى أن
يخلق من الطرف الآخر فرعون وهامان وأباً جهل وشياطين الجن والانس وابليس رأس الضلال، والقادر على خلق دارين
متمحضة كل واحدة منهما هذه للنعيم المقيم، وهذه للعذاب الأليم، ودار ثالثة وهي الدنيا ممتزجة من النوعين فسبحان
من هذه قدرته وجلت عظمته وكان الله سبحانه قادراً أن يخلق الناس كلهم مؤمنين طائعين ولكن أراد سبحانه أن يبين
الشيء وضده عمله من عمله وجهله من جهله، والعلم منشأ السعادة كلها نشأ عنه الايمان والطاعة، والجهل منشأ
الشقاوة كلها نشأ عنه الكفر والمعصية وما رأيت مفسدة من أمور الدنيا والآخرة تنشأ إلا عن الجهل فهو أضر الأشياء. أ.

٢٩١ شرح الجوهرة ١٥٣، ١٥٢، وانظر أيضاً حاشية ابن الأمير ١٤٠، والاعتقاد والهداية للبيهقي ٥٢

٢٩٢ الرد الشامل ١٧٠

٢٩٣ موقف العقل والعلم من رب العالمين. ص ٣

٢٩٤ موقف العقل والعلم من رب العالمين ص ١٧ وأنظر كبرى اليقينيات الكونية ١٤٩

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم/١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

هـ كلام السبكي.^{٢٩٥} وهنا يتبين للقارئ اللبيب أن جميع أهل السنة قائلون بالحكمة في أفعال الله ، ولكنها حكمة تتبع أفعاله ولا تسوقه جل شأنه وتقدس أسماءه . وبه تتبين خطأ الكاتب وغيره ممن سبقه ، ومن لحقه .

٢. جاء في تفسير الرازي^{٢٩٦} كلام أسوقه باختصار وتصرف غير محل ، حاصله أن التعليل على

قسمين : القسم الأول : تعليل لفظي ويسمونه (جعلى) أي وضع جعلوه للإفهام ، وهذا هو الوارد في الآيات والآحاديث ، ويتسامح الناس في إطلاقه على أفعال الله .

الثاني: تعليل معنوي (حقيقي) : وهو وجود دوافع وعلل تدفع الله لأن يفعل الأشياء ، وهو التعليل المصطلح عليه عند أهل العقائد ، فهذا هو الذي يعتقد أهل السنة تنزيه الله عنه ، بخلاف المعتزلة ومن شاعهم .

٣. أن المعتزلة جزموا بالغرض الباعث والتعليل بمعناه المعنوي الاصطلاحي استناداً إلى أن اللام المتصلة بالأفعال التي يفعلها الله كقوله تعالى ((إلا ليعبدون)) ، ((ليبلوكم)) .

وجواب ذلك بما سبق من التقسيم ، بأصل يتمسك به أهل السنة وهو أن الله له الكمال المطلق فينزه عن

الأغراض الباعثة لعدم احتاجه لشيء ولذا قال تعالى ((ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون

((فدفع عن السامع توهم الغرض الباعث له عز وجل ونحوها من الدوافع .

٤. وأما قطعهم بكون اللام تفيد التعليل بالمعنى الباعث ، فهو مردود لأن اللام قد تأتي بمعنى آخر مثل المقارنة كقوله تعالى ((أقم الصلاة لدلوك الشمس)) أي عند دلوكها ، فكذا يكون المراد أن الله خلق الخلق مقترن ذلك بفرض العبادة عليهم .

٥. الأشاعرة لا ينفون التعليل بالمعنى الوضعي اللفظي ، وإنما ينفونه بالمعنى المستحيل على الله كما سبق وشاهد ذلك ما جاء في تفسير الرازي بقوله في تفسير ((ليعبدون)) فقال الرازي: {وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا} وقال {إلا ليعبدون} {علل جعلهم شعوباً بالعارف ، وهنا علل خلقهم بالعبادة . أ. هـ ٢٩٧ وشاهده أيضاً : ما قال الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين عند قوله تعالى {ليقوم الناس بالقسط} قال: علة لإرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان .^{٢٩٨} مع أنهما كسائر أهل السنة ينزهون الله عن التعليل بالأغراض الباعثة .

^{٢٩٥} الاعتبار ببقاء الجنة والنار .

^{٢٩٦} تفسير الرازي لسورة الذاريات قوله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} والآية التي بعدها.

^{٢٩٧} تفسير الرازي لسورة الذاريات قوله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} والآية التي بعدها.

^{٢٩٨} حاشية الصاوي ٤ / ٢٩٩ تفسير سورة الحديد .

قال الكاتب: يختلف مذهب الأشاعرة عن مذهب أهل السنة والجماعة في النبوات اختلافاً بعيداً ، فهم يقررون أن إرسال الرسل راجع للمشئنة المحضة — كما في الفقرة السابقة — ثم يقررون أنه لا دليل على صدق النبي إلا المعجزة ، ثم يقررون أن أفعال السحرة والكهان من جنس المعجزة لكنها لا تكون مقرونة بادعاء النبوة والتحدي ، قالوا : ولو ادعى الساحر أو الكاهن النبوة لسلبه الله معرفة السحر رأساً وإلا كان هذا إضلالاً من الله وهو يمتنع عليه الإضلال ... إلى آخر ما يقررونه مما يخالف المنقول والمقول ، ولضعف مذهبهم في النبوات مع كونها من أخطر أبواب العقيدة إذ كل أمورهم متوقفة على ثبوت النبوة أغروا أعداء الإسلام بالنيل منه واستطال عليهم الفلاسفة والملاحدة .

إلى أن قال :

أما في موضوع العصمة فينكرون صدور الذنب عن الأنبياء ويقولون الآيات والأحاديث الكثيرة تأويلات متعسفاً متكلفاً كالحال في تأويلات الصفات.

الجواب : يدعي الكاتب . هذاه الله - أن جمهور علماء أهل السنة والجماعة (الأشاعرة) مخالفون لأهل السنة والجماعة في النبوة ثم ذكر البراهين على دعواه وهي كالتالي:

الأول : ، قال الكاتب : (فهم يقررون أن إرسال الرسل راجع للمشئنة المحضة)!!

هذا أول برهان للكاتب على مخالفة الأشاعرة .

واعلم أخي القارئ أن مذاهب الناس في هذه المسألة ثلاثة مذاهب:

١. أن إرسال الرسل هو محض فضل من الله ولا يلزم الخالق سبحانه وتعالى أن يرسل الرسل لأن أفعاله مبنية في عقيدة السني الصادق على أن أفعاله تعالى بالاختيار وليس بالإجبار .^{٢٩٩}

٢. قول الفلاسفة والمعتزلة أن الله يجب عليه أن يرسل الرسل فاتفقوا على الوجوب وزادت الفلاسفة بالإيجاب . أما المعتزلة فقد قالوا بالوجوب، ابتناء على ما أصّلوه من عند أنفسهم، وهو أنه يجب على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح.

وأما الفلاسفة فبنوا الوجوب على قولهم بالتعليل أو الطبيعة فقالوا: يلزم من وجوده تعالى وجود العالم بالتعليل، بأن يكون سبحانه علة العالم، أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه. ويرد هذا أنه سبحانه فاعل بالاختيار لا بطريق الإجبار .

٣. السمنية والبراهمة ونحوهم أنه مستحيل!! قالوا لأن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لأن العقل يغني عن الرسل فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله وإن كان قبيحاً تركه وإن لم يأت الرسل .^{٣٠٠}

الثاني: قال الكاتب : (يقررون أنه لا دليل على صدق النبي إلا المعجزة)

١. وهذا باطل بل المعجزة دليل صدقه في دعوى الرسالة وفي الأحكام الشرعية وأما دليل صدق الرسل فهو استحالة الكذب عليهم لعصمتهم ومن أقوى الأدلة على صدقهم الأمانة وهي حفظهم باطناً وظاهراً من التلبس بما نهي الله عنه وضد الأمانة الخيانة وهي مستحيلة في حقهم عليهم الصلاة والسلام .^{٣٠١}

الثالث: قال الكاتب: (ثم يقررون أن أفعال السحرة والكهان من جنس المعجزة لكنها لا تكون مقرونة بادعاء النبوة والتحدي)

^{٢٩٩} شرح الجوهرة ٢٧٨

^{٣٠٠} تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ٢٨٢

^{٣٠١} تحفة المريد ص ٢٨٥ و ٢٨٢

وهذا باطل لأمرين: الأمر الأول: لأن السحر على المعتمد عند الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة ليس من الخوارق ، لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه ، بينما معجزات الرسل ليست بتعاطي الأسباب كما تقول الفلاسفة ، بل المعجزة تأييد من الله للرسل في دعوى الرسالة .^{٣٠٢}

الأمر الثاني: لو سلمنا أن السحر من خوارق العادات فإن معجزات الأنبياء مقرونة بالتحدي من الله سبحانه وتعالى ، نازلة منزلة قوله صدق عبدي وهو رسولي حقاً. فكيف يؤيد الفاجر الكاذب المدعي للنبوّة بما يؤيد به الأنبياء؟! فكأنه يقول صدق الساحر في كونه نبياً وهذا محال .^{٣٠٣}

الأمر الثالث: والقول الوجيز أن ادعاء أن كل مقدور لله تعالى يمكن تحصيله بالسحر هو باطل قطعاً واستحالته معلومة بالضرورة ، بينما معجزات الرسل يؤيدهم الله بها مهما بلغت، كإحياء الموتى وانشقاق القمر ، وغيرها مما أيد الله بها رسوله .

قال الكاتب: : (ولو ادعى الساحر أو الكاهن النبوة لسلبه الله معرفة السحر رأساً وإلا كان هذا إضلالاً من الله وهو يمتنع عليه الإضلال ... إلى آخر ما يقررونه مما يخالف المنقول والمعقول)

الجواب: قولك أن ذلك خلاف المعقول والمنقول باطل فكلنا علم بما حصل لمسيلمة على وجه الإهانة فقد أهانه الله فكلما طلبوا منه تحقيق معجزة أنقلبت ضدها تفل في عين الأعور فعميت الثانية وتفل في البئر فأصبح ماءها أجاجاً وغير ذلك مما لا يخفى .

وأما المعقول فلأن تحقيق خوارق العادات على أيدي السحرة أو غيرهم بعد دعوى النبوة فيه إلتباس النبوات الصادقة بالدعوى الكاذبة .

وأما ما يحصل من خوارق الدجال في آخر الزمان فإنه خارج عن ذلك لأنه في زمان نقض العادة ، فما يقع للدجال ، وخروج الشمس من مغربها ، والدابة ، ونحو ذلك ، كلها في زمان علامات الساعة الكبرى وهي تأتي متتابعة كخرز السبحة ، فشتان بين هذا وبين ساحر يأتي قبل زمانهم .

بل لو استثنى حال الدجال من عموم حد المعجزة لكان جيداً فإن الجهل طم وعم وأصبح الجهال من أدعياء العلم لا يفهمون حتى القطعيات ، فالأفضل للإيضاح وإزالة اللبس أن يستثنى حال الدجال بالأدلة الشرعية السمعية ويبقى غيره على عمومته وهذا حاصل في بعض مؤلفات الأشاعرة .

قال الكاتب : (ولضعف مذهبهم في النبوات مع كونها من أخطر أبواب العقيدة إذ كل أمورهم متوقفة على ثبوت النبوة أغروا أعداء الإسلام بالنيل منه واستطال عليهم الفلاسفة والملاحدة) .

الجواب: أن هذا غير صحيح إطلاقاً . فلم يوقف الباطنية والفلاسفة ويرد الناس إلى الحق ويجلي الشبهات إلى اليوم حتى أصبحت كتبهم مرجع لكل عالم مسلم يناظر الفلاسفة والكفرة مثل الأشاعرة ومن كتبهم في ذلك : كتاب تهافت الفلاسفة^{٣٠٤} وفصائح الباطنية للغزالي وكتاب المطالب العالية للإمام الرازي وكتاب شرح المقاصد للتفتازاني وشرح المواقف للعضد، وغيرها كثير . وفي زماننا كتاب يغالطونك إذ يقولون وكتاب كبرى اليقينيّات

^{٣٠٢} تحفة المرید ٣١٣ .

^{٣٠٣} مختصراً من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي

الكونية وكتاب النظرية الجدلية للشيخ البوطي وكتاب كواشف زیوف ، وصراع مع الملاحدة ، والعقيدة الإسلامية لعبدرحمن حبنكة ، وغيرها كثير .

ولم يصمد أمام الفلاسفة في زماننا وكذا الماركسيين وغيرهم مثل علماء الأشاعرة وإن كنت لا أنكر جهود الآخرين من مشايخ المسلمين حتى من المعتزلة، والإباضية، والأتقياء من أهل الصحوة . قال الكاتب: (أما في موضوع العصمة فينكرون صدور الذنب عن الأنبياء) نعم فالأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة يقولون بأن الأنبياء معصومون من الكفر بالله، ومن الوقوع في الذنوب ، وهي على قسمين :

كبائر : كشرب الخمر واللواط ونحوها .

صغائر : كسرقة لقمة أو رقص وغناء ولو جاز عليهم ذلك قبل أو بعد النبوة لعدم الثقة بهم . وكل ما يظنه أهل الظنون ذنباً لأحد منهم ، كاتهام يوسف عليه السلام بالهمم بالزنا ، أو اتهام موسى بالقتل ، أو اتهام إبراهيم بالشرك ، فكلها ليس على ما يفهمه القاصرون .

١. فأما يوسف عليه السلام فاتهمه الملاحدة بالشروع في الزنا وهذا باطل :

قال تعالى ((وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا

المخلصين)) إذن فهذه جملة أتت بعد وقف تام والوقف كان على ولقد همت به .

فيكون المعنى هو على ظاهر الآية أي أنه لما رأى برهان ربه لم يهمم بها . ((وهم بها لولا أن رأى برهان ربه))

القول الثاني : أنه مجرد ميل بشري لا تصميم ولا قصد معه لفعل الزنا ثم جاهد نفسه فدفع ذلك وهذا

ممكن لأن الله يباهي بالشباب الذي بهذه الصفة ويظله في ظله قال تعالى ((وأما من خاف مقام ربه ونهى

النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى))^{٣٠٠} ومن الأصناف السبعة اللذين يظلمهم في ظل عرشه يوم القيامة.

٢. وأما موسى فيتهمونه بالقتل وهو باطل . لأنه لم يقصد القتل وإنما فعل عملاً صالحاً، وهو دفع الظالم عن المظلوم

، فسقط ذلك الظالم ومات بأجله ، ولم يقصد الكليم عليه السلام أن يكون من القتل المجرمين .

٣. وأما إبراهيم عليه السلام في قوله ((هذا ربي)) للأفلاك من شمس ونحوها فمراده إلزامهم بالحجة

^{٣٠٤} بعد أن ألف الغزالي " مقاصد الفلاسفة " شرح فيها أقوال الفلاسفة خاصة ابن سينا والفارابي، ألف هذا الكتاب ليبين المسائل التي ليس الخلاف فيها بين العقيدة الإسلامية والفلسفة لفظياً بل ما يسبب بدعة أو كفراً، وقد ناقش عشرين مسألة مثل أزلية العالم وأبديته والاستدلال على وجود الله وعلمه سبحانه بجميع الجزئيات وخرق العادات وفناء النفوس البشرية وبعث الأجساد وغيرها. واعتبر العلماء هذا الكتاب ضربة قاضية لاستكبار الفلاسفة وادعائهم التوصل إلى الحقيقة في المسائل الغيبية بعقولهم، وهو تراث فلسفي عظيم فضلاً عن أنه تراث بقلم حجة الإسلام الغزالي.

^{٣٠٥} أنظر حاشية الإمام الصاوي على الجلالين سورة يوسف.

على أنها لا تصلح أن تكون الآهة وكان قومه من عبدة الأفلاك . فبرهن لهم كونها لا تستحق أن تكون خالقاً لأنها تتغير من حال إلى حال وهذا التغير يدل على أنها محدثة لأنه حال الناقص لا الكامل.

٤. وحكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر فإنه اجتهد وليس قصده معصية الله كما يظن أهل الظنون . مع أن هناك خلاف عند أهل السنة في وقوع الأنبياء في صغيرة ليس فيها خسة .

ولا أسهب في ذلك أكثر ولتعلم مباحث النبوة راجع كتب السادة الأشاعرة .^{٣٠٦}

أخيراً فأذكر تعريف المعجزة عند أهل السنة والجماعة من الأشاعرة وغيرهم مع ذكر بعض المعجزات أو ما يسمى بالأدلة التعجيزية التي أيد الله بها الرسل لبيان صدقهم وتعجيز أعداء الدين .

المعجزة لغة : هي من العجز وهو ضد القدرة .

واصطلاحاً : هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارض .

وقال الإمام السعد: هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه

يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله . وقد اعتبر المحققون فيها سبعة قيود أو ثمانية .^{٣٠٧}

ذكر عدد من المعجزات كل منها دليل قائم بذاته مستقل عن الآخر يدل على صدق النبوة .

قال الباجوري : عند شرح قول اللقاني: (ومعجزاته كثيرة غرر) قال: إنما وصفها بالكثرة المطلقة إيماء للعجز عن الإحاطة بها . أ . هـ .^{٣٠٨}

منها القرآن الكريم ومنها أنشقاق القمر وتسليم الحجر والشجر عليه وتسييح الحصى في كفه وحنين الجذع ورد عين قتادة وشهادة الضب له بالنبوة والإسراء والمعراج إلخ^{٣٠٩}

فالمعجزة أصل يندرج تحته أدلة كثيرة وليست المعجزة كما أوهم الكاتب هداة الله مجرد دليل

وحيد ثم قل لي بربك أليس كثير من المعجزات المذكورة مبثوث في سيرته صلى الله عليه وسلم

فتبين أن الكاتب لم ينصف كالعادة هداة الله وإياه للحق .

استشكال الكاتب لمسألة التحسين والتقييح

ينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفترة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ويقولون مرد ذلك إلى الشرع وحده ، وهذا رد فعل مغال لقول البراهمة والمعتزلة أن العقل يوجب حسن الحسن وقبح القبيح ، وهو مع منافاته للنصوص مكابرة للعقول ، ومما يترتب عليه من الأصول الفاسدة قولهم أن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل فالغاء دور العقل بالمرّة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع مثلاً ، ومثلوا لذلك بذبح الحيوان فإنه إيلاهم له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك أباحه الشرع .

الجواب : في هذه الفقرة ناصر الكاتب غفر الله له مذهب المعتزلة والبراهمة في مسألة التحسين والتقييح العقلي . وهو قول الكرامية كما سيأتي:

^{٣٠٦} شرح الجوهرة ٢٧٨ إلى ٣٦٠

^{٣٠٧} شرح الجوهرة ٣١٠ والاقتصاد في الاعتقاد مبحث النبوة وكبرى اليقينيات الكونية وهو نفيس في بابه .

^{٣٠٨} شرح الجوهرة ٣٢٥

^{٣٠٩} شرح الجوهرة ٣٣٠

ولاحظ أخي الكريم كيف كان تشنيع الكاتب عليهم في الاستدلال بالأدلة والبراهين العقلية في موطن ثبت فيه الاستدلال بها ومن قال به الإمام أحمد والجمهور من أهل السنة وقد قدمنا النقل عنه مع التوثيق ، وكيف ناقض هنا وشنع عليهم إذ لم يتأسوا بالمعتزلة في تحسين وتقييح أحكام الشريعة بالعقل . وسأذكر الآن تصوير المسألة كما هي عند العقائديين ، ثم رأي أهل السنة من الأشاعرة .

الحسن والقبح يطلقان على ثلاثة معان:

فاتفقوا على معنيين يثبتان بالعقل ولو لم يرد الشرع وهما:

الأول: أن الحسن ملائمة الغرض ، والقبح منافرة فيه فإن اللذة وما يؤدي إليها ملائم والألم وما يؤدي إليه منافر .

والثاني: هو أن الحسن صفة الكمال ، والقبح صفة النقصان ، ولا نزاع في أن هذين المعنيين ثابتان بالعقل .

وهذا يبين لك فساد قول الكاتب هداه الله حيث يقول: (ينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفطرة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح)

وإنما وقع النزاع فقط في أن الحسن تعلق المدح بالفعل عاجلاً والثواب آجلاً ، والقبح تعلق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً . فهل هذا التعلق لأجل صفة عائدة إلى الفعل أو ليس الأمر كذلك بل هو محض حكم الشرع بذلك ؟

فذهبت المعتزلة إلى أن المؤثر في هذه الأحكام هو صفات عائدة إلى الأفعال فهو ثابت بالعقل ، وأن الشرع إنما ورد للكشف والبيان .^{٣١٠} وذهب الأشاعرة إلى أنه ثابت بالشرع مطلقاً ، واحتجوا عليه بوجوه مذكورة في المطولات فتراجع^{٣١١} وهو مذهب الإمام أحمد وأهل السنة .

قال ابن النجار بعد أن ذكر القسمين الأول والثاني وهما محل اتفاق كما سبق : فقال : والثالث إطلاق الحسن والقبح

بمعنى المدح والثواب وبمعنى الذم والعقاب ، شرعي فلا حاكم إلا الله والعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا يوجب ولا يحرم عند الإمام أحمد وأكثر أصحابه والأشعرية قاله ابن عقيل وأهل السنة والفقهاء.^{٣١٢}

فلا يمكن أن يقال بالنسبة إلى شيء من الأفعال: هذا قبيح فلا يكون من فعله تعالى ، وبالنسبة إلى شيء من أحكامه: هذا قبيح فيكون حراماً ومنهياً عنه ، لأنه إنما ثبت له صفة القبح والحرمة بالنهي الوارد من جهة الشرع لا أن ورود النهي من جهته بالقبح الثابت له من جهة العقل ، فيكون القبح مستفاداً من النهي ، والنهي مستفاد من القبح . خالفنا في ذلك المعتزلة والكرامية والشيعة والخوارج والبراهمة والثنوية والتناسخية .

^{٣١٠} شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ٤١ انظر المغنى للقاضي عبد الجبار ١٦/٤١

^{٣١١} الأربعين في أصول الدين للإمام الرازي ٢٣٧

^{٣١٢} شرح مختصر التحرير ١/ ٣٠١

فساد كلام الموجان: ذكر الموجان رأيهم في المسألة فقال: فأهل السنة!! يرون أن التحسين والتقبيح ليس كما تقول المعتزلة عقلياً محضاً، وهو ليس كما تقول الأشاعرة شرعياً محضاً، بل إن العقل يدرك حسن وقبح بعض الأشياء، ولكن ما يترتب عليه من الثواب والعقاب إنما يكون من الشرع لا من العقل وبذلك فهم وسطاً بين طرفين. أ. هـ. ٣١٣

وهنا وقفات : اولها : أن هذا ليس مذهب أهل السنة كما تدعي، بل مذهب أهل السنة هو عين مذهب الأشعرية قال ابن النجار : والعقل لا يحسن ولا يقبح، ولا يوجب ولا يحرم عند الإمام أحمد وأكثر أصحابه والأشعرية قاله ابن عقيل وأهل السنة والفقهاء. ٣١٤ فهذا هو مذهب أهل السنة هداك الله.

ثانيهما: أن مذهب ابن تيمية وابن القيم وهو الذي تنافح عنه هو أن الحسن والقبح ينشأ من ذات الأشياء. قال ابن القيم : ههنا أمران متغيران لا تلازم بينهما

أحدهما : هل الفعل نفسه مشتمل على صفة اقتضت حسنه وقبحه بحيث ينشأ الحسن والقبح منه فيكون منشأاً لهما أم لا؟

والثاني أن الثواب المرتب على حسن الفعل والعقاب المرتب على قبحه ثابت بل واقع بالعقل أم لا يقع إلا بالشرع؟ إلى أن قال :

والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل أنه لا تلازم بينهما، وأن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضارة إلى أن قال: نعم الشارع كساها بنهيها عنها قبحاً إلى قبحها فكان قبحها من ذاتها ، وازدادت قبحاً عند العقل بنهي الرب تعالى عنها وذمه لها وإخباره ببغضها وبغض فاعلها.

.. وأقول : تأمل في قول ابن القيم : إن كلام ابن القيم قبحها من ذاتها: هو قول الفلاسفة بالطبع لأنهم يقررون أن الأشياء متسمة بحسن أو قبح متأصلين فيها بالطبع لا بالخلق . ولتعلم أن الله هو الذي جعل الشيء فاسداً أو صالحاً أو حسناً أو قبيحاً، وليس الشيء هو الذي جعل من نفسه حسناً أو قبيحاً. والحسن والقبح في الأشياء حال اعتباري لا اضطراري يضطر الله لفعله، ولا ذاتي ، ولذا فلو شاء الله لجعل الذي نراه حسناً قبيحاً، مادام الكل بخلق الله تعالى وحكمه. فالله قادر على تحويل النفوس وطبائعها فلا ترى ما كانت تراه حسناً حسناً ولا ما كانت تراه قبيحاً قبيحاً ، لأن هذا إنما حدث لها بخلق الله ذلك فيها. فلو فطر الله الناس على طراز آخر من الطباع لتغيرت . ونحن من شدة إلفنا للترابط الذي خلقه الله بين الأشياء وخواصها ، نظن أن معنى الحسن والقبح قد غدا كامناً في ذات كل منها فلا ينفك بعضها عن بعض . والأمر في الحقيقة ليس إلا بحكم الله بذلك وخلق الطبع فينا على النفرة منه لا أن الأشياء ذاتها تنشيء القبح لنفسها أو تحسن بذاتها . قال الشيخ محمد البوطي وفقه الله : وصفوة القول أن الله خلق ما شاء في هذا العالم، ورتب جزئياته على بعضها ترتيباً صير البعض حسناً مفيداً ، وصير الآخر قبيحاً مفسداً ، ولم نكن نعلم أو نستشعر صفة الحسن أو القبح في هذا ولا ذاك لولا خلقه وترتيبه وتأليفه بين الذوات وخصائصها . أ. هـ. ٣١٥.

٣١٣ الرد لشامل ١٧٣

٣١٤ شرح مختصر التحرير ١ / ٣٠١

٣١٥ كبرى اليقينيات الكونية ١٥١

ثالثاً: مذهبكم هذا في التحسين والتقبيح العقلي متناقض فإن كلام المعتزلة مستقيم على أصولهم ، فإذا كان العقل يحسن ويقبح من ذاته فوجب إذن الأمتناع عن القبائح ولزم فعل المحاسن ، فلازم قولهم أن يكون الشيء مستحباً ، أو واجباً ، أو محرماً لأن العقل جعله حسناً أو قبيحاً ، وهذا فعلاً هو ما قاله المعتزلة فبنوا على مسألة التقبيح والتحسين أن العقلاء مكلفون سواء بعث إليهم رسول أم لا. ولا ينفع بعد ذلك أن تقول أنه لا يلزمنا لأننا نقول الأحكام والتكليف من جهة الشرع ، لأنك أصلاً قد حكمت بحسنه أو بفساده وقبحه من قبل أن يأتي الشرع . فحكمكم بذلك ثم حكمكم بعدم التكليف تناقض على موازين العلم والمعرفة .

قال الكاتب: (وما يترتب عليه من الأصول الفاسدة قولهم أن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل فإلغاء دور العقل بالمرّة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع مثلاً ، ومثلوا لذلك بذبح الحيوان فإنه إيلام له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك أباحه الشرع)

وهذا تشنيع باطل غير صحيح يقول أهل السنة : إيلام الله تعالى للبهائم والمجانين والأطفال أنه ليس بقبيح بل هو عدل في حكمه وصواب في تدبيره ، لأنه الله متصرف في ملكه كما يشاء ، وربما يكون هذا الإيلام تخلصاً من ضرر أعظم أو لينال ثواب أعظم . بينما قالت القدرية أن العقل يوجب على الله أن يعوض المجانين وأما أهل السنة فلا يوجبون ذلك على الله بل هو من قسم الممكن وهو محض فضل منه تبارك وتعالى .^{٣١٦} فهذا الكلام الذي أوردته فيه تناقض واضح إذ كيف بمنعون التحسين والتقبيح العقلي ثم تقول : أن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل؟!!!^{٣١٧}

استشكال الكاتب لمسألة الصفات

(التأويل) ومعناه المبتدع صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لقريئة فهو بهذا المعنى تحريف للكلام عن مواضعه كما قرر ذلك شيخ الإسلام إلخ

اولاً : قال الكاتب (التأويل هو أصل منهجي ... إلى قوله : ، وبعض الأوامر التكليفية أيضاً) .

بعد أن سبق بيان خطأ هذه الدعاوى ، فالإيمان يزيد وينقص ، وموضوع العصمة وغيرها كلها بينت والله الحمد فأقول وبالله الاستعانة وحده : .

اولاً: أما الصفات فالأشاعرة يثبتون جميع صفات الكمال لله تعالى، وليست هذه السبع فقط ، بل لا يحصرون كمالات الله تعالى فإنه لا حد لكمال وصفه جل شأنه.^{٣١٨}

ثانياً : قال الكاتب: (وإن تعجب فاعجب لهذه اللفظة النابية التي يستعملها الأشاعرة مع النصوص وهي أنها " توهم " التشبيه ولهذا وجب تأويلها ، فهل في كتاب الله إيهام أم أن العقول الكاسدة توهم والعقيدة ليست مجال توهم .)

فالجواب : أما قولك يا أخي (فهل في كتاب الله إيهام)؟ أقول : ١. أن كتاب الله ليس فيه إيهام ، وإنما جاء البلاء من جمع آيات نزلت في مواطن متفرقة من كتاب الله في أعصار مختلفة فجمعها وساقها في مساق واحد حتى أوهم التشبيه ، وإلا فكتاب الله ليس فيه أي لبس والله الحمد ، قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : قد بينا أن لجمعها من التأثير في الإيهام والتلبس على الإفهام ما ليس

^{٣١٧} المسائل الخلافية لعبد الوهاب الجابري ص ١١٧

^{٣١٨} انظر تهذيب شروح السنوسية ص ٣٩

لأحاديث المرفقة ، وإنما هي كلمات لهج بها الرسول صلى الله عليه وسلم طوال عمره في أوقات متباعدة ، وإذا اقتصر منها على ما في القرآن والأخبار المتواترة رجعت إلى كلمات يسيرة معدودة ، وإن أضيف إليها الأخبار الصحيحة فهي أيضاً قليلة . أ. هـ ٣١٩

٢. أنه ما من كلمة قيلت من هذه الكلمات إلا مع قرائن وإشارات تفيد المعنى الذي لا يتأتى معه التشبيه غالباً ، بخلاف اجتزائها وسوقها في مساق واحد فهو سبب الإيهام . ٣٢٠

إذن فليست المشكلة من كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما الإشكال من أفعال بعض الناس ممن جمعها في نسق واحد . وإن كان بحسن نية - ، فسبب اللبس بذلك الفعل الذي هو غير معصوم من الخطأ ، بل رأينا نتائجها التي سببت الخلاف والفهم الخاطيء .

٣. أن النصوص نزلت في عهد الصحابة ، وهم عرب أقحاح يعرفون لغتهم بمجازاتها واستعاراتها وكنياتها وحقائقها ، فاللبس عليهم بعيد جداً ، بخلاف غيرهم .

قول الكاتب: (والا فلماذا يكون تأويل الأشاعرة لعلو الله - الذي تقطع به العقول والفطر والشرائع - تنزيهاً وتوحيداً وتأويل الباطنية للبعث والحشر كفرة ورده؟)

الجواب : ١. الفرق بين تأويل الباطنية في العقائد ، وتأويل أهل السنة والجماعة ، هو كالفرق بين الحق والباطل ، وإيضاح ذلك تراه في الآيات التي تأولها السلف رضي الله عنهم مثاله قوله تعالى ((وهو معكم أينما كنتم)) تأولها علماء السنة بأن معناها أنه معنا بعلمه وليس معنا بذاته ، وقل أيضاً في الفروع الفقهية فهل تأويل العلماء وبيانهم لمسائل الفقه ، وردهم المجهل إلى المبين هو كتأويل الباطنية للوضوء مثلاً بأن معناه أن تقول باسم الله الأطهر خمس مرات ، والصلوات الخمس بأن تقول اسم الحسن والحسين وفاطمة ومحسن... هل يستويان؟ والأمثلة كثيرة ولا أريد الإطالة .

٢. أن تأويل أو تفسير أهل السنة للنصوص مضبوط بضوابط وهي : . أن يكون سائغاً في لغة العرب . ولاثقاً بالله ، . وأن يكون هناك قرينة توجب العدول عن المعنى على الحقيقة في اللغة إلى مجاز اللغة. أما الباطنية فالأمر عندهم على عواهنه حسب أهوائهم ، ولذا كفرهم أهل الإسلام قاطبة . فكيف تقارن بينهما !!؟

ثانياً : بالنسبة لعقيدة حلول الله في الجهة فقد سبق بيان ذلك وافيّاً ، فالأشاعرة يثبتون صفة العلو لله تعالى وهو علو قهر وغلبة قال تعالى ((وهو القاهر فوق عباده)) فهذا الدليل أنه علو قهر ولم يقل أنه في جهة عدمية!! فلا يجوز أن تعتقد في الله ما توهمته برأيك ، ثم تجعلون منه عقيدة بقياس الله على خلقه ، فهذا خطأ بلا ريب ، وأما أهل السنة فلا ينصرفون وراء الأوهام . فهم يفسرون النصوص بالنصوص لا بقياس الخالق على المخلوق .

فنفيهم للجهة التي تسميها العلو تسمية للشيء بغير اسمه ، فهو كتسمية البعض للخمر مشروبات روحية ، وهذا لا يعني أن كلامهم صواب بل هو باطل ، فالجهة مكان ولو أسميتها علو ، والله لا يحل في مكان ، والخمر خمر ولو أسمها الفسقة مشروبات روحية . فعقيدة أهل السنة أن الله لا يحل في مخلوق لا مخلوق علوي ولا سفلي ، ولا يعني أنه إذا لم يحل في مكان أنه غير موجود بل هو موجود قبل خلق الزمان والمكان ، لكن أنت يا أخي هداك الله وغيرك تتخيل أن وجوده

٣١٩ إجماع العوام الباب الثالث ص ٢٥٥

٣٢٠ إجماع العوام الباب الثالث ص ٢٥٥

مثل وجودك ، فإن لم تكن في مكان فأنت معدوم ثم تستنج بعقلك أن الله إذا لم يحل في جهة فهو معدوم. سبحانه وتعالى .

طريقة أهل السنة من الأشاعرة في نصوص المتشابهة

لهم في ذلك مسلكان مشهوران يتبعهما علماء الأشاعرة وغيرهم :

الأول : وهو الأصل وهو مسلك التفويض وهو مذهب جمهور السلف : وكونه أسلم أي من جهة تعيين المعنى المراد فإن النص إذا جاء في الكتاب والسنة وهو متشابه المعنى فإن تحديد معنى من المعاني المحتملة أمر اجتهادي ظني . ولذا فقد توقف جمع من علماء أهل السنة في تحديده وأمره كما جاء ، ولكن بشرط تنزيه الله عن ما يليق به مما قد يتبادر إلى الأذهان ، وفي ذلك السلامة من التبعة ولذا فقد قالوا إنه أسلم . هذا معنى قولهم أن مذهب السلف من المتقدمين أسلم ، لأن تعيين معنى دون آخر هو اجتهاد فلذا كانت السلامة في عدم التعيين .

المسلك الثاني: مسلك التأويل : فإنهم بعد دفع المعنى الذي لا يليق بالله فإنهم يعينون معنى من المعان المحتملة وذلك اجتهاد منهم لكن بشرطين :

الأول: أن يكون ذلك المعنى لائق بالله .

الثاني: أن يكون سائغ في لغة العرب .

مع اتفاق العلماء جميعاً على عدم الخوض في حقيقة الصفة ، فلا يظن الظان أنهم يتكلمون في حقيقة الصفة . فإن هذا مما لا يجوز الكلام فيه بالإجماع . وقد ثبت عن العلماء جميعاً دفع المعاني التي لا تليق بالله ومن ذلك الجارحة وقطعوا بذلك . فمنهم الإمام أحمد كما في عقيدة الحنابلة لابن حمدان ، وكذا اعتقاد الإمام أحمد لأبي الفضل التميمي ، وغيرها . قال شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني واليد في اللغة تطلق لمعان كثيرة اجتمع لنا منها خمسة وعشرون معنى ما بين حقيقة ومجاز ^{٣٢١} .

قال الإمام أحمد: إن الله يدين وهما صفة له ليستا بجارحتين ولا بمركبتين ولا جسم ولا من جنس الأجسام ^{٣٢٢} .

وقال الإمام الرازي في تفسيره : قال تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } اعلم أن مذهب العلماء في هذه الآية وأمثالها على وجهين أحدهما : ترك التعرض إلى بيان المراد وثانيهما : التعرض إليه والأول أسلم وإلى الحكمة أقرب . أ. هـ

الأدلة على جواز التأويل :

بداية أحب أن أنه إلى أن الخلاف اجتهادي ولكل مسلك دليل فلمذهب التفويض ^{٣٢٣} أدلة وللتأويل أدلة .
أدلة التأويل :

^{٣٢١}: فتح الباري ١٣/٣٩٤

^{٣٢٢} اعتقاد الإمام أحمد ص ٣٣

^{٣٢٣} لم يحرم التفويض أحد من الحنبلية قبل ابن تيمية .

١. قوله تعالى ((فأما اللذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم))

فقد ذهب جمع منهم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إلى الوقف على قوله تعالى والراسخون في العلم وقال : أنا منهم . وهي قراءة متوترة .

واقتردى به جمع غفير من العلماء في كون الوقف على ذلك . فاجتهدوا في تأويل معنى النصوص المحتملة المعاني على ما يليق بالله مما هو سائغ في لغة العرب .

٢. عمل الصحابة ومنهم ابن عباس حيث أول المعية بالعلم في قوله تعالى ((وهو معكم أين ما كنتم)) فاندفع الوهم الذي توهمته الجهمية بعد ذلك من أن المعية هي معية الذات . فكان تأويل ابن عباس للمعية بأنها معية العلم فضل عظيم في بيان المسألة.

فإذا جاز تأويل ابن عباس لدفع الموهوم، فكذلك في كل ما كان من نفس العلة. فالمسألة ليست توقيف على عالم من العلماء دون الآخر بل هي دليل واضح على جواز التأويل. ويؤكد ذلك ما فعله علماء الأمة بعد الصحابة وسيأتي ذلك.

تنبيه : البعض يشغب على أهل السنة بأن فعل ابن عباس ليس بتأويل بل هو تفسير فقط وجواب ذلك : أن عدول ابن عباس عن حمل الآية على ظاهرها كقوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) إلى معنى آخر يحتمله لوجود قرينة حيث أوله بالشدّة ، وقال العرب تقول كشفت الحرب عن ساقها أي شدتها فهذا هو عين التأويل الذي يذهب إليه الأشاعرة والماتردية وغيرهم من جمهور أهل السنة.

والمعنى الاصطلاحي المتفق عليه عند علماء الأصول هو : صرف معنى اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله لوجود قرينة. وهذا هو ما فعله الصحابي رضي الله عنه.

٣. التأويل الثابت عن جمع من علماء الأمة من أهل السنة والجماعة ومنهم الإمام أحمد صح عن الامام أحمد تأويل المجيء بمجيء أمره سبحانه . وقد ذكر ذلك أئمة ، ومنهم : الامام البيهقي رحمه الله حيث قال في كتابه : (مناقب الإمام أحمد) مايلي " : وأنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني الإمام أحمد يقول " احتجوا على يومئذ يعني في دار أمير المؤمنين ، فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجي سورة تبارك ، فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى { وجاء ربك } إنما تأتي قدرته وإنما القرآن أمثال ومواعظ " أ هـ ثم قال الإمام البيهقي " هذا إسناد صحيح لا غبار عليه .
وورد عن الامام مالك تأويل النزول بالرحمة وفي صحة ذلك عنه خلاف .

وثبت التأويل عن جمع من اصحاب الحديث منهم ابن عبدالبر وابن قتيبة والخطابي وغيرهم

قال الامام ابن رجب الحنبلي رحمه الله في شرحه على البخاري^{٣٢٤} : ((ومنهم من يقول : هو إقبال الله على عباده ، وإفاضة الرحمة والإحسان عليهم . ولكن يرد ذلك : تخصيصه بالسماة الدنيا ، وهذا نوع من التأويل لأحاديث الصفات

^{٣٢٤} ((فتح الباري)) (٩/٢٧٩)

، وقد مال إليه في حديث النزول طائفة من أهل الحديث ، منهم : ابن قتيبة ، والخطابي ، وابن عبد البر . وقد خالفهم ابن رجب ولم يبدعهم كما يفعل الغلاة . وله رأيه واجتهاده . أ . هـ

٤. النظر الصحيح : حيث أن الناس ليس عندهم من التمكن في اللغة العربية وبلاغتها ما يمكنهم من معرفة دلالات الألفاظ ومجازاتها فكان التأويل حلاً لذلك كما قال ابن الجوزي رحمه الله : التشبيه داء والتأويل دواءه فإن زال الداء فلا حاجة للدواء . بخلاف الصحابة وكثير من التابعين فقد كانت سليقتهم العربية ، ومعرفتهم بالمجاز والحقيقة والكناية ، تطبيقاً عملياً وإن لم توضع المصطلحات بعد . أقول : كان لذلك دوراً عظيماً في قلة التأويل في عصرهم . ولولا ما فتحه الناس من تجميع لآيات وأحاديث سببت الوهم والتشبيه لما أتعب العلماء أنفسهم في التأويل .

ولكن ثلاثة أسباب أو جبت التأويل وهي :

١. دخول الأعاجم في الإسلام وترجمة اليد أو الوجه أو نحوها إلى لغتهم سيفهم منه التشبيه غالباً وذلك لأنه لا يوجد في لغات الناس كلغة العرب في سعة المعاني .

٢. خروج فرقة المشبهة كمقاتل وغيره مما أوجب إزالة ما نشره بين العوام وطلبة العلم فكان لابد من حمل ما أوهموا به الناس حملاً سائعاً في اللغة لائق بالله .

٣. تجميع بعض من نحسبهم من أهل الخير حيث جمّعوا نصوص الصفات المتفرقة بحسن نية وسوء عمل . فساقوها في مساق واحد حتى تسببوا للناس في التخيلات والتشبيهات . فإنهم قالوا باب إثبات الوجه لله ثم إثبات الصورة لله ثم باب إثبات العين لله ، باب إثبات اليدين لله ، باب إثبات الساق لله باب إثبات القدم لله وهكذا . بل زاد بعض الجهلة باب الحق لله ، والشاخص ، والظل ، والملل وغيرها من جهالاتهم .

فبالله عليكم كيف للقرّاء والسماع أن لا يتخيل هيئة الله سبحانه وتعالى متركبة من أعضاء ؟! بالرغم من أن العبد لو ترك بدون إيهام ، وكانت الآيات كما هي في القرآن ما تخيل بإذن الله ولا وقع في التشبيه بحال ، ولكن هو باب شر لادواء له إلا التأويل بشروطه السابقة ممن هو متمكن في اللغة والعلم .

أدلة أهل التفويض :

١. أن الوقف في آية آل عمران على قوله تعالى ((وما يعلم تأويله إلا الله))

وعلى هذا فلا نتكلم في شيء لا يعلمه إلا الله لأن تعيين المعنى المراد ضرب من الظن لا يصح في العقيدة . وإلى هذا ذهب جمع كبير من السلف وبعض الأشاعرة والماتريدية وأكثر الحنابلة .

ثم اختلف القائلون بالتفويض هل التأويل محرم أم خلاف الأولى فجمهور الحنابلة أنه محرم وذهب جمهور العلماء من الشافعية والمالكية والحنفية وبعض الحنابلة إلى أن المسألة هي من باب الأصح والصحيح ليس إلا .

تنبيه : أعجب ممن يمنع التأويل لأنه ظني رغم أن التأويل يرجع إلى صفة قطعية ثابتة لله ثم يأتي فيجزم بإثبات صفة لله بحديث ظني سواء كان ظني في نقله أو في معناه ودلالته فكيف بمن يثبت بالضعيف من الأحاديث بل كيف بمن يثبتها بالقياسات الفاسدة وبدلالة المفهوم كمن يثبتون الجهة والملل والظل نسأل الله العافية ؟!!!!!!!!!!!!

ومن نظر في أدلة العلماء علم أن التفويض والتأويل أمر اجتهادي لا قطعي وهو يدور بين الأجر والأجرين وأن السلف من الصحابة والتابعين قد ثبت عنهم التأويل والتفويض وإن كان التفويض أكثر

لعدم الحاجة إليه قبل ظهور البدع فهو دواء لداء ظهر وأول من استعمله الصحابة رضي الله عنهم ^{٣٢٥}.

اعتراض الإمام ابن تيمية على التفويض والرد على ذلك :

ذهب بعض أهل التأويل ^{٣٢٦} إلى ذم التفويض فمن ذلك قول ابن تيمية في كتابه "درء تعارض العقل والنقل" : "وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله". إلى أن قال : "فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه". قال: "ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكل شيء وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهى، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين الناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأى وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشككة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد . "أه كلامه رحمه الله.

الرد على ذلك:

ليعلم بداية أن التفويض بالمعنى الذي ذكره الإمام ابن تيمية لا يوجد على الإطلاق ، فلا الحنابلة المفوضة ولا الأشعرية وغيرهم من أهل السنة يوجد منهم الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله، ولم يقل هؤلاء أن الأنبياء والمرسلين لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ، ولا قدحوا في القرآن والأنبياء بل بينوا ما أنزل.

فإذا ظهر تفويض كالذي ذكره الإمام ابن تيمية في يوم من الأيام، فهو مردود على قائله، ولا حاجة للإستفاضة في ذلك فهو لا يحتاج إلى بيان . فليس أحد من أهل التفويض يذهب إلى أن القرآن لا يتدبر ولا يفهم ، وكتبهم طافحة ببيان آيات وأحاديث الصفات ، فتفسير الإمام الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، والبغوي ، وابن عطية ، والبيضاوي ، وغيرهم كثير ، وانظر شراح الحديث فشرح صحيح مسلم وشرح البخاري وشرح جامع الترمذي وشرح سنن أبي داود وغيرها كثير ، وكتب العقائد ، كلها دالة على سعة علم الأئمة وقوة فهمهم للقرآن والسنة والعقيدة .

نماذج من تأويلات علماء الأمة أهل العلم والتقى من سلفهم وخلفهم : ^{٣٢٧}

^{٣٢٥} أنظر إلى أدلتهم بإنصاف وبحث عن الحق .

^{٣٢٦} الحقيقة يراد بها أحد معنيين :

فتطلق الحقيقة على نفس الأمر فيقال في الحقيقة علم أو عالم في الحقيقة والواقع . وعلى هذا المعنى يحمل ماجاء عن بعض العلماء بقولهم لله يد حقيقة .

المعنى الثاني: أن تطلق الحقيقة ويراد بها ماقابل المجاز وهي الكلمة المستعملة فيما وضعت له كاليد تستعمل حقيقة في الجارحة ومجازاً بمعنى النعمة كقول القائل لوالدك يد علي أي فضل ونعمة علي . وهكذا . فالإمام ابن تيمية كان يؤول الصفات على الحقيقة اللغوية بينما الأشاعرة والماتريدية فعلى المجاز اللغوي لكنه يقول حقيقة لائق بالله . وهذا غير مسلم على لغة العرب (العرب) .. وانظر ذكر نوعا الحقيقة

في حاشية الإمام الدسوقي على شرح أم البراهين ١٨٦

^{٣٢٧} ذكر الشيخ عمر كامل كثيراً من ذلك في كتابه كفى تفريقاً للأمة باسم السلف .

١. أويل ابن عباس رضى الله عنهما: { يد الله فوق أيديهم } قال ابن عباس رضى الله عنهما: يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم. ٣٢٨ فلم يقل أنه العضو أو الطرف سبحانه الله عن ذلك بل قال أن المقصود هو الوفاء. فنعم تثبت صفة اليد ولكن ليست العضو والطرف لأن هذا هو المعنى اللغوي على الحقيقة في اللغة فصرفه ابن عباس إلى المعنى اللائق بالله.

وقال ابن جرير وهو من أعيان علماء السلف: وفي قوله { يد الله فوق أيديهم } وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم. والوجه الآخر: قوة الله فوق قوتهم في نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو. أنتهى كلام ابن جرير ٣٢٩ فتأمل تأويلها على الوجه الأول بأن المقصود ليس العضو قطعاً بل هي استعارة فقط، فكأنهم ببيعتهم لرسول الله يبايعون الله لا أنه المعنى على الحقيقة اللغوية من طرف وأعضاء. وتأمل الوجه الثاني الذي ذكره ابن جرير فهو صريح في التأويل: قال: قوة الله فوق قوتهم.

وتأكيد لهذا المعنى أنقل ما ورد في معاجم اللغة أولاً: لسان العرب لابن منظور:
قال: وَالْيَدُ: النِّعْمَةُ وَالْإِحْسَانُ تَصْطَبِعُهُ وَالْمِنَّةُ وَالصَّنِيعَةُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ يَدًا لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِالْإِعْطَاءِ وَالْإِعْطَاءُ إِنَالَةٌ بِالْيَدِ، وَالْجَمْعُ أَيْدٍ، وَأَيَادٍ جَمْعُ الْجَمْعِ، كَمَا تَقْدَمُ فِي الْعَضْوِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْيَدَ الْمَفْرَدَةَ هِيَ النِّعْمَةُ وَالْإِحْسَانُ وَجَمْعُهَا أَيْدٍ، فَتَأْمَلُ!!!
وفي موضع آخر يقول مستدلاً بالآية الكريمة:
وَالْيَدُ: الْقُوَّةُ. وَأَيَّدَهُ اللَّهُ أَيَّ قَوَاهُ. وَمَا لِي بِفُلَانٍ يَدَانِ أَيَّ طَاقَةٍ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} وَالْجَمْعُ أَيْدٍ.. وهنا أيضاً يثبت أن اليد المفردة معناها القوة وجمعها أيدٍ، والدليل الآية الكريمة.

ثانياً: الفيروز أبادي في القاموس المحيط:

قال: الْيَدُ: الْكَفُّ، أَوْ مِنْ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ إِلَى الْكَتِفِ، أَصْلُهَا يَدَيٌّ.
ج: أَيْدٍ وَيُدَيٌّ، جَمْعُ: أَيْدٍ. وَالْيَدَى، كَالْفَتَى، بِمَعْنَاهَا،
كَالْيَدَةِ وَالْيَدِّ، مُشَدَّدَةٌ، وَهِيَ يَدَانِ. وَالْيَدُ: الْجَاهُ، وَالْوَقَارُ، وَالْحَجْرُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ، وَمَنْعُ الظُّلْمِ، وَالطَّرِيقُ، وَبِلَادُ الْيَمَنِ، وَالْقُوَّةُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالسُّلْطَانُ، وَالْمَلِكُ، بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَالْجَمَاعَةُ، وَالْأَكْلُ، وَالنَّدَمُ، وَالْغِيَاثُ، وَالْإِسْتِلاَمُ، وَالذُّلُّ، وَالنِّعْمَةُ، وَالْإِحْسَانُ تَصْطَبِعُهُ.

ثالثاً: الصحاح للجوهري:

وَالْيَدُ: الْقُوَّةُ، وَأَيَّدَهُ، أَيَّ قَوَاهُ. وَمَا لِي بِفُلَانٍ يَدَانِ، أَيَّ طَاقَةٍ. قَالَ تَعَالَى: "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ". وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "حَتَّى

٣٢٨ تفسير معالم التنزيل للبغوي، سورة الفتح.

٣٢٩ تفسير ابن جرير لسورة الفتح عند قوله تعالى ((يد الله فوق أيديهم))

يُعْطُوا الجزية عن يدٍ"، أي عن ذَلَّةٍ واستسلام، ويقال: نَقَدًا لا نسيئةً. واليَدُ: النعمة والإحسان تصطنعه، وتجمع على يَدَيٍّ ويَدَيٍّ، وأَيْدٍ أيضاً.

وقد يكون المعنى أيد: الأَيْدُ والآذُ جميعاً: القوة؛ قال العجاج: من أن تبدلت بآدي آدايعني قوّة الشباب. وفي خطبة علي، رضي الله عنه : وأمسكها من أن تمر بأيده أي بقوّته. وكلاهما معنيان سائغان. أنظر لسان العرب.

شبهة وجوابها: هل يصح في لغة العرب ان تقول : لفلان يد و هو ليس له يد على الحقيقة اللغوية ؟

الجواب: نعم يصح، والدليل على ذلك من القرآن الكريم:

((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) ونحن نعلم يقيناً أنه ليس للقرآن أيدي حقيقية، أي ليس له أعضاء وجوارح .

ثانياً: قوله تعالى: ((وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)) ونحن نعلم يقيناً أنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي جناح حقيقي، وإنما هو كناية عن الرحمة بالمؤمنين .

شبهة ثانية : [يدعي من ينكر التأويل ويظن أن الله له يدان حقيقتان على المعنى الحقيقي في اللغة ، فيقول في دعواه: لذلك لا يوجد في كلام العرب مطلقاً أن يقال يد فلان مبسوطة ، وفلان فعل ذلك بيده إلا ويكون له يد على الحقيقة ولا يجوز أن يكون لا يد له ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها ، فهم لا يقولون " يد " الهوى ولا " يد " الماء ، ولكنهم يصفون الكريم ببسط اليد والبخيل بضمها لأن الإعطاء والمنع يكون ببسط اليد ومدها وقبضها وإمساكها فلا بد أن يكون له " يد " على الحقيقة ، وهذا من الحقائق العرفية التي يفهم منها أنه إذا قيل هو مبسوط اليد أن له يداً على الحقيقة. أ. ه كلامهم .

وقد تبين بطلان كلامه وذلك بالآيتين الشريفتين، ونضيف ما أمكن من معجمات اللغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور:

((وَيْدُ الْفَأْسِ وَنَحْوُهَا: مَقْبِضُهَا. وَيَدُ الْقَوْسِ: سَيْتُهَا. وَيَدُ الدَّهْرِ: مَدُّ زَمَانِهِ. وَيَدُ الرِّيحِ: سُلْطَانُهَا؛ ... وَيَدُ الطَّائِرِ: جَنَاحُهَا....

حتى إذا أَلْقَتْ يَدًا في كافر

يعني بدأت الشمس في المغيب، فجعل للشمس يداً إلى المغيب لما أراد أن يَصِفَها بالغروب؛ وأصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صُعَيْر المازني في قوله:

فَتَذَكَّرَا ثَقَلًا رَّثِيدًا بَعْدَمَا

...الأصمعي: يَدُ الثوب ما فَضَلَ منه إذا تَعَطَّطَتْ وَالتَّحَفَّتْ. يقال: ثوب قَصِيرُ الْيَدِ يَقْصُرُ عَنْ أَنْ يُلْتَحَفَ بِهِ...يقال:

أخذ فلان يَدَ بَحْرٍ إذا أخذ طريق البحر...))

إذن الفأس والقوس والدهر والريح والثوب والبحر كلها لها أيد وليست بأيدي على الحقيقة اللغوية وإنما مجازاً، فتأمل ياطالب

الحق . !!! ٣٣٠

وأسوق ما ورد من تأويلات عن الأئمة من الصحابة وغيرهم على وجه الاختصار:

١- أول ابن عباس قوله تعالى (يوم يُكشف عن ساق) سورة القلم <٤٢>

فقال يكشف عن شدة .. فأول الساق وفسرها بالشدة

ذكر ذلك عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤٢٨/١٣)

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسيرها: عن نور عظيم، قال ابن فورك: معناه ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف، وقال المهلب: كشف ساق للمؤمنين رحمة ولغيرهم نقمة، وقال الخطابي (١٠): تهب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق، ومعنى قول ابن عباس أن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة، وأسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرءان فابتغوه من الشعر، وذكر الرجز المشار إليه.

والحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٨/٢٩) حيث قال في صدر كلامه على هذه الآية: قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد. ولکم أن تدققوا في قول الإمام الطبري (من أهل التأويل) ما يدل على أن التأويل معروف معمول به بضوابطه عند السلف. وإن تعسف بعضهم فقال المقصود هنا بالتأويل التفسير فياليت شعري تفسير بماذا؟ أليس بما يؤول إليه الكلام؟!

تنبيه: أوهم الموجان أنه لا تأويل في الآية وإنما هو نزاع في التفسير، والأرجح بأن المراد ساق الرب تعالى كما جاء مفسراً في البخاري ولو كان النص ((عن ساقه)) لما وجد النزاع. أ. هـ ٣٣١

الجواب: أما تسميته للتأويل بالتفسير فلا تعارض والله الحمد، وقد سبق بيان ذلك لأن تفسيرهم لها بذلك، له نتيجة حتمية يعرفها كل من أزاح عن عقله التعصب والتقليد الأعمى، فقد صرف معنى اللفظ عن ظاهره على التفسير الحقيقي لها في اللغة إلى معنى آخر يحتمله لوجود قرينة. وهذا هو ما فعله الصحابي رضي الله عنه.

وقولك الأرجح يومهم أن الجمع ممتنع، والجمع غير ممتنع أصلاً، لأن الساق في حديث ((يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة) هو الساق في قوله تعالى ((يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) فالمؤمنون يسجدون له والمنافقون لا يستطيعون. فهو سجود حين يكشف عن ساقه. وساق الرب هذه التي تقول أنها الأرجح هي شدته كما فسرهما الصحابي. ولذا فسرهما ابن

كثير بذلك وساق فيها عند تفسير الآية الحديث السابق. يؤكد ذلك قراءة ((يوم يكشف عن ساق) فالنون هنا تزيل اللبس الذي يحصل للبعض والله الموفق. ٣٣٢ فلا مناص من أنه تأويل.

٢- أول النسيان الوارد في قوله تعالى (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) سورة الأعراف <٥١> بأنه التَّرك .. كما قال الطبري "أي ففي هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم - يقول تركهم في العذاب" وهو تأويل صريح من ابن جرير

٣٣١ الرد الشامل ١٨٢

٣٣٢ انظر تفسير ابن كثير للآية ٤٢ من سورة القلم وكذا زاد المسير لابن الجوزي.

للنسيان بأنه الترك... وهو صرف لمعنى هذا اللفظ عن ظاهره المعهود وهو إلى معنى مجازى ونقل ابن جرير هذا التأويل الصارف عن الظاهر، ورواه بأسانيده عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم^{٣٣٣}. ومعلوم أن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق النسيان في كلام العرب على الحقيقة في اللغة أنه الدهول، ولكن لما كان هناك قرائن على أن المقصود ليس هو الدهول، ومن أعظمها أن ذلك موجب لنقص الله، صرف عن ظاهره إلى معنى آخر سائغ وهو الترك. فالمقصود أن أصل النسيان في اللغة يأتي بمعنى الدهول ولكن له معنى آخر مجازي وهو الترك فحمل عليه في الآيات، فما هو موجب حمل النسيان على الترك لا على الدهول؟! فإذا قلنا لأن الدهول لا عقاب عليه. فهذا جواب صحيح بالنسبة للعبد، لكن بالنسبة للخالق ما هو الصارف؟ فجوابه: بلا ريب أن ذلك المعنى لا يجوز على الله وهذا هو المراد. وبه يتبين أن الموجان كان يتكلم عن شيء ليس هو موطن النزاع. لأنه سلم بأنه الترك لا الدهول، ولم يبين أن الدهول لا يليق بالله ورفض الإقرار بأنه المعنى المجازي، وهذه مكابرة للحقائق فإن أصغر طلبه العلم في اللغة يعرف أن النسيان هو الدهول حقيقة، وأما الترك فإنما هو من معان النسيان لكن تجوزاً، أو توسعاً أو مجازاً، والمعنى في الثلاثة واحد.

تأويل الإمام أحمد بن حنبل :-

١- روى الحافظ البيهقي في كتابه مناقب أحمد، وهو كتاب مخطوط نقل عنه ابن كثير في البداية والنهاية فقال ” روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى (وجاء ربك) أنه : جاء ثوابه .. ثم قال البيهقي وهذا إسناد لا غبار عليه ” انتهى كلام ابن كثير من غير انتقاد للرواية^{٣٣٤}. وشهادة الإمام البيهقي -وهو من هو- بصحة هذا السند وهذه الرواية عن الإمام أحمد تدل دلالة لا شك فيها أن الإمام قد أخذ بالتأويل عند وجود دواعي ذلك ..

وكذلك سكوت ابن كثير، وعدم انتقاده للرواية وهو العالم الفذ الخبير بالأسانيد والعلل والرواة يدل على تسليمه بصحتها، فراجع البداية والنهاية. وقد تعسف الموجان في محاولة ردها، فجاء بما لا ينفق إلا على جاهل، إذ لو قلنا بكلامه من احتمال أنما زيادة في بعض الطباعات من النسخ لما بقي معنا كتاب من كتب العلماء، وهذا الاحتمال مردود كما هو معروف عند أهل الفن لأنه لم يأت عليه بدليل صحيح أو قرينة قوية، ثم لو قلنا أن ما في البداية والنهاية لعله زيادة، فماذا ستقول في النسخ المخطوطة المعتمدة للبداية والنهاية، وماذا ستقول في كتاب البيهقي مناقب الإمام أحمد؟!

٢- قال الحافظ ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية (٣٢٧/١٠)

” ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد بن حنبل أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى (ما يأتيهم من

^{٣٣٣} تفسير الطبري (٢٠١/٨)

^{٣٣٤} البداية والنهاية (٣٢٧/١٠)

ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) قال: يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث ..^{٣٣٥} وعن حنبل عن أحمد أنه قال: يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن". والذي يدل على صحة تأويل أحمد بن حنبل رحمه الله ما حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس ابن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد علي فأخذني ما قَدُمَ وما حَدَث، فقلت: يا رسول الله أحدث في شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن الله عز وجل يحدث لنبى من أمره ما شاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة}} اهـ.

وجه التأويل هنا أن ظاهر اللفظ يفيد أن القرآن مخلوق حيث عبر عن الذكر بأنه محدث .. فصرف الإمام اللفظ عن الظاهر بقرينة عقلية هي التنزيه ونفى التشبيه .. حيث أن القرآن كلام الله وكلام الله ليس بمخلوق لأن كلامه لا يشبه كلام خلقه.

٣- قال الحافظ الذهبي: قال أبو الحسن عبد الملك الميموني قال رجل لأبي عبد الله - يعنى أحمد بن حنبل - ذهب إلى خلف البزار أعظه وقد بلغني انه حَدَّث بحديث عن الحوض أسنده إلى ابن مسعود قال (ما خلق الله شيئاً أعظم.....) وذكر الحديث .. فقال أبو عبد الله: ما كان ينبغي أن يحدث بهذا في هذه الأيام - يريد أيام المحنة - قال الذهبي: والمتن - أي نص الحديث - (ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي) وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة: إن الخلق مقصود به هاهنا السماء والأرض وهذه الأشياء لا القرآن .. يقصد أن كلمة آية هنا أراد بها الحديث معنى الآية الإعجازية وليست الآية القرآنية ..

وفي لغة العرب دليل على ذلك .. ففي القرآن الكريم قال تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي معجزتين ودليلين .. وكره الإمام أحمد ذكر خلف البزار لهذا الحديث .. لكي لا يستند إليه الجهمية في إيهام الناس بأن المقصود بكلمة آية الكرسي هي الآية القرآنية في سورة البقرة .. فيكون بذلك دليلاً على مذهبهم الباطل في أن القرآن مخلوق .. والحديث في الأصل يتكلم عن الآية الإعجازية ثم بعد ذلك علق الإمام الذهبي على هذا الكلام بتعليق ينبغي أن يُقرأ..^{٣٣٦}

قال:- كان الإمام أحمد يقول في عقيدته (الله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش) > طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى < (٢/٢٩٧) اهـ.

وقد أنكر الإمام أحمد على من يقول بالجسم وقال- أي الإمام أحمد- إن الأسماء والألفاظ مأخوذة بيقبقبالشريعة واللغة .. وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم -يعنى الجسم- على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف .. والله تعالى خارج عن ذلك كله .. فلا يجوز أن يُسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجرى في الشريعة ذلك..فهو باطل قطعاً.^{٣٣٧}

^{٣٣٥} وهذا رد على الكاتب وغيره ممن يظنون أن كلام الله حادث الآحاد وأهل السنة قاطبة على أن كلام الله غير حادث والحادث هو ضد الأزلي ولم يقل أن القرآن حادث إلا المعتزلة والكرامية وابن تيمية وقلده الكاتب في ذلك وقد سبق بيان المسألة عند التعليق على مسألة الكلام.

^{٣٣٦} سِيرَ أعلام النبلاء (١٠/٥٧٨)

^{٣٣٧} > طبقات الحنابلة < (٢/٢٩٨).

من تأويلات الإمام أحمد أيضاً: ثبت أن الإمام أحمد أول الإتيان في قوله تعالى {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة} فقال الإمام أحمد: إنما يأتي أمره .

ولم يجد فيه ابن تيمية مطعن فذكر عن حنبل بأن له غرائب ، لأن من نقل كلام أحمد في الفتنة لم ينقلوا ذلك. وجواب ذلك: بأجوبة :

أولها: أنه لا يلزم من عدم نقلهم عدم ثبوت ذلك لأنه قد يكون معه زيادة علم .

ثانياً : أنه ثقة في النقل وزيادة الثقة مقبولة في الحديث على التفصيل المعروف فكيف في غير الحديث . وإليكم شيء من ترجمته رحمه الله:

حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم إمامنا أحمد: سمع أبا نعيم الفضل بن دكين وأبا غسان مالك بن إسماعيل وعفان بن

مسلم وسعيد بن سليمان وعارم بن الفضل بن دكين وسليمان بن حرب وإمامنا أحمد في آخرين حدث عنه ابنه وقد اختلف في اسم ابنه فقوم قالوا عبيد الله وقوم قالوا عبد الله وعبد الله بن محمد البغوي ويحيى بن صاعد وأبو بكر الخلال وغيرهم

وذكره الخطيب أحمد بن ثابت فقال: كان ثقة ثبتاً .

قال وأخبرنا الأزهرى قال: سئل الدارقطني عن حنبل فقال كان صدوقاً.

فالطعن في نقله بعيد عن الصواب . بل إن الإمام ابن تيمية حاول التشويش في هذا النقل ، تارة بغمز الإمام حنبل رحمه الله ، وتارة بمحاولة تأويل المباحثات بين الإمام أحمد والمعتزلة بشيء لا يقبله عقل.

. تأويل ابن جرير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: {الله نور السموات والأرض}

يعني تعالى ذكره بقوله: {الله نور السموات والأرض} هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهده من حيرة الضلالة يعتصمون.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا. - حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني

معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: {الله نور السموات والأرض} يقول الله سبحانه هادي أهل السموات

والأرض... وقال: آخرون بل معنى ذلك: الله مدبر السموات والأرض. ذكر من قال ذلك: وقال: آخرون بل معنى ذلك:

الله مدبر السموات والأرض.....

ثم علل سبب تأويله صفة النور إلى الهداية بقوله: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأنه عقيب قوله: {ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات، ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين} فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل {ومثلاً من الذين خلوا

من قبلكم وموعظة للمتقين { فهديناكم بها، وبيننا لكم معالم دينكم بها، لأني هادي أهل السموات وأهل الأرض. وترك وصل الكلام باللام، وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداءً، وفيه المعنى الذي ذكرت، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره. أ
_____ ه_____ جامع البي_____ان _____ن تأويل _____ل آي الق_____رآن
الجزء ١٨ << سورة المؤمنون >> القول في تأويل قوله تعالى: {الله نور السموات والأرض}

تأويل الإمام النضر بن شميل :-

وهو الإمام الحافظ اللغوي وروى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

ذكر الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات:

أنه قال ” معنى حديث حتى يضع الجبار فيها قدمه ” أي من سبق في علمه أنه من أهل النار. أ. ه وقاله الإمام أبو منصور الأزهرى كما في (دفع الشبه لابن الجوزي)، وقال ابن الجوزي أيضاً: (وقد حكى أبو عبيدة الهروي-صاحب كتاب غريب القرآن والحديث- عن الحسن البصري أنه قال: القدم، هم الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لهم). أ. ه ومن هذا المعنى في اللغة قوله تعالى ((لهم قدم صدق عند ربهم)) أي قربات قدموها فليست القدم على ظاهرها المعهود على الحقيقة بمعنى الرجل .

ولفظة رجله الوارة في بعض الأحاديث فهي من تصرفات بعض الرواة في الرواية بالمعنى الذي فهمه . غفر الله له. ٣٣٨

تأويل الإمام هشام بن عبيد الله :- توفي سنة ٢٢١ هـ قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمته (٤٤٦/١٠) ” السني الفقيه أحد أئمة السنة ” . ثم قال الذهبي : قال محمد بن خلف الحرّاز سمعت هشاماً بن عبيد الله الرازي يقول ” القرآن كلام الله غير مخلوق فقال له رجل : أليس الله يقول > ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث < فقال : محدث إلينا وليس عند الله بمحدث ” .. قال الذهبي-مفسراً-.. قلتُ : لأنه من علم الله وعلم الله لا يوصف بالحدوث .

تأويل الإمام سفيان الثوري ذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة سيد الحفاظ في

زمانه الإمام سفيان الثوري (٢٧٤/٧) أن معدناً سأل عن قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) فقال : علمه معكم .

تأويل الإمام عبد الله بن المبارك :-

قال الإمام البخاري : (حدثنا محمد عن عبد الله عن محمد بن بشار عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر قال : بينما أنا أمشي معه إذ جاء رجل فقال يا ابن عمر .. كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر في النجوى ؟ - قال سمعته يقول : يدنو من ربه حتى يضع عليه كنفه ثم

قال البخاري قال ابن المبارك: (كنفه يعنى ستره) ^{٣٣٩} وأيد كلامه الحافظ ابن حجر

في فتح الباري عند شرح هذا الحديث. فأنت ترى الإمام قد أول هنا فلم يحمله على المتبادر لبعض الأذهان حتى قال بعضهم: نشر الله كنفه على المسلم يوم القيامة هكذا، وتعطفَ بيده وكفه. أنظر لسان العرب. كنف: الكنف والكنف: ناحية الشيء، وناحيته كل شيء كنفاه. وهذا يطل تحرب **الموجان حيث قال: أنه ليس بتأويل إن الكنف في اللغة الستر**. أ. هـ ^{٣٤٠} وهذا صحيح أنه في اللغة الستر لكن مجازاً أما الأصل فهو:

الناحية والجانب. كنف: الكنف والكنف: ناحية الشيء، وناحيته كل شيء كنفاه، والجمع أكناف. وبنو فلان يكنفون بني فلان أي هم نُزول في ناحيتهم. وكنف الرجل: حُضْنه يعني العُضدين والصدر. وأكناف الجبل والوادي: نواحيه حيث تنضم إليه، الواحد كنف. والكنف: الجانب والناحية، بالتحريك. وفي حديث جرير، رضي الله عنه: قال له أين منزلك؟ قال: بأكناف بيشة أي نواحيها..... وكنف الإنسان: جانبيه، وكنفاه ناحيته عن يمينه وشماله، وهما حُضناه. انتهى من لسان العرب هذا هو أصل المعنى.

فلما كان لا يليق بالله تعالى أولوه إلى معنى آخر. من ذلك: حتى يضع عليه كنفه؛ قال ابن

المبارك: يعني ستره، وقيل: يرحمه ويلطّف به، وقال ابن شميل: يضعُ الله عليه كنفه أي رحمته وبرّه وهو تمثيل لجعله تحت ظلّ رحمته يوم القيامة. هكذا جاء في لسان العرب.

وقولك أن من قال: أنه تأويل أشبه بمن قال العين الباصرة أو قال العين عين الماء.

فهذا باطل يا أخي هداك الله وكأنك فهذا خلط بين ما يسمى في الاصطلاح باللفظ المشترك كالذي ضربت له مثلاً بالعين، وبين مانحن بصدده، وعزائي أن طلبة العلم يفهمون هذه المغالطة.

والتأويل التفصيلي وإن كان عادة الخلف فقد ثبت أيضاً عن غير واحد من أئمة السلف وأكابرهم كابن عباس من الصحابة، ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين، والإمام أحمد ممن جاء بعدهم، وكذلك البخاري وغيره.

تأويل مجاهد فقد قال الحافظ البيهقي (١٢): {وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قالا: ثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا أبو أسامة، عن النضر، عن مجاهد في قوله عز وجل: {فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} (١١٥) [سورة البقرة] قال: قبله الله، فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها. اهـ.

^{٣٣٩} باب خلق أفعال العباد ص ٦١

وورد أيضا التأويل عن الإمام مالك فقد نقل الزرقاني (١٦) عن أبي بكر بن العربي أنه قال في حديث: { ينزل ربنا: } { النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيهِ. فالنزل حسيّ صفة الملك المبعوث بذلك، أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل، فسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة . اهـ. وإن كان له في سنده من انتقده أهل العلم ، ولكن قد استفاض نقله عند علماء مذهبه كابن عبدالبر ، وابن رشد ، والقرطبي وغيرهم من المالكية وارتضوه رحمهم الله تعالى .

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: وقال ابن العربي: حكى عن المبتدعة ردّ هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها وبه أقول. فأما قوله: { ينزل } فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيهِ، والنزل كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة انتهى. والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطّف بالداعين والإجابة لهم ونحوه . انتهى كلام الحافظ، وكذا حكى عن مالك أنه أوله بنزل رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعَل المَلَك كذا أي أتباعه بأمره. وقد ورد أيضا عن الإمام البخاري فقد روى في صحيحه (١٩) عند قوله تعالى: { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } قال البخاري: { إلا مُلْكُهُ، ويقال: إلا ما أريد به وجهه الله... اهـ .

وروى أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه: { أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { من يضم }، أو: { يضيف هذا؟ } فقال رجل من الأنصار: أنا.... الحديث إلى أن قال: فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: { ضحك الله الليلة }، أو: { عجب من فعالكما } . فأنزل الله: { وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٩) [سورة الحشر] .

قال الحافظ ابن حجر: ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما. وأول البخاري الضحك الوارد في الحديث بالرحمة نقل ذلك عنه الخطابي فقال: وقد تأول البخاري الضحك في موضع آخر على معنى الرحمة وهو قريب، وتأويله على معنى الرضا أقرب . اهـ.

تأويل الإمام البخاري، نقله الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٧٠ عن البخاري أنه قال: (معنى الضحك: الرحمة) اهـ. وقال الحافظ البيهقي ص ٢٩٨: (روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى أنه قال: معنى الضحك فيه - أي الحديث - الرحمة)، وقد نقل هذا التأويل الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠/٦) .

تأويل الطبري في تفسيره ١/٩٢ عند تأويل قوله تعالى: { ثم استوى إلى السماء } ما نصه (والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: { ثم استوى إلى السماء } الذي هو بمعنى العلو والإرتفاع هربا من عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا و ارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالجهول من

تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه، فيقال له زعمت أن تأويل قوله (استوى): أقبل، أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال) أنتهى كلام ابن جرير. فاتضح بهذا أن السلف كانوا يؤولون الإستواء بعلو الملك والسلطان والقهر وهو علو رتبة (معنوي) لا علو حسي حقيقي تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أول الحافظ ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) في صحيحه ٥٠٢/١ حديث ((حتى يضع الرب قدمه فيها)) أي جهنم فقال: (هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقي في النار من الأمم والأمكنة التي يعصى الله فيها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعاً من الكفار والأمكنة فتمتلئ فتقول قط قط، تريد حسي حسي، لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع قال الله جل وعلا: {لهم قدم صدق عند ربهم} يريد: موضع صدق، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار، جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه) انتهى كلام الحافظ ابن حبان.

تأويل الإمام مالك رحمه الله تعالى، روى الحافظ ابن عبد البر في التمهيد ١٤٣/٧ وذكر الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ١٠٥/٨ أن الإمام مالك أول النزول الوارد في الحديث بنزول أمره وهذا النص من السير: (قال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب حدثنا حبيب بن أبي حبيب حدثني مالك قال: (يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره، فأما هو فدائم لا يزول) قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن بكير، فقال حسن والله، ولم أسمع من مالك)، ورواية ابن عبد البر من طريق أخرى، وهذا التأويل مشهور عن الإمام مالك غني عن الإسناد فيه ولذلك نقله الإمام النووي في شرح مسلم ٣٧/٦ عنه. ذكر الحافظ الترمذي في سننه ٦٩٢/٤ بعد حديث الرؤية الطويل الذي فيه لفظة (فيعرفهم نفسه) فقال: (ومعنى قوله في الحديث: فيعرفهم نفسه يعني يتجلى لهم

قال الإمام النووي في المجموع ٤٦/١ باب أقسام العلم الشرعي، فرع: اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها: هل يخاض فيها بالتأويل، أم لا؟ فقال قائلون: تتأول على ما يليق بها، وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين. وآخرون: لا تتأول بل يمسك عن الكلام في معناها، ويوكل علمها إلى الله تعالى. ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى، وانتفاء صفات الحادث عنه. فيقال مثلاً: نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى ولا نعلم حقيقة معنى ذلك والمراد به، مع أننا نعتقد أن الله تعالى (ليس كمثله شيء) وأنه منزّه عن الحلول وسمات الحوادث، وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم، وهي أسلم، إذ لا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك، فإذا اعتقد التنزيه فلا إلى الخوض في ذلك والخطورة فيما لا ضرورة بل لاجابة إليه فإن دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا، والله أعلم.

قال ابن عبد البر رحمه الله في كتابه التمهيد ١٣٧/٧ :

(وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ولا انتقالاً، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسماً أو جوهرًا، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلة، ولو اعتبرت ذلك بقولهم: جاءت فلاناً قيامته، وجاءه الموت، وجاءه المرض، وشبه ذلك، مما هو موجود نازل به، ولا مجيء، لبان لك، وبالله العصمة والتوفيق) اهـ.

وقال الإمام الشوكاني: [الفصل الثاني: فيما يدخله التأويل وهو قسمان أحدهما: أغلب الفروع ولا خلاف في ذلك والثاني: الأصول كالعقائد وأصول الديانات وصفات الباري عز وجل، وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب (الأول) أنه لا مدخل للتأويل فيها يجري على ظاهرها ولا يؤول شيء منها وهذا قول المشبهة، (والثاني) أن لها تأويلها ولكننا نمسك

عنه مع تنزيه اعتقادنا عن مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى {وما يعلم تأويله إلا الله} قال ابن برهان وهذا قول السلف (قلت) وهذا هو الطريقة الواضحة والمنهج المصحوب بالسلامة في الوقوع عن مهاوي التأويل لما لا يعلم تأويله إلا الله وكفى بالسلف الصالح قدوة لمن أراد الاقتداء وأسوة لمن أحب التأسي على تقدير عدم ورود الدليل القاضي بالمنع من ذلك فكيف وهو قائم موجود في الكتاب والسنة (والمذهب الثالث) أنها مؤولة، قال ابن برهان: والأول من هذه المذاهب باطل والآخرون منقولون عن الصحابة ونقل هذا المذهب الثالث عن علي وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة أ. هـ ٣٤١

وتأويل الصفات والايات معروف في كتب العلماء والمفسرين، وأما قول الله تعالى: {وهو القاهر فوق عباده}، قال ابن جرير الطبري: تعالى ذكره بقوله وهو نفسه يقول والله القاهر فوق عباده، ويعني بقوله القاهر المذل المستعبد خلقه العالي عليهم، وإنما قال فوق عباده لأنه نفسه تعالى بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر أن يكون مستعلياً عليه، فمعنى الكلام إذا: والله الغالب عباده المذل لهم العالي عليهم بتذليله لهم وخلقهم إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه اهـ. ٣٤٢ إذا فهي فوقية قهر وربوبية ومكانة. راجع الكشف ٦٨٦/١، والجمل في حاشيته على الجلالين ١٤/٢، وأبو حيان ٨٩/٤، قال القرطبي في تفسيره للآية: ومعنى فوق عباده فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم أي تحت تسخير لافوقية مكان كما تقول السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة وفي القهر معنى زائد وهو منع غيره عن بلوغ المراد اهـ. {أأمنتم من في السماء} ومعناه أأمنتم من شأنه عظيم، لأن العرب إذا أرادت أن تعظم شيئاً وصفته بالعلو فتقول: فلان اليوم في السماء. راجع أبو حيان ٣٠٢/٨، الألوسي ١٣٠/٩، والخطيب في تفسيره ٣٣٠/٤، الرازي ١٨٨/٨ ومن الجدير أيضاً مراجعة كتاب عقيدة الإمام الحافظ ابن كثير في آيات الصفات من أئمة السلف الصالح. للعلامة محمد عادل عزيزة. الأدلة والبراهين

يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - قسم مصدره العقل وحده وهو معظم الأبواب ، ومنه باب الصفات ، ولهذا يسمون الصفات السبع " عقلية " وهذا القسم هو " ما يحكم العقل بوجوبه " دون توقف على الوحي عندهم.
- ٢ - قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية - على خلاف بينهم فيها - وهذا القسم هو " ما يحكم العقل بجوازه استقلالاً أو بمعاوضة الوحي " .
- ٣ - قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات أي المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراف والميزان وهو عندهم " ما لا يحكم العقل باستحالته لكن لو لم يرد به الوحي لم يستطع العقل إدراكه منفرداً "

الجواب : ١. قولكم أن هذا هو مصدر التلقي ، باطل بلا ريب وهو تخليط بين مسألة الأدلة والبراهين ، وبين مسألة مصدر التلقي ولا أريد أن أقول أنه تدليس ، بل أقول أنه مجرد جهل ، وقد سبق أن مصدر التلقي هو الشرع فقط بشرط العقل لأنه لا تكليف على مجنون ونحوه.

٢. أما البراهين فعقلية وشرعية ، وبيان ذلك : أن الداعي إذا أراد دعوة كافر إلى دين الإسلام وقال له : ديننا حق وجاءنا رسول . فقال له الكافر : أنت غير صادق فقال له : إن الله قال وقال وسرد عليه الأدلة من القرآن وقال له الكافر أنا لا أصدقك وأنت تقول على الله ، فلا برهان أمامه إلا البرهان العقلي ، لآجل أبداً إلا أن

٣٤١ في كتابه ارشاد الفحول ص ١٥٥

٣٤٢ تفسير الطبري ١٠٣/٧

تبدأ معهم بالبراهين العقلية والحقائق البديهية في حدوث العالم، وأنه لا بد له من محدث، وإقامة البرهان على ذلك، ثم البراهين الدالة على النبوة، وضرورتها. فهذا معنى برهانها عقلي. فالمسلم يؤمن برسوخ لا مجرد تقليد.

٣. مسألة الرؤية: أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم يقولون: أن الرؤية جائزة عقلاً دنيا وأخرى، وواجب الإيمان بها شرعاً. أ. هـ^{٣٤٣} فالجواز العقلي مبني على أن كل موجود يصح أن يرى، وأما الحكم الشرعي فهو أن الدنيا لا يمكن فيها رؤية الله تعالى إلا لمن استثناه الدليل. وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، فقد وقع الخلاف بين الصحابة في ذلك، وأما الأخيرة فيجب الإيمان برؤية الله تعالى بلا كيف. خلافاً للمعتزلة اللذين نفوا الرؤية مطلقاً بدليل العقل، وخلافاً للكاتب ومن نحاه نحو الذين لا يؤمنون بالرؤية إلا إن كانت في جهة.

قال الكاتب: (النقل وحده وهو السمعيات أي المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراف والميزان وهو عندهم " ما لا يحكم العقل باستحالته لكن لو لم يرد به الوحي لم يستطع العقل إدراكه منفرداً). أ. هـ

لا شك أن من مخاطبة الناس بالحشر، وعذاب القبر، وعذاب النار، قبل أن يؤمن بالله وبصدق الرسول صلى الله عليه وسلم قد لا يجدي، ومن لم يؤمن بأن القرآن منزل من الله لا يأتيه الباطل أبداً. فكيف تصنع مع التجريبيين اللذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس وبالتجربة والمشاهدة؟!

لاحل أبداً إلا أن تبدأ معهم بالبراهين العقلية والحقائق البديهية في حدوث العالم، وأنه لا بد له من محدث، وإقامة البرهان على ذلك، ثم البراهين الدالة على النبوة، وضرورتها، ثم البراهين الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم. فإذا صدق بكل ذلك فمن الطبيعي أن يصدق بعذاب القبر وأن الميت يجلس في قبره ويسأل، وأنه في نعيم أو عذاب، ويفتح له في قبره باب إلى الجنة إن كان صالحاً، وهذه الأمور من البعث ونيعم القبر ونحوها لا تستطيع إثباته بالعقل، وإنما بالنقل فقط، فأما أمور غيبية لا تدرك بمجرد التصور. وهذا واضح جداً لكل من له عقل يعي، وتجارب في دعوة الملحدون والوجوديين والتجريبيين هذا كل ما في الأمر.^{٣٤٤}

استشكالات الكاتب في مسألة التكفير:

التكفير عند أهل السنة والجماعة حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعاً ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بشروطه الشرعية. أما الأشاعرة فهم مضطربون اضطراباً كبيراً فتارة يقولون نحن لا نكفر أحداً وتارة يقولون نحن لا نكفر إلا من كفرنا وتارة يكفرون بأمور لا تستوجب أكثر من التفسيق أو التبديع وتارة يكفرون بأمور لا توجب مجرد التفسيق وتارة يكفرون بأمور هي نفسها شرعية ويجب على كل مسلم أن يعتقد بها. فأما قولهم لا نكفر أحداً فباطل قطعاً إذ في المنتسبين إلى الإسلام فضلاً عن غيرهم كفار لاشك في كفرهم، وأما قولهم لا نكفر إلا من كفرنا فباطل كذلك إذ ليس تكفير أحد لنا بمسوخ أن نكفروه إلا إذا كان يستحق ذلك شرعاً. وأما تكفير من لا يستحق سوى التبديع فمثل تبريحهم في أغلب كتبهم بتكفير من قال إن الله جسم لا كالأجسام وهذا ليس بكافر، بل هو ضال مبتدع، لأنه أتى بلفظ لم يرد به الشرع والأشاعرة تستعمل ما هو مثله وشر منه، وأما تكفير من لا يستحق حتى مجرد الفسق أو المعصية فكما مر في الفقرة السابعة من تكفيرهم من قال أن النار علة الإحراق والطعام علة الشبع. وأما التكفير بما هو حق في نفسه يجب اعتقاده فنحو تكفيرهم لمن ثبت علو الله ومن لم يؤمن بالله على طريقة أهل الكلام وكقولهم أن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر وكقولهم أن عبادة الأصنام فرع من مذهب المشبهة ويعنون بهم أهل السنة والجماعة. ومن شواهد تكفير بعضهم قديماً وحديثاً لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وحسبك ما في كتب الكوثري وتلميذه مؤلف براءة الأشعرين.

الجواب:

^{٣٤٣} شرح الجوهرة ٢٦٦

^{٣٤٤} راجع لعظيم الفائدة كتاب كبرى اليقينيان الكونية للشيخ محمد رمضان البوطي وفقه الله.

أما هذه فاعذرني أن أذكركم بالمثل العربي: رمتني بدائها وانسلت. ^{٣٤٥}

قال ابن تيمية: فإنه في آخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمئة جاء أميران رسولين من عند الملأ المجتمعين من الأمراء والقضاة ومن معهم [...] ثم قال [فأخذا الجواب وذها ، فأطالا الغيبة ، ثم رجعا ولم يأتيا بكلام محصل إلا طلب الحضور ، فأغلظت لهم في الجواب ، وقلت لهم بصوت رفيع: يا مبدلين ، يا مرتدين عن الشريعة ، يا زنادقة] ^{٣٤٦} .

وقال ابن تيمية . رحمه الله وغفر له . : [كما يقال الأشعرية مخانيث المعتزلة ، والمعتزلة مخانيث الفلاسفة] . ثم قال: [...] وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود ، لفظته الجهمية الذكور بمرة والأشعرية الإناث بعشر مرات] ^{٣٤٧} . فهل التلُفُظ يمثل هذا مما يليق بعالم من علماء المسلمين!!! .

١. فاتهامك الأشاعرة بالتكفير باطل أيما بطلان ، وتنزيهك للشيخ عن القول بالتكفير باطل وقد تقدم إثبات ذلك.

٢. أن التكفير حكم شرعي مرده وبجته في كتب الفقه في باب الردة فانظره للفائدة ، وليس في المسألة أشعرية ولا ماتريدية ، ولا مجسمة ، ولا رافضة ، إنما بجته عند المذاهب الأربعة على أي معتقد كان الفقيه أو غيرها من المذاهب الفقهية ولكل أنا س مذاهبهم الفرعية .

٣. أن التكفير أصبح يا أخي الفاضل من خصائصكم ولا أريد أن أتكلم أكثر فالحر تكفيه الإشارة .

٤. (وأما تكفير من لا يستحق سوى التبديع فمثل تصريحهم في أغلب كتبهم بتكفير من قال إن الله جسم لا كالأجسام وهذا ليس بكافر ، بل هو ضال مبتدع ، لأنه أتى بلفظ لم يرد به الشرع)

المعتمد أنه مبتدع وراجع باب الردة في الفقه لتبئين . فمن أين أتيت بكونهم يكفرونه في أغلب كتبهم هداك الله !!؟ قال ابن حجر الهيتمي قال الأسنوي : المجسمة ملزمون بالألوان وبالانصال والانفصال ومع أنا لا نكفرهم على المشهور كما دل عليه كلام الشرح والروضة في الشهادات . أ . هـ ^{٣٤٨} (تكفيرهم من قال أن النار علة الإحراق والطعام علة الشبع).

سبق أن بينت معنى العلة فالفلاسفة يعتقدون استقلالية العلة في إيجاد المعلول ، أي أنها تخلقه فهو شرك في الخالقية هداك الله . وقد كفرهم ابن القيم في إغاثة اللفهان وغيره .

(وأما التكفير بما هو حق في نفسه يجب اعتقاده فنحو تكفيرهم لمن ثبت علو الله)

هذا افتراء عليهم فهم لا يكفرون من ثبت صفة العلو لله وإلا لزمهم تكفير أنفسهم ، لكن إن قصدت تكفيرهم للقتال بالحلول في العرش أو الجهة ففيه خلاف بين العلماء وعلماء السلف كفروا الجهمية لأنهم قالوا بالحلول ، وهو نقص في حق الله تعالى رغم أن الحلولية إنما أخذوا بظواهر النصوص في الكتاب والسنة . ورغم ذلك فهم لا يكفرون الجهمية كما تظن

^{٣٤٥} راجع ما كتب بعالية ، عند الكلام عن وصية الإمام الرازي .

^{٣٤٦} التسعينية لابن تيمية: ص ٢ ، ٤ .

^{٣٤٧} المصدر السابق: ٢٧٢ . ٢٧٦ ورد الشيخ صلاح الدين الأدلي .

^{٣٤٨} الإعلام بقواطع الإسلام ص ٢٥ ط دار الكتب العلمية

قال ابن حجر الهيتمي: قال الشيخ: من زعم أن الله يحل في شيء من آحاد الناس أو غيرهم فهو كافر، لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسيم، وأنهم لا يفهمون موجوداً في غير جهة بخلاف الحلول فإنه لا يعم الابتلاء به. أ. هـ ٣٤٩
قال الكاتب: (وكقولهم أن عبادة الأصنام فرع من مذهب المشبهة ويعنون بهم أهل السنة والجماعة).

الجواب: لا يا أخي من قال أنهم يعنون أهل السنة والجماعة؟ أتظنهم يكفرون أنفسهم أو يكفرون الماتردية أو الحنابلة أهل السنة؟! إنما المشبهة من يشبهون الله بالمخلوق، مثل الجواربي والهشامية والكرامية، أما أهل السنة والجماعة فهم الأشاعرة والماتردية وأصحاب الحديث من المفوضة لا المعتزلة ولا المشبهة. وأما كون المشبه يعبد صنماً فقد قالها ابن القيم وهذا مشهور عنه وقال والمعتل يعبد عدماً، ولعله يقصد من يعطل الله عن الصفات لأني لا أظنه يقصد من يعطل الله عن التشبيه، أو من يعطل الله عن الحلول، أو من يعطل الله عن التحيز إلى جهة من الجهات، لأنه لا يقول ذلك رجل من أهل السنة.

٥. الأشاعرة لم يكفروا ابن تيمية بل دافع عنه الأشاعرة ومنهم ابن ناصر الدين الدمشقي صاحب كتاب المورد الصادي في مولد الهادي، وكذلك ذب عنه ابن حجر وغيرهما من الأشاعرة. واعلم يا أخي أن من كفر ابن تيمية^{٣٥٠} فقد كفره بمسائل مستبشرة قال بها فمنها مسألة تسلسل الحوادث، وأن الله محل للحادثات، وقوله أن الصفات تفسر بالمعنى الحقيقي في اللغة فلا تفوض، وتجري على ظاهرها ولا تأول، وقد أخطأ. والإمام ابن تيمية قد تاب عن عقائده هذه ورجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وقد تقدم إثبات توبته رحمه الله تعالى، رغم أنه ما أراد إلى تنزيه الله.

وأما كتبه بوضعها الراهن فلا يعول عليها في الحكم على الرجل لأسباب منها تناقضها فيثبت في موضع وينفي في موضع آخر.

ومنها أنه لم يجمعها بنفسه فإثمها على من يروج للباطل الذي فيها. ومنها أنه تاب عن ما فيها إن ثبت قطعاً عليه. ومنها أنك تجد عشرات الأوراق مفقودة فيقول المحقق: هنا سقط بمقدار كذا وكذا ورقة، أو سطر. فكيف ندري بما قال؟! فنبراً إلى الله من أن ننسب إليه شيئاً من هذه الأوراق التي لا تثبت عنه.

ومن حكم عليه بالكفر فهو رأي هداة الله. ولو كان كافراً لحكم عليه القضاة في عصره بالكفر. وأما تكفير الفلاسفة القائلين بالطبع والعلة وغيرها فقد تقدم الكلام في المسألة. فهم يعنون بالتأثير أي الخلق، وأهل السنة يعتقدون انفراد الله بالخلق وحده بلا شريك ولا معاون.

مجازفات

قال الكاتب: هل بقي شك؟

بعد هذه المخالفات المنهجية في أبواب العقيدة كلها وبعد هذا التميز الفكري الواضح لمذهب الأشاعرة إضافة إلى التميز التاريخي هل بقي شك في خروجهم عن مذهب أهل السنة والجماعة الذي هو مذهب السلف الصالح. لا أظن أي عارف بالمذهبيين ولو من خلال ما سبق هنا يتصور ذلك.

^{٣٤٩} الإعلام بقواطع الإسلام ص ٢٥.

^{٣٥٠} الذي قال بتكفيره هو الإمام العلاء البخاري غفر الله له ولا بن تيمية، وقد رد عليه علماء الأشاعرة، وللفادة فهو ليس أشعري وإنما هو (حنفي).

الجواب : لم يبق شك في أنك تسرعت هناك الله ، وتصورت المسائل على غير ماهي عليه، فنتج عن التصور الفاسد حكم فاسد ، والتقليد الأعمى لا ينفع في مثل هذه المواطن .

قال الكاتب: وكما سيلاحظ القارئ هنا يرجع معظم تناقضهم إلى كونهم لم يسلموا للوحي تسليمًا كاملاً ويعرفوا للعقل منزلته الحقيقية وحدوده الشرعية ولم يلتزموا بالعقل التزاماً واضحاً ويرسموا منهجاً عقلياً متكاملًا كالمتعزلة والفلاسفة ، بل خلطوا وركبوا فتناقضوا واضطربوا.

الجواب: هذه دعاوى باطلة مفادها أن الكاتب يريد أن يكون علماء أهل السنة من الأشاعرة إما حمقى يأخذون النصوص بلا فهم ، وهذا ما يسميه تطفلاً بالتسليم، أو أن يحكموا عقولهم في النصوص تحكيماً فاسداً كما فعلت الفلاسفة والمتعزلة !!.

ولكن الله تفضل على علماء أهل السنة والجماعة من السادة الأشاعرة وغيرهم بأن كانوا وسطاً ، فلم يعطوا عقولهم التي تفضل بها عليهم، ولم يردوا بها النصوص .

أمثلة ظن الكاتب أنها تناقضات

قال الكاتب: وإليك أمثلة سريعة للتناقض ومكابرة العقل :

١ - قالوا : إن الجهة مستحيلة في حق الله ثم قالوا بإثبات الرؤية ، ولهذا قيل فيهم : " من أنكر الجهة وأثبت الرؤية فقد أضحك الناس على عقله "

الجواب: أنتم يا أخي تظنون أن الله مثل المخلوقات ، فكما أن المخلوق لا يمكن أن يرى إلا في حيز وجهة مقابلة ، فكذلك الخالق لا يرى إلا كذلك ، قياساً للخالق على المخلوق .

وأما أهل السنة والجماعة فيؤمنون برؤية الله تعالى بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، فكما أن من خصائص المخلوق أن يكون في مكان وجهة ، فمن خصائص الخالق أنه لا يحل في مكان ولا جهة ، ومع ذلك يراه المؤمنون. فإن قلت كيف يمكن ذلك ؟ قلت لك ما قال السلف : آمنا بذلك بلا كيف وكيف عنه مرفوع . سلمنا لله و نقف عند ذلك لأن ما بعده إلا الضلال؟!.

فائدة: مذهب أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم وسط بين مذهبين :

١. مذهب المعطلة اللذين ينكرون رؤية الله .

٢. ومذهب المشبهة اللذين ينكرون رؤية الله إلا إن كانت في جهة تشبيهاً للخالق بالمخلوق.

وقد تقدم الكلام في كون الدهرية لا يؤمنون بأزلية الله إلا مرتبطة بزمن، فصار كلامهم إلى إثبات أزلي مع الله وهو الزمن ، والجهوية لا يؤمنون بوجود الله إلا إذا كان في جهة . والحلولية لا يؤمنون بوجود الله إلا وهو في كل مكان . وقد أغتر الجميع بظاهر الفهم لآيات وأحاديث ، بينما لها في اللغة والشرع كثير من المعاني ، فتمسكوا بالباطل من المعاني وتركوا المعاني الصحيحة اللائقة بالله.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بوجود الله من قبل أن يخلق الخلق ، وهو لا يتغير ولا يتبدل .

٣ - قالوا : إن لله سبع صفات عقلية يسمونها " معاني " هي " الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام " ولم يكتفوا بهذا التحكم الخفض ، بل قالوا : إن له سبع صفات أخرى يسمونها " معنوية " وهي " كونه حياً وكونه عالماً وكونه قادراً وكونه مريداً وكونه شامعاً وكونه بصيراً وكونه متكلماً " ثم لم يأتوا في التفريق بين المعاني والمعنوية بما يستسيغه عقل بل غاية ما قالوا أن هذه الأخيرة أحوال فإذا سألتهم ما الحال ؟ قالوا : صفة لا معدومة ولا موجودة .

الجواب : أولاً : الصفات السبع هي بعض صفات الله تعالى ، وليست كل ما يجب إثباته لله ، لأن كمالات الله تعالى لا حد لها ، ولكن لعجزنا عن إحصاءها لم يكلفنا الله تعالى بإحصاءها تفصيلاً ، وإنما المطلوب أن نؤمن بما علمنا منها وما لا نعلم ، فمنها من علمه بعض خلقه ومنه من علمه الجميع ومنه ما استأثر بعلمه كما في الحديث في أسماءه جل شأنه . وهذه الصفات السبع قطعية فمن أنكرها فهو ضال . فالله حي وله صفة الحياة قال تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) . ويعلم كل من له عقل أنه لو لم يكن حياً لما كان قادراً ولا متصفاً بالعلم ولا غيره من صفات الذات فهذا دليل عقلي . وهو قادر وله صفة القدرة وهكذا في بقية الصفات ، فليس تحكم محض بل هو إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه من صفات وهو ثابت بالنقل والعقل .

ثانياً : أن معتمد الأشاعرة عند جمهورهم والمحققين منهم عدم إثبات صفات الأحوال . قال الباجوري : المختار عند المحققين أنه لا حال وأن الحال محال .^{٣٥١} وقال واما إنكار المعنوية بمعنى الأحوال فهو الحق .^{٣٥٢}

ثالثاً : من أثبت هذه الأحوال استند إلى كون الموجودات أربعة فمنها: الموجودات : وهي ما يمكن رؤيته لأنه موجود .^{٣٥٣} المعدومات : وهي التي ليس لها ثبوت أصلاً . الأحوال: وهي التي لها ثبوت ولكن لا ترى فهي حالة متوسطة بين ما يرى وبين العدم المحض .^{٣٥٤} هذا معنى قولهم صفة حال . فشغب الكاتب غفر الله له وكأنه يؤلف الكتب لأناس جهلة بالعلوم !! فأين احترام عقول القراء؟! فلم يبين المسائل ويصورها ، ثم إن أراد أن ينقضها فله ذلك ولكن بعد التصوير الحقيقي للمسائل . أنواع الخبر

ينقسم الخبر إلى قسمين متواتر وآحاد:

المتواتر يفيد القطع بصحته . وكون الخبر المتواتر يقيد العلم أي القطع بصحته هو قول أئمة المسلمين وغيرهم .^{٣٥٥} . فائدة : أنكرت الملاحدة والرافضة العلم (اليقين العقلي) وحجتهم اختلاف العقلاء . قال المرداوي الحنبلي وهذا تناقض منهم مع أن العقل حجة الله على خلقه .

٣. للمتواتر شروط بعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه .

فمن المتفق عليه بحسب المخبرين أن يتعدد المخبرون تعدداً يمنع اتفاقهم على الكذب بطريق الاتفاق أو بطريق المواضعة .^{٣٥٦}

خير الآحاد: هو ما لم يصل إلى رتبة التواتر . وأسباب عدم الوصول إلى رتبة التواتر ما يلي:

^{٣٥١} شرح جوهرة التوحيد ١٨٨ .

^{٣٥٢} شرح الجوهرة ١٨٩

^{٣٥٣} طبعاً وجوده في الخارج .

^{٣٥٤} شرح الجوهرة ١٨٨

^{٣٥٥} أنظر التحبير شرح التحرير ١٧٥١ والمستصفي ١/١٣٢

^{٣٥٦} التحبير ١٧٧٨ للمرداوي

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

الأول: أن يكون العدد الراوي للخبر لا يصل إلى العدد المشترك في التواتر وقد أجمع العلماء أنه لا يحصل بأقل من أربعة ثقات يستحيل تواطئهم على الكذب فلا بد أن يكون أكثر ثم وقع الخلاف في العدد المعتبر فوق لأربعة. ٣٥٧

تنبيه: ماورد من حصوله بإثنين هو قول ساقط لا يلتفت إليه هكذا ذكر أهل العلم وهو خلاف الإجماع المحكي في كونه لا يحصل بدون أربعة. ٣٥٨

الثاني: أن يكونوا كثرة كاثرة لكن لم ينتهوا إلى إفادة العلم باستحالة تواطئهم على الكذب.

الثالث: أن يحتل الشرط في شيء من الطبقات.

إذن فلا يقصرون الأحاد على الواحد بل المقصود ما لم يفيد العلم أي القطع بمطابقة الخبر للواقع.

الخلاف في المشهور:

قال الآمدي وابن حمدان وبعض الحنابلة أن المستفيض ويسمى (المشهور) نوع من الأحاد قال البرماوي وهو الأرجح ٣٥٩ والقول الثاني: أنه قسم ثالث غير المتواتر والآحاد.

وحد المشهور: أنه مازاد نقلته عن ثلاثة فلا بد أن يكون أربعة فصاعداً ما لم يصل إلى حد المتواتر. ٣٦٠

وعند المحدثين ثلاثة فأكثر. ٣٦١

هل خبر الأحاد يفيد الظن

فيه أقوال

١. أنه يفيد الظن فقط وهو مذهب الإمام أحمد وأكثر العلماء. ٣٦٢ وهو الصحيح عن الإمام أحمد وأكثر أصحابه وأكثر العلماء من المذاهب الأخرى. نص عليه أحمد في رواية الأثرم.

قال الحارث المحاسبي في كتابه ((فهم السنن)): هو قول أكثر أهل الحديث. ٣٦٣

٢. وقيل يفيد العلم إذا حفت به قرائن كثيرة. لكن قال الماوردي القرائن لا يمكن أن تضبط بعبارة. ٣٦٤

فائدة: بعد أن تقرر أن أكثر العلماء على أن خبر الأحاد لا يفيد القطع أختلفت الحنابلة هل يعمل ٣٦٥ بالأحاد في العقيدة.

الرواية الأولى: أنه لا يعمل به أختارها ابن عقيل والخطابي وغيرهم.

الرواية الثانية أن يعمل به بشرط أن تتلقاه الأمة بالقبول. قالوا ولهذا قال أحمد: قد تلقتها العلماء

٣٥٧ التلخيص ٧٢١/٢٠١ والتحبير ١٧٨٦

٣٥٨ لتحبير ١٧٨٦

٣٥٩ ألفية البرماوي نقلاً عن التحبير ١٨٠٤

٣٦٠ التحبير ١٨٠٦ وشرح الكوكب ٢/٣٤٦

٣٦١ تدريب الراوي ١٧٣/٢

٣٦٢ أنظر العدة ٨٩٨/٣ والتمهيد ٧٨/٣ والمستصفي ١٣٦/١

٣٦٣ توضيح الأفكار ٢٦/١

٣٦٤ أنظر ٨٥/١٦

٣٦٥ العمل شيء والعلم شيء آخر فتنبه لذلك.

بالقبول^{٣٦٦} وقال الإمام ابن قدامة المقدسي - رحمه الله تعالى -: القسم الثاني : أخبار الآحاد ، وهي ماعدا المتواتر ، اختلفت الرواية عن إمامنا في حصول العلم بخبر الواحد ، فروي أنه لا يحصل به ، وهو قول الأكثرين ، والمتأخرين من أصحابنا ، لأننا نعلم ضرورة أننا لا نصدق كل خبر نسمعه ، ولو كان مفيداً للعلم لما صح ورود خبرين متعارضين ، لاستحالة اجتماع الضدين ، ولجاز نسخ القرآن والأخبار المتواترة به ، لكونه بمنزلة العلم في إفادة العلم ، ولوجب الحكم بالشاهد الواحد ولاستوى في ذلك العدل والفاسق كما في التواتر . أ. هـ^{٣٦٧}

قال البرماوي والزركشي : المسألة مبنية على أنه يفيد العلم أم لا يفيد ؟ إن قلنا يفيد العلم عمل به فيها وإلا فلا.^{٣٦٨}
ثمرة الخلاف: ١. الخلاف في تكفير منكره والصحيح أنه لا يكفر لأنه لا يفيد العلم أي لا يفيد القطع به.

٢. إن قلنا يفيد العلم أي القطع قبل وإلا فلا.^{٣٦٩}

إذا علمت ما سبق استفدت جهل من يخرج الأشاعرة ، والماتردية ، والحنابلة المفوضة من أهل السنة والجماعة ، ثم يتبنى عقيدة الكرامية في الجهة ، وحلول الحوادث بذات الله ، وقدم العالم النوعي ، ويظنها عقيدة السلف الصالح فنسأل الله أن يهدينا وإياهم لما يرضيه.

قال الكاتب هده الله : إن الأجوبة كلها بدعية ولكن ماذا نصنع وقد ابتلينا بمن ينكر البدهيات . أيهما الفرقة الناجية ؟

الجواب : أما كونه من البدهيات فهذا كلام من لا يفرق بين البدهي والنظري ، فكيف يحكم اصلاً في مصير أمة بأسرها؟!
تعريف البدهي أو البديهي: هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب .^{٣٧٠}

مثال البدهيات: أن الواحد نصف الاثنين .

كيف يكون أهل السنة والجماعة ثلاثة مسالك؟

قال الكاتب: قد أوضحنا فيما سبق أن أهل السنة والجماعة والأشاعرة فرقتان مختلفتان ،

وهذا يستلزم تحديد أيهما الفرقة الناجية ؟

وما أوضح هذا التحديد وأسهله ، لكن مكابرة بعض الأشاعرة بادعاء أن الأشاعرة وأهل السنة والجماعة كلاهما ناج يجعلانا نبداً بإلقاء سؤال عن الفرقة الناجية :
أي فرقة واحدة أم فرقتان ؟

والجواب : - مع بدايته لكل ذي عقل - مفروغ منه نصاً ، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في روايات كثيرة لحديث افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة : " أنها كلها في النار إلا واحدة " .

وما قال صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا تابعيهم إنما اثنتان ،

الجواب : أولاً : قولكم يا أخي الكريم : (والجواب : - مع بدايته لكل ذي عقل - مفروغ منه نصاً) هو قول غير صحيح لأن الحديث

ليس بنص في المسألة ، بل هو محتمل المعنى ، فقد اختلف العلماء في معنى هذه الأمة التي تفترق على قولين : فمنهم من

^{٣٦٦} أصول ابن مفلح (١٥٣/٢)

^{٣٦٧} روضة الناظر ١/٢٦٠

^{٣٦٨} البحر المحيط ٤/ ٢٦٦ وألفية البرماوي ٣٨ نقلًا عن التحبير

^{٣٦٩} شرح الكوكب المنير ٣٥٣ والبحر المحيط ٢٦٦

^{٣٧٠} التعريفات ٦٣

قال إنها أمة الإجابة وهو قول الجمهور. ومنهم من قال إنها أمة لدعوة أي جميع من بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ذكر الخلاف اللجنة الدائمة بفتواها رقم (٤٢٤٦) فلا تتعجل غفر الله لك. ثانياً: الخطأ ليس في الحديث ولا في كونها فرقة واحدة، ولكن الخطأ هو فهمك للحديث ثم تنزيل ذلك الفهم على الواقع. هداك الله..

فأما الخطأ في فهم الحديث: فهو أنك ظننت أن الاختلاف في المنهج أي في الأسلوب المقرر للعقيدة وكذا الخلاف في ظنيات المسائل العقدية هو علامة تميز الفرقة الناجية من غيرها. والصواب أن المقصود اختلاف في الأمور الاعتقادية القطعية نفسها، لا الظنيات ولا في أسلوب التقرير مادام أن النتائج في القطعيات لا تختلف. وإلا للزم تضليل الصحابة لبعضهم في مسألة عقدية كمسألة رؤية الرسول لربه في ليلة الإسراء والمعراج، فبينهم خلاف في هذه المسألة العقدية لم يُبنى عليه تضليل، لأنه ظني. والاعتقاد: هو الحكم الجازم المطابق للواقع.

وسبق أن علمنا أن الجزم لا يكون إلا بدليل قطعي، وسبق أن بينت ما معنى القطعي والظني، وأنواع الظني. الخطأ الثاني: هو إنزال حكم على الواقع حسب تصورك المسبق، فإذا علمنا أن المقدمة الأولى وهي تصورك للمسألة تصور خاطئ وظنك أنه في طريقة التقرير، ولم تفرق بين المسائل الظنية والقطعية فقد بني عليه حكم خاطئ. والقاعدة تقول (فساد التصور يسبب فساد الحكم). وقول الكاتب: (أن أهل السنة والجماعة والأشاعرة فرقان مختلفتان) الجواب: أنها فرقة واحدة هي (أهل السنة والجماعة) وإنما الحنابلة، والأشاعرة، والماتردية هي مسميات فقط، سواء أسميناها جماعات، أو مذاهب، أو مسالك، ولكن كلها داخلية في كونها فرقة أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، وهذه الثلاث قد تختلف فيما بينها في أمور لا توجب التضليل.

قال الكاتب: (وما قال صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا تابعيهم إنها اثنتان) إذا كانت الفرق ثلاث وسبعين فرقة فقط، ورجعنا إلى تعداد الفرق وجدنا أنها أكثر من ذلك بكثير وهذا يقود إلى أحد أمرين: إما الطعن في ثبوت الحديث وهذا ما ذهب إليه بعضهم. أو أن لذلك توجيه علمي صحيح: و التوجيه هو الصواب. وتوجيه ذلك أن العبرة بالأصول القطعية في العقيدة، وليست العبرة بالمسائل الظنية كمسألة التأويل السائغ والتفويض، وكمسألة اختلاف الصحابة في كون الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه بالعين الباصرة، وكالاختلاف في بعض الصفات المتشابهة هل هي صفة ذات أم صفة فعل؟ وكالاختلاف في صفات التكوين هل هي صفات ذات أم فعل؟ ونحو ذلك.

وأزيد ذلك بياناً وإيضاحاً فأقول: الكرامية مثلاً فرقة واحدة واختلافها على مسميات وهي ستة العابدية والتونية والزينية..... إلخ. لا يعني أنها فرق شتى، وإلا لأصبحت الآف الفرق وليست بثلاث وسبعين، وإنما العبرة بالأصول والقطعيات، و حينما أقول القطعيات أعني بها حسب الاصطلاح العلمي وقد سبق بيانه، وقل هذا في الخواارج على كثرة تعدادها، والمعتزلة بطوائفها وغيرها من الفرق.

ولذا فإن أهل السنة والجماعة هي ثلاثة مسالك : الحنابلة (والبعض يسميهم أصحاب الحديث أو الأثرية ولا مشاحة في الاصطلاح) والأشاعرة والماتريدية ، لأن خلاف أهل السنة هو في مسائل ظنية .
وأما خلافات أهل السنة والجماعة بينهم فلا خير . فإن الخلافات تجري بين العلماء في الظنيات ، ولكن لم يخرج أحد منهم أخاه من أهل السنة والجماعة ، فلم أجد أحداً يقول أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة ، ولم أجد من يقول أن الماتريدية ليسوا من أهل السنة ، ولم أجد من يقول أن مفوضة الحنابلة ليسوا من أهل السنة والجماعة ، إلا رجل متعصب شذ عن القاعدة فالشاذ لا حكم له ، فأما ردودهم على بعضهم في فروع العقيدة ، وهي المسائل الظنية المتعلقة بالأصول الستة ، كمسألة تقرير الصفات وبيانها هل يكون بأسلوب الإثبات مع التنزيه ثم التأويل ، أم بأسلوب الإثبات مع التنزيه ثم التفويض ؟ فكل له دليله وقد سبق سوق الأدلة ، والأمر فيه سعة لمن فقه الخلاف ، فكلهم اتفقوا على الإثبات مع التنزيه ، ثم اختلفوا خلاف اجتهادي هل الصحيح هو التفويض أم التأويل ؟ أو هل الأولى التفويض أم التأويل ؟ . ومن خلافاتهم الاجتهادية : هل الأحاديث الظنية يثبت بها الصفات أم لا ؟
فالجمهور على أن إثبات الصفات أمر قطعي لا يبنى على الظنيات . وبعضهم ذهب إلى إثباتها بالمشهور من الأحاديث دون العزيز .

وذهب البعض إلى إثبات ذلك لكن بخبر الواحد مع عدم الإلزام لمخالفه ، لأن مستنده ظني الثبوت .

النتيجة عند الكاتب أن الأشاعرة ضلال

قال الكاتب: تبين مما تقدم أن الأشاعرة فرقة من الثنتين وسبعين فرقة وأن حكم هذه الفرق الثنتين وسبعين هو :

١ - الضلالة والبدعة .

٢ - الوعيد بالنار وعدم النجاة .

وهذا مثار جدل كبير ولغظ كثير ممن يجهلون مذهب أهل السنة والجماعة في الوعد والوعيد ، إذ ما يكادون يسمعون هذا حتى يرفعون عقيرتهم بأننا ندخل الأشاعرة النار ونحكم عليهم بالخروج من الملة عياداً بالله .

ونحن نقول أنه لا يصح تفسير ألفاظ أو إطلاقات مذهب السلف في الوعد والوعيد إلا من خلال أقوالهم هم وعلى الذين يجهلون أن يستفصلوا قبل أن يتسرعوا بادعاء التكفير . إلى أن قال : والحاصل أن قولنا أن الأشاعرة فرقة ضالة يعني أنها منحرفة عن طريق الحق ومنهج السنة ولا يعني مطلقاً خروجها عن الملة وأهل القبلة أ. هـ

التعليق : قرر الكاتب حسب تصوره السابق عدة أشياء:

١. أن الأشاعرة ليسوا بكفرة كفرأ يخرج من الإسلام . وهذه نعمة فله الحمد على كل حال!!!

٢. أنها من الأثنتين والسبعين فرقة الضالة عن الحق المتوقعة بالنار .

٣. أنه لا يجزم بدخولهم النار فالحكم الوصفي غير العيني .

٤. أن الأشاعرة ضلال عن الحق . وهذا كلامه (والحاصل أن قولنا أن الأشاعرة فرقة ضالة يعني أنها منحرفة عن طريق الحق ومنهج السنة ولا يعني مطلقاً خروجها عن الملة وأهل القبلة)

(ولهذا نجد أن من كفر الجهمية من السلف مثل ابن المبارك ووكيع أخرجه من الثنتين وسبعين فرقة وألحقهم بالسبئية والغرابية وأمثالها . وحتى في المناهج الجامعية نجد أن كليات الدين مثل

كليتي مكة والمدينة حالياً تفصل بين الفرق الخارجة عن الإسلام وبين الفرق الأخرى .) أنتهى كلامه في الدنيا ، وأما الآخرة فلا أدري ما ذا سيقول!!

التعليق: ولا جديد هنا فوق ماقرره سابقاً .

وإذا تقرر هذا تبين أنه لا مبرر لمطالبة الأشاعرة بإدخالهم في أهل السنة والجماعة بدعوى أن هذا يجنبهم تحمة الخروج من أهل القبلة لأن ذلك يعني هدم هذه القاعدة كلها ، إذ لو أدخلناهم لأدخلنا غيرهم حتى لا يبقى من تلك الفرق الثنتين وسبعين فرقة إلا دخلت .
وهذا ليس في أيدينا ولا في يد بشر ، إنما نحن متبعون لا مبتدعون .
أما باب الدخول الحقيقي فمفتوح على مصراعيه ، فمن الذين منعهم أن يرجعوا إلى عقيدة أهل السنة والجماعة التي هي عقيدة القرون الثلاثة والأئمة الأربعة وسائر أئمة الهدى في هذه الأمة المعصومة ؟

الجواب : سبحان الله! ومن الذي أخرجهم من الفرقة الناجية حتى نستجديه إدخالهم؟! قد تبين مما سبق أن الأشاعرة رؤوس أهل السنة والجماعة ، ولكن الكاتب هداه الله قد أبعد النجعة من بداية التأليف والدراسة ، وعشعش في ذهنه كثير من الأخطاء العلمية والمعرفية ، وحصر نفسه في كتب معينة دون أن يعلم الحقائق العلمية ، والتاريخية كما هي ، ومن عرف من هم علماء الأشاعرة ، علم هل مثل هؤلاء الأئمة يجزأ أحد على تضليلهم بدعوى أن فلان قال ذلك؟! وخصوصاً بعد أن تبين لك بالغ الوهم والغلط عند الكاتب وغيره في فهم كثير من المسائل ، والعبرة ليست فيما يقرأ ولكن العبرة بفهمها على ما هي عليه فهماً صحيحاً .

وأخيراً : كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة :

قال الكاتب : ، إن دعوى تقديم توحيد الكلمة على كلمة التوحيد مصادمة للحق من جهة ولنسن الله في الحياة من جهة أخرى .
وأمام القائلين بما خياران لا ثالث لهما :

١- إما أن يلتزموا تعميم هذا الحكم على كل من انتسب للإسلام ، وعليه فلا يجوز أن نثير أو نبحت خلافاً أو نكتب رداً على أي فرقة تدعي الإسلام كالقاديانية والبهائية والدروز والنصيرية والروافض والبهرة والصوفية الخلوية وسائر الطوائف الكافرة ، بل ندعوها جميعاً إلى جمع الصف ووحدة الكلمة لمحاربة الشيوعية والصهيونية وما منها إلا من هو معلن لذلك إن صدقاً وإن كذباً .

الجواب: في هذه الكلمات يصور الكاتب أن الأشاعرة يستجدونه لأن يسميهم أهل سنة وجماعة وهو رد منه على طلب الشيخ الصابوني . وفقه الله . الذي أراد لم شمل الأمة وقبول التقارب مع هؤلاء الغلاة وإن كانوا على باطل لأجل وئد الخلاف ، واتحاد الأمة ضد أعدائها .
والكاتب يتصور أن حفظ لسانه عن تبديع أهل السنة والجماعة من الأشاعرة ، هو كالسكوت عن البهرة والقاديانية الكفرة المجمع على كفرهم فسبحان الله إلى أين وصل الغلو وسوء الفهم؟!.

٢- (وإما أن يقولوا : كلا ، لا يعم هذا الحكم كل المنتسبين للإسلام ، بل لابد من بيان كفر وضلال تلك الفرق وليس في ذلك تفريق ولا تمزيق ، وإنما نريد توحيد صف أهل السنة والأشاعرة أو الفرق التي ليست ضالة ولا منحرفة !!
فنقول لهم حينئذ:

أولاً : قد نقضتم قاعدتكم بأنفسكم ، فلا ترفعوا هذا الشعار إلا مقيداً مشروطاً إن كنتم صادقين ، لكن أخبرونا بأي معيار من معايير العدل تريدون السكوت عن إثارة الخلاف مع هذه وتحكمون بعدم ضلالها ووجوب إثارة مع تلك وتحكمون بضلالتها . أفتأجمل الإباضية وتناخى مع الرافضة مثلاً أم العكس ؟ أو نشنع على الرافضة ونصمت عن الصوفية ؟ أم ماذا ؟ ما هو المعيار ؟ وهل هناك حقاً فرق ضالة فأخبروني ما هو الضلال إذن ؟

وهنا يطالب الكاتب بشروط للسكوت عن الخلافات التي يفتعلها مع الأشاعرة ، ويصور أن الخلافات كلها على نسق واحد ، فخلط بين الخلاف في القطعيات والخلاف في الظنيات .

وخلط بين مسألة التعاون ضد العدو والكافر الأصلي ، وبين السكوت عن الرد العلمي الصحيح لبيان بدعة ونحوها . وأقول: أن الكاتب لم يحسن في شيء من الجانبين فلا عدل في ردوده ولا علم بما يكتب فيه .
ولا سلمنا على وحدة الأمة.

قال الكاتب:

(١) إما أنكم أنتم وحدكم أهل السنة والجماعة ، ولكن تقبلون التوحيد معنا تنازلاً وتفضلاً على ما فينا - بزعمكم - من تشبيه وتجسيم وحشو وكفر وضلال .
(٢) و إما أنكم لستم من أهل السنة والجماعة ولكن تريدون التوحيد معهم طالبين منهم التنازل والتفضل بقبولكم على ما فيكم من بدعة وضلالة .
فإذا حددتم أحد الموقعين أمكن بعد ذلك عرض موضوعكم إما على أصول العقيدة وقواعدها إن اخترتم الأول ، وإما على ضوابط المصلحة وحدودها الشرعية إن أقرتم بالآخر فأمامكم الخيار و
إننا لنفي الانتظار .
أما أن نظل نحن وأنتم مختلفين متصارعين منذ أيام أحمد بن حنبل وابن كلاب ثم أيام البرهماري والأشعري ثم أيام الشريف أبي جعفر وابن القشيري ثم أيام عبدالقادر الجيلاني وأبي الفتوح
الإسفرائيني ثم أيام شيخ الإسلام والسبكي ثم
أيام محمد بن عبدالوهاب ومعاصريه منكم ، ثم أيام المعلمي والكوثري ثم أيام الألباني وأبي غدة وأخيراً إلى الفوزان والصابوني ..
وبعد هذا كله ومعه تقولون أننا وإياكم فرقة واحدة ومنهج واحد فهذا مالا يعقله عقل ولا يصدقه تاريخ .
غير أننا لا بد أن نذكر بحقيقة كبرى هي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : " ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة " وهذا الخبر الصادق لا يمكن معه اختصار الفرق إلى سبعين ولا
إلى سبع فضلاً عن واحدة فالخير إذن كل الخير أن يبحث الإنسان عن الحق ويعتقده ويدعو إليه وإن خالفته الدنيا كلها وأن يجتنب الضلال ويدعو إلى نبذه ولو داهنه أصحابه كلهم ، هذا هو
الذي سار عليه رسل الله وأمر به الله فلا تصادموا سنة الله وتحالفوا منهج رسله والحمد لله رب العالمين .

الجواب : في النفس الأخير للكاتب يوضح الصورة أكثر ، وهي اعتقاده أنه على معتقد الحنابلة . وأقول وبالله التوفيق لعلك
ترى أن الكاتب خلط خطأ شديداً بين الخلافات اليسيرة كالخلاف بين الإمامين أحمد بن حنبل وعبدالله بن كلاب
وقد سبق الكلام عنه وظهر أنها مسألة اجتهادية، والشريف أبي جعفر والقشيري . وهو خلاف بين التفويض والتأويل
وكل له دليله وهي مسألة ظنية سبق الكلام عنها، وكذا خلاف الإمام عبدالقادر الجيلاني و الإسفرائيني .
وبين خلافات في القطعيات كالخلاف بين ابن تيمية وغيره من علماء القرن الثامن كالسبكي ، وقد انتهى بتوبة ابن تيمية
كما في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر . وكانت خلافات في قول ابن تيمية وتلميذه بأزلية العالم النوعي ، ومسألة حلول
الله في الخلاء العدمي ، ومسألة إدعاء أن الله تحل فيه الحوادث ،
فأقول وبالله التوفيق وعليه التكلان :

أولاً : فرق كبير بين عقيدة الحنابلة وعلى رأسهم الإمام أحمد ، وبين عقيدة الأخ الحوالي هداه الله التي أخذها من كتب
تنسب للإمام ابن تيمية رحمه الله .
ثانياً : يلاحظ القارئ الكريم أن هؤلاء الذين جرى بينهم الخلاف يعدون على الأصابع ومن نظر في عدد علماء الحنابلة
والأشاعرة على مر السنين وجدهم الاف مؤلفة .
متى بدأت الفتنة بين الفريقين :

وقد كان أهل الحديث والحنابلة مع الأشعرية والماتريدية يداً واحدة على المبدعة والزنادقة ، وكانوا كالشيء الواحد حتى
حصلت في القرن الخامس الهجري حادثة عرفت بفتنة بغداد تسببت في الفرقة بين الطائفتين ، قال الإمام ابن عساكر في
كتابه تبين كذب المفترى ص ١٦٣ (ولم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على
أصحاب البدع لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات فمن تكلم منهم في الرد على مبتدع فبلسان الأشعرية يتكلم ومن حقق
منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلم فلم يزلوا كذلك حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر القشيري) اهـ .

وقد ذكر هذه الحادثة كثير من أهل التواريخ والسير ومنهم الذهبي في السير وابن رجب في ذيل الطبقات وابن الأثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم ، وانظر مثلاً البداية والنهاية ١١٥/١٢ .

موقف الإمام ابن تيمية من تلك الفتنة والخلاف بين الأشاعرة والحنابلة :

مع أن الإمام ابن تيمية يخالف الأشاعرة في أشياء إلا أن موقفه منهم لم يكن موقف المعادي بل موقف من يؤلف

بين القلوب ويقارب بين وجهات النظر بين الأشعرية والحنبلية حيث قال كما في مجموع الفتاوى ٥٣/٦ : (و الأشعرية

فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم وإنما وقعت

الفرقة بسبب فتنة القشيري) اه وفي مجموع الفتاوى أيضا ١٧/٤ : (قال أبو القاسم بن عساكر : ما زالت الحنابلة

والأشاعرة في قديم الدهر متفقين غير مفتقرين حتى حدثت فتنة ابن القشيري) اه. ٣٧١

من أقوال علماء أهل السنة والجماعة في بيان من هم أهل السنة والجماعة؟

أولاً: أقوال الحنابلة:

قال القاضي أبو يعلى الفراء رحمه الله: وقد أجمع علماء أهل الحديث ، والأشعرية منهم على قبول هذه الأحاديث ، فمنهم من أقرها على ما جاءت وهم أصحاب الحديث ، ومنهم من تأولها وهم الأشعرية وتأويلهم إياها قبول منهم لها ، إذ لو كانت عندهم باطلة لا طرحوها كما اطرحوها سائر الأخبار الباطلة . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أمتي لا تجتمع على خطأ ولا ضلالة " . ٣٧٢

- وقال الإمام عبد الباقي البعلبي الحنبلي في العين والأثر ص ٥٩ : (وللکلام على المقصد الثاني

تقدمة، وهي أن طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة وحنابلة وماتريدية. أ. هـ

- وقال الإمام السفاريني الحنبلي في لوامع الأنوار: أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية وامامهم

أحمد بن حنبل والأشعرية وامامهم أبو الحسن الأشعري والماتريدية وامامهم أبو منصور الماتريدي واما فرق الضلالة فكثيرة جداً. أ. هـ ٣٧٣

- ويقول السفاريني الحنبلي في كتابه الآخر لوائح الأنوار السنية: فالصفات الذاتية المتفق عليها عند

أهل السنة من الأثرية والأشعرية والماتريدية . ٣٧٤ ويقول : وهذا قول عامة أهل السنة والجماعة من أهل

٣٧١ مستفاد من مقال للشيخ عبدالفتاح الياضي نشر بمبتدى الرياحين وغيره .

٣٧٢ ذكر عقيدته بنصها ولده في طبقات الحنابلة عن ترجمته لوالده . وهذا لا يعني أنه لا يقول بتحريم التأويل ، بل هو مجرمه خلافاً

لجمهور أهل السنة ولكنه لا يخرجهم من أهل السنة والجماعة كما فعل الغلاة.

وقال الإمام القدومي الحنبلي: لأن أهل الحديث والأشعرية والماتريدية: فرقة واحدة متفقون في أصول الدين على التوحيد، وتقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة كلهم، وما جرى مجرى ذلك: كعدم وجوب الصلاح والأصلح، وفي إثبات الكسب، وإثبات الشفاعة، وخروج عصاة الموحّدين من النار. ٣٧٦ والخلاف بينهم في مسائل قليلة.

ثانياً من أقوال الأشاعرة :

- قال تاج الدين السبكي: وهذه المذاهب الأربعة والله الحمد والمنة: في العقائد يدّ واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق يُقرُّون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول ويدينون الله برأي شيخ السنة أبي الحسن الأشعري الذي لم يعارضه إلا مبتدع اهـ. ٣٧٧

. وقال أيضاً: وقال أيضاً: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة. والله الحمد. في العقائد يدّ واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة... ٣٧٨

فتوى بعض علماء السعودية منقولة من موقع الشيخ سلمان العودة موقع الإسلام اليوم

وفقه الله العنوان : الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة والجماعة . المحيب : جمع من العلماء التصنيف : الفهرسة/ العقائد

والمذاهب الفكرية/الأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة التاريخ : ٢٩ / ٠٦ / ١٤٢٧ هـ

السؤال :

ما حكم التعامل مع المخالف لعقيدة السلف الصالح كالأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم والتعاون معهم على البر والتقوى والأمور العامة وهل يحرم العمل معهم سواء كانت الإدارة لنا وهم يعملون تحتنا أو العمل تحت إشرافهم؟ وهل هم من الفرق الضالة الاثنتين والسبعين؟ وهل التعامل معهم يعد من باب تولى غير المؤمنين؟.

الجواب :الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فجواباً على ذلك نقول: الأشاعرة والماتريدية قد خالفوا الصواب حين أولوا بعض صفات الله سبحانه. لكنهم من

٣٧٤ ٢٦٠/١

٣٧٥ لوائح الأنوار السنية ١٥/٢

٣٧٦ المنهج الأحمد.

٣٧٧ (معيد النعم ومبيد النقم) ص ٢٥

٣٧٨ معيد النعم ص ٦٢

أهل السنة والجماعة، وليسوا من الفرق الضالة الاثنتين والسبعين إلا من غلا منهم في التعطيل، ووافق الجهمية فحكمه حكم الجهمية. أما سائر الأشاعرة والماتريدية فليسوا كذلك وهم معذورون في اجتهداهم وإن أخطأوا الحق. ويجوز التعامل والتعاون معهم على البر والإحسان والتقوى، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد تتلمذ على كثير من العلماء الأشاعرة، بل قد قاتل تحت راية أمراء المماليك حكام ذلك الزمان وعامتهم أشاعرة، بل كان القائد المجاهد البطل نور الدين زنكي الشهيد، وكذا صلاح الدين الأيوبي من الأشاعرة كما نص عليه الذهبي في سير أعلام النبلاء، وغيرهما كثير من العلماء والقواد والمصلحين، بل إن كثيراً من علماء المسلمين وأئمتهم أشاعرة وماتريدية، كأمثال البيهقي والنووي وابن الصلاح والمزي وابن حجر العسقلاني والعراقي والسخاوي والزيلعي والسيوطي، بل جميع شراح البخاري هم أشاعرة وغيرهم كثير، ومع ذلك استفاد الناس من عملهم، وأقروا لهم بالفضل والإمامة في الدين، مع اعتقاد كونهم معذورين فيما اجتهدوا فيه وأخطأوا، والله يعفو عنهم ويغفر لهم. والخليفة المأمون كان جهمياً معتزلياً وكذلك المعتصم والواثق كانوا جهمية ضالاً. ومع ذلك لم يفت أحد من أئمة الإسلام بعدم جواز الاقتداء بهم في الصلوات والقتال تحت رايتهم في الجهاد، فلم يفت أحد مثلاً بتحريم القتال مع المعتصم يوم عمورية، مع توافر الأئمة في ذلك الزمان كأمثال أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأضرابهم من كبار أئمة القرن الهجري الثالث. ولم نسمع أن أحداً منهم حرم التعامل مع أولئك القوم، أو منع الاقتداء بهم، أو القتال تحت رايتهم. فيجب أن نتأدب بأدب السلف مع المخالف.

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ / عميد كلية القرآن في الجامعة الإسلامية سابقاً

د. محمد بن ناصر السحبياني / المدرس بالمسجد النبوي

د. عبد الله بن محمد الغنيمان / رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

الذي علق على الفتوى قائلاً:

"هذا جواب سديد صحيح ولا يسع المسلمين إلا ذلك، ولم يزل الخلاف يقع في صفوف العلماء، ولم يكن ذلك مسبباً لاختلاف القلوب والتفرق، وقصة الصحابة لما ذهبوا إلى بني قريظة معروفة مشهورة وغيرها، قاله عبد الله بن محمد الغنيمان. تحريراً في ٢٢/٤/١٤٢٧ هـ) انتهت الفتوى .

الفرق بين عقيدة أهل الأثر وعقيدة الكاتب .

الحقيقة أيها الأخوة الكرام أنه هناك فرق شاسع عظيم بين عقيدة الأثرية وعلى رأسهم الإمام أحمد ،وعقيدة الكاتب .

وعلى كل فإليكم الفوارق بينه معتقد أتباع ابن تيمية ومعتقد الحنابلة :

المسألة الأولى :مسألة الجسمية .

الكاتب لا ينفي عن الله كونه جسم سبحانه وتعالى ولا يثبتها خلافاً للسلف ،وذلك تقليداً للإمام ابن تيمية ،فقد جاء في كتاب الإمام ابن تيمية شرح حديث النزول ما نصه^{٣٧٩}: "وأما الشرع فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم أو أن الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع" اهـ. وقال في الموافقة ما نصه : "وكذلك قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (سورة الشورى/ ١١) ، وقوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (سورة مريم/ ٦٥)، ونحو ذلك فإنه لا يدل على نفي الصفات بوجه من الوجوه بل ولا على نفي ما يسميه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه" اهـ. ٣٨٠

وقال في المنهاج ما نصه : "أما ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك فإن هذا اللفظ لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفيًا ولا إثباتًا، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم لا أهل البيت ولا غيرهم " اهـ. ٣٨١ وقال في مجموع الفتاوى ما نصه : "ثم لفظ التجسيم لا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفيًا ولا إثباتًا، فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته " اهـ. ٣٨٢

الجواب: قول من يقول : أن الجسم لا يمتنع إطلاقه على الله باطل بلا ريب لأن ن من يطلقه على الله تعالى فإما أن يطلقه من باب إطلاق الأسماء أو الصفات .:

١. فأما اطلاق مسمى الجسم على الله سبحانه وتعالى فباطل لأنه لم يرد في النصوص الشرعية وهو توقيفي ، ولذلك فلا يجوز التوقف في رده ، بل الواجب أن يرد رأساً.

٢. وأما اطلاقه من باب اطلاق الصفة على الموصوف فباطل أيضاً لأنه لم يرد وصف الله تعالى بذلك وكل معنى له في لغة العرب لا يجوز أن يوصف الله بذلك المعنى .ولا من باب الإخبار لأنه خبر كاذب .

فنتج مما سبق أن قول القائل أن نفي الجسم عن الله بدعة هو تقرير باطل لأن امتناع اطلاقه على الله تعالى له أسباب قطعية وهي :

^{٣٧٩} شرح حديث النزول ص ٨٠

^{٣٨٠} ٦٢/١

^{٣٨١} ١٩٧/١

^{٣٨٢} مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٢

١. عدم وروده في نصوص الكتاب والسنة، ولذا فيحرم إطلاقه على الله تعالى .

٢. أن من يرد على الأشاعرة رحمهم الله تعالى لابد أن يعلم معنى الجسمية عندهم، فلها عندهم معنى

اصطلحوا عليه هو الذي ينفونه عن الله، فلا وجه للإنكار على أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم لنفيهم الجسمية لأن هذا هو الواجب قطعاً.

٣. أن كل معاني الجسم في اللغة العربية لا يجوز إطلاقها على الله تعالى .

أما مذهب أهل السنة والجماعة ومنهم الأثرية فهو مايلي:

١. ما نقله أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد عن الإمام أحمد قال: "وأنكر أحمد على من يقول بالجسم"^{٣٨٣} وقال:

إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض، وسمك، وتركيب،

وصورة، وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجوز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجيء في

الشريعة ذلك فبطل "أه"، ونقله الحافظ البيهقي عنه في مناقب الإمام أحمد وغيره.^{٣٨٤}

وقال الإمام ابن حمدان الحنبلي وهو يقرر عقيدة الحنابلة (ومن شبه الله بخلقه فقد كفر نص عليه الإمام أحمد وكذا من

جسم أو قال إنه جسم لا كالأجسام . ذكره القاضي أبو يعلى.^{٣٨٥}

وهذا الذي صرح به أحمد من تنزيهه الله عن هذه الأشياء الستة، هو ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة

الموافقون لأحمد وغيره من السلف في أصول المعتقد.

وقال الإمام الأشعري في كتاب النوادر: "من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه، وأنه كافر به" اهـ.

وقال القاضي أبو يعلى: وكل ما يقع في الخواطر من حد أو تشبيه أو تكييف: فالله سبحانه وتعالى عن ذلك والله ليس

كمثله شيء ولا يوصف بصفات المخلوقين الدالة على حدثهم ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال

ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وأنه لم يزل ولا يزال وأنه الذي لا يتصور في الأوهام وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.^{٣٨٦}

وقال ابن أبي يعلى: فأما الرد على المجسمة لله: فيرده الوالد السعيد بكتاب وذكره أيضاً في أثناء كتبه فقال: لا يجوز أن

يسمى الله جسمًا .

قال أحمد: لا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه .

قال الوالد السعيد: فمن اعتقد أن الله سبحانه جسم من الأجسام وأعطاه حقيقة الجسم من التأليف والانتقال: فهو كافر

^{٣٨٣} هذه الجملة (وأنكر أحمد على من يقول بالجسم) لم تكتب في المطبوع رغم وجودها في المخطوط (ص ٨٠٧)

^{٣٨٤} اعتقاد الإمام أحمد ص ٤٧

^{٣٨٥} نهاية المبتدئين في أصول الدين ص ٣١

^{٣٨٦} ضمن ترجمة القاضي في طبقات ولده (طبقات الحنابلة).

لأنه غير عارف بالله عز وجل لأن الله سبحانه يستحيل وصفه بهذه الصفات وإذا لم يعرف الله سبحانه: وجب أن يكون كافراً .

وهذا الكتاب عدة أوراق . أنهى كلامه من ترجمته لوالده القاضي رحمهما الله تعالى .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني الأشعري وهو يرد على المجسمة ما نصه: "فإن قالوا: ولم أنكرتم أن يكون البارئ سبحانه

جسمًا لا كالأجسام كما أنه عندكم شيء لا كالأشياء؟ قيل لهم: لأن قولنا: "شيء" لم يبين جنس دون جنس، ولا

لإفادة التأليف، فجاز وجود شيء ليس بجنس من أجناس الحوادث ، وليس بمؤلف، ولم يكن ذلك نقضًا لمعنى تسميته

بأنه شيء، وقولنا: "جسم" موضوع في اللغة للمؤلف دون ما ليس بمؤلف، كما أن قولنا: "إنسان" و"محدث" اسم لما

وجد عن عدم ولما له هذه الصورة دون غيرها، فكما لم يجوز أن نثبت القديم سبحانه محدثًا لا كالحداثات وإنسانًا لا

كالناس قياسًا على أنه شيء لا كالأشياء لم يجوز أن نثبت جسمًا لا كالأجسام ، لأنه نقض لمعنى الكلام ، وإخراج له عن

موضوعه^{٣٨٧} ، وفائدته. فإن قالوا: فما أنكرتم من جواز تسميته جسمًا وإن لم يكن بحقيقة ما وُضِعَ له هذا الاسم في اللغة؟

قيل لهم: أنكرنا ذلك لأن هذه التسمية لو ثبتت لم تثبت له إلا شرعًا لأن العقل لا يقتضيها إذ لم يكن القديم سبحانه

مؤلفًا، وليس في شيء من دلائل السمع من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وما يُستخرج من ذلك ما يدل على وجوب

هذه التسمية ولا على جوازها أيضًا فبطل ما قلموه" اهـ. ٣٨٨

وقال الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ما نصه: قال: "قال الإمام أبو سعيد المتولي في كتاب غنية

المقبول في علم الأصول: إن قالوا نحن نريد بقولنا جسم أنه موجود ولا نريد التأليف، قلنا: هذه التسمية في اللغة ليس كما

ذكرتم وهي مُنبئة عن المستحيل فلما أطلقتم ذلك من غير ورود سمع^{٣٨٩}؟!، وما الفصل بينكم وبين من يسميه جسمًا

ويريد به الوجود وإن كان يخالف مقتضى اللغة. قال أبو سعيد رحمه الله: فإن قيل أليس يسمى نفسًا؟ قلنا: اتبعنا فيه

السمع وهو قوله سبحانه: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) (سورة المائدة/١١٦)، ولم يرد السمع بالجسم أ. .

هـ. ٣٩٠

المسألة الثانية: قول ابن تيمية بقيام الحوادث بذات الله تعالى قال ما نصه: "ومن قال: إن الخلق حادث كالهشامية

والكرامية قال: نحن نقول بقيام الحوادث به، ولا دليل على بطلان ذلك، بل العقل والنقل والكتاب والسنة وإجماع السلف

يدل على تحقيق ذلك،^{٣٩١} كما قد بسط في موضعه. ولا يمكن القول بأن الله يدير هذا العالم إلا بذلك، كما اعترف

^{٣٨٧} معنى موضوعه : أي ما تواضعوا عليه في اللغة والاصطلاح .

^{٣٨٨} (١٢) تمهيد الأوائل (ص/ ٢٢٢).

^{٣٨٩} أي على غير ورود به في الكتاب والسنة .

١٩٠ نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص/ ٥٤٤)، مخطوط

^{٣٩١} لا العقل ولا النقل يؤيد ما ذهب إليه فضلاً عن إجماع السلف وسأنتقل من كلام العلماء ما يبطل ذلك.

- مصر - الأحد ٢٩/رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ - ٢٢/١٠/٢٠٠٦ م

بذلك أقرب الفلاسفة إلى الحق كأبي البركات صاحب "المعتبر" وغيره" اهـ. ٣٩٢. ٣٩٣

و قال أيضاً : "وأما إذا قيل: قال "كن" وقبل "كن" "كن"، وقبل "كن" "كن"، فهذا ليس بممتنع، فإن هذا تسلسل في آحاد التأثير لا في جنسه، كما أنه في المستقبل يقول "كن" بعد "كن"، ويخلق شيئاً بعد شيء إلى غير نهاية" اهـ. ٣٩٤

وقال في المنهاج ما نصه : (فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع العقل" اهـ. ٣٩٥

وقال أيضاً ما نصه : "وأما قولهم: وجود ما لا يتناهى من الحوادث محال، فهذا بناء على دليلهم الذي استدلوا به على حدوث العالم وحدوث الأجسام، وهو أنها لا تخلو من الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو

حادث، وهذا الدليل باطل عقلاً وشرعاً" اهـ. ٣٩٦!!

تعليق : ومن هنا يتضح قول الحافظ تقي الدين السبكي وغيره كما أنه - أي ابن تيمية - جعل الحادث قديماً والقديم حادثاً، ولم يوافق في قوله هذا أحداً من أئمة الحديث إلا المجسمة.

ومن أدلة علماء أهل السنة وغيرهم في ذلك هو حجة إبراهيم المذكورة في القرآن من احتجاجه بقيام الحوادث بالقمر والكوكب والشمس على عدم ألوهيتهم، وبقيام دلائل الحدوث بهم وهو التحول من حال إلى حال. فقال تعالى ((فلما أفل قال لأحب الأفلين))

ومن الأدلة: الإجماع نقله البيهقي البيهقي في الأسماء والصفات ص ١٣١ على أن صفات الله أزلية غير حادثة. قال ابن عباس: يعلم ما أسر ابن آدم في نفسه، وما خفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فالله يعلم ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد. أ. هـ. ٣٩٧

عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، ثقفان وقرشي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم. قال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر يسمع إذا جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا

^{٣٩٢} مجموعة تفسير من ست سور (ص/٣٠٩).

^{٣٩٣} ولعلها من المسائل التي تاب عنها رحمه الله تعالى.

^{٣٩٤} مجموعة تفسير (ص/٣١٣ - ٣١٤)

^{٣٩٥} منهاج السنة (١/ ٢٢٤)

^{٣٩٦} مجموع فتاوى (٦/ ٢٩٩).

^{٣٩٧} الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٤٤ وفيه نقول كثيرة عن السلف فيراجع.

فإنه يسمع إذا أخفينا . قال ابن مسعود: فانزل الله ((وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون)) رواه البخاري في الصحيح. ٣٩٨

وقارن بين هذا وبين ما قاله ابن تيمية غفر الله له قال : وثم طائفة كثيرة تقول : ((أنه تقوم به الحوادث

وتزول ...)) اهـ ٣٩٩

أقوال الحنابلة في المسألة:

١. مما يطل قول ابن تيمية بقيام كلام حادث الأفراد، أزلي النوع ، وإرادة حادثة الأفراد ، قديمة النوع في ذات الله، ما قاله أبو الفضل التميمي في كتابه اعتقاد الإمام أحمد : " وذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه إلى أن الله عز وجل يغضب ويرضى وأن له غضباً ورضاً، وقرأ أحمد قوله عز وجل: (وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (سورة طه/٨١)، وأضاف الغضب إلى نفسه وقال عز وجل : (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) (سورة الزخرف/٥٥) الآية، قال ابن عباس: يعني أغضبونا. وقوله أيضاً: (فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ) (سورة النساء/٩٣) الآية، ومثل ذلك في القرآن كثير، والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه لم يزل الله تعالى غاضباً على ما سبق في علمه أنه يكون مما يغضبه ولم يزل راضياً على ما سبق في العلم أنه يكون مما يرضيه، وأنكر أصحابه على من يقول إن الرضا والغضب مخلوقان، قالوا فمن قال ذلك لزمه أن غضب الله عز وجل على الكافرين يفنى، وكذلك رضاه على الأنبياء والمؤمنين حتى لا يكون راضياً على أوليائه ولا ساخطاً على أعدائه، ويسمى ما كان عن الصفة باسم الصفة مجازاً في بعض الأشياء، و يسمى عذاب الله تعالى وعقابه غضباً وسخطاً لأنهما عن الغضب كانا، وقد أجمع المسلمون لا يتناكرون أنهم إذا رأوا الزلازل والأمطار العظيمة أنهم يقولون هذه قدرة الله تعالى، والمعنى أنها عن قدرة كانت، وقد يقول الإنسان في دعائه: اللهم اغفر لنا عِلْمَكَ فينا وإنما يريد معلومك الذي علمته، فسموا المعلوم باسم العلم، وكذلك سموا المرتضى باسم الرضى، وسموا المغضوب باسم الغضب" أ. هـ. ٤٠٠

فما أعظم هذه الفائدة، ففيها رد لما يحتج به من يدعون اتباع السلف لحديث صفات الله تعالى بحديث الشفاعة المشهور أن آدم وغيره يقول: "إن الله غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله"، فزعم هؤلاء أن الله يحدث له في ذلك الوقت صفة حادثة في ذاته سبحانه وتعالى عن ذلك فأسماء الله وصفاته وذاته غير حادثة .

٢. قال الإمام التميمي أن الإمام أحمد سئل هل الموصوف القديم وصفته قديمان ؟

٣٩٨ الأسماء والصفات ٢٠٦

٣٩٩ الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ / ص ١١٧

٤٠٠ اعتقاد الإمام أحمد ص ٤٦

فقال: هذا سؤال خطأ لا يجوز أن ينفرد الله عن صفاته. ومعنى مقاله من ذلك: أن المحدث محدث على جميع صفاته من غير تفصيل، وكذلك القديم تعالى قديماً بجميع صفاته. أ. هـ ٤٠١

٣. وقال الإمام عبد الباقي الحنبلي: وبأنه تعالى قائل ومتكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث بلا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تكييف. ٤٠٢

٤. جاء في عقيدة الحنابلة لابن حمدان الحنبلي: والله تعالى قائل ومتكلم تكلم ويتكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث لا يشبه كلام الناس لم يزل أمراً ونهياً وخبراً على ماهو عليه. ٤٠٣ وهذا يخالف عقيدة من يقول أن كلام الله قديم النوع حادث الأفراد. فهو غير محدث ولا حادث لأنه صفة والقول فيها كالقول في الذات خلافاً للمعتزلة والكرامية القائلين بحدوثها وقلدهم ابن تيمية في كتاباته.

وبهذا يتبين أن أقوال ابن تيمية في أن الحوادث تقوم بالله قول باطل، وأن الحق أن الله بصفاته قديم أزلي غير حادث. ولم يقل بقول ابن تيمية إلا الكرامية، وقد ذكر ابن التلمساني شيئاً من معتقدهم الفاسدة التي تبناها أتباع أقوالهم في هذا الزمان، فقال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرح لمع الأدلة للجويني ما نصه: "وخالف إجماع الأمة طائفة نبغوا من سجستان لقبوا بالكرامية نسبة إلى محمد بن كرام، وزعموا أن الحوادث تطرأ يعني تتجدد على ذات الله، تعالى عن قولهم، وهذا المذهب نظير مذهب المجوس. ووجه مضاهاته لمذهب المجوس أن طائفة منهم تقول بقدم النور وحدوث الظلمة، وأن سبب حدوثها أن يزْدان فُكْرَ فكرة فَحَدَثَ منها شخص من أشخاص الظلمة فأبعده وأقصاه وهو هُرمز، وجميع الشر ينسب إليه. وكذلك الكرامية تزعم أن الله تعالى إذا أراد إحداث محدث أوجد في ذاته كافاً ونوناً وإرادة حادثة، وعن ذلك تصدر سائر المخلوقات المبينة لذاته " اهـ. ٤٠٤

وقال الإمام أبو المظفر الإسفراييني ما نصه: "وما ابتدعه - أي الكرامية - من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم: بأن معبودهم محل الحوادث تحدث في ذاته أقواله، وإرادته، وإدراكه للمسموعات والمبصرات، وسموا ذلك سمعاً وتبصراً، وكذلك قالوا: تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش، زعموا

٤٠١ اعتقاد الإمام أحمد ص ٤٩

٤٠٢ العين والأثر في عقائد أهل الأثر. صفة الكلام.

٤٠٣ نهاية المبتدئين ٢٦

٢٧٩ شرح لمع الأدلة (ص / ٨٠-٨١) مخطوط.

أن هذه أعراض تحدث في ذاته، تعالى الله عن قولهم " اهـ. ٤٠٥

فتبين مما أوردناه أن ابن تيمية غفر الله له ليس له سلف في ذلك من أهل السنة وإنما هذه أقوال الكرامية .
وقد أجاب الإمام الحجة الإسفراييني في دحض هذه الفرية بقوله : " هو أن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته لأن ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدثاً مثلها، ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام (لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ) (سورة الأنعام/٧٦)، بيّن به أن من حلّ به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدثاً لا يصح أن يكون إلهاً" اهـ. ٤٠٦

فيكون بهذا ما توسع به ابن تيمية في كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى، وحلولها فيه، خارجاً عن معتقد أهل السنة والجماعة، أهل الحق. غفر الله لنا وله.

المسألة الثالثة : الرد على ابن تيمية في قوله أن نوع العالم أزلي أولاً : راجع لفهم تفاصيل المسألة والتوسع فيها رد الإمام الأخميمي .
رحمه الله - على ابن تيمية بتحقيق نفيس للشيخ سعيد الفودة للتوسع وبراءة الذمة ، وهو موجود في مكنتات العالم الإسلامي ، بل وموجود على شبكة النت في موقع الإمام فخر الدين الرازي.

ثانياً : قول ابن تيمية بحدوث لا أول لها لم تزل مع الله ، أي أن كل فرد من أفراد الحوادث بعينه حادث مخلوق، وأما نوع الحوادث فهو أزلي . ٤٠٧

وهذه المسألة من أبشع المسائل الاعتقادية المنسوبة إلى الإمام تقي الدين ابن تيمية ، خالف بها أدلة العقل ، وصريح النقل ، وإجماع المسلمين، ذكر هذه العقيدة في سبعة من كتبه: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ومنهاج السنة النبوية، وكتاب شرح حديث النزول، وكتاب شرح حديث عمران بن حصين، وكتاب نقد مراتب الإجماع^{٤٠٨}، ومجموعة تفسير من ست سور، وكتابه الفتاوى، وكل هذه الكتب مطبوعة.

أمّا عبارته في الموافقة فهي ما نصّه: "وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثاً

بل قديماً، ويفرقون بين حدوث النوع وحدث الفرد من أفرادها ، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع

^{٤٠٥} التبصير في الدين ٦٧٠٦٦

^{٤٠٦} التبصير في الدين ٩٨٠٩٧

^{٤٠٧} رأيت منافحات عن هذه المسألة من بعض المتعصبين للإمام ابن تيمية من طلاب وطالبات العلم، ورأيت في كلامهم طرح عاطفي غير علمي وتشجيع لهذه المقالة الباطلة . كل ذلك للتعصب فقط وكأنهم تناسوا أن الأمر دين غفر الله لهم. وبعضهم كان هم أن يفرق بين قول الفلاسفة بقديم العالم وقول ابن تيمية بقديم النوع ولا شك في الفرق . ولا شك أيضاً أن كلا القولين بدعة عقديّة فاسدة من تبنّاها أو رضي بها وسلم على إسلامه فهذه نعمة، أما خروجها عن عقيدة أهل السنة والسلف فلا شك فيه. ولذا أنتقدها الألباني وغيره على ابن تيمية.

^{٤٠٨} المطبوع مع مراتب الإجماع ص ٣٠٤ . ط دار ابن حزم.

وقال في موضع آخر في ردّ قاعدة ما لا يخلو من الحادث حادث لأنه لو لم يكن كذلك لكان الحادث

أزليًا بعدما نقل عن الأبهري أنه قال: قلنا لا نسلم وإنما يلزم ذلك لو كان شيء من الحركات بعينها

لازمًا للجسم، وليس كذلك بل قبل كل حركة حركة لا إلى أول، ما نصه: "قلت هذا من نخط الذي قبله فإن الأزلي

اللازم هو نوع الحادث لا عين الحادث، قوله لو كانت حادثة في الأزل لكان الحادث اليومي موقوفًا على انقضاء ما لا

نهاية له، قلنا: لا نسلم بل يكون الحادث اليومي مسبوقًا بحوادث لا أول لها" . ١ هـ . ٤١٠

ويقول فيها أيضًا ما نصه: "فمن أين في القراءان ما يدل دلالة ظاهرة على أن كل متحرك محدث أو ممكن، وأن الحركة

لا تقوم إلا بحادث أو ممكن، وأن ما قامت به الحوادث لم يخل منها، وأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وأين في

القراءان امتناع حوادث لا أول لها" . ١ هـ . ٤١١ فهذا من عجائب ابن تيمية الدالة على قوله بقدم العالم . القدم النوعي . مع

حدوث كل فرد معين من أفراد العالم. وقال في موضع آخر ما نصه: "وحينئذ فيمتنع كون شيء من العالم أزليًا وإن جاز

أن يكون نوع الحوادث دائمًا لم يزل، فإن الأزل ليس هو عبارة عن شيء محدد، بل ما من وقت يقدر إلا وقبله وقت آ

خر، فلا يلزم من دوام النوع قدم شيء بعينه ٤١٢ . ١ هـ . ٤١٣

أقوال الحنابلة في المسألة :

١. قال القاضي أبو يعلى الحنبلي في "المعتمد": والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافًا للملحدة. أ. هـ

٤٠٩ ٢ / ٧٥ .

٤١٠ أنظر الموافقة (١ / ٢٤٥).

٤١١ أنظر الموافقة (١ / ٦٤).

٤١٢ أنظر المنهاج (١ / ١٠٩).

٤١٣ وقال في موضع آخر من المنهاج ١ / ٢٢٤ . ما نصه: "ومنهم من يقول بمشيئته وقدرته - أي أن فعل الله بمشيئته وقدرته - شيئًا

فشيئًا، لكنه لم يزل متصفاً به فهو حادث الأحاد قديم النوع كما يقول ذلك من يقوله من أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب

الشافعي وأحمد وسائر الطوائف أ. هـ. فانظروا كيف نسب هذه المقولة على أئمة الحديث، وهذا شيء انفرد به ووافق به متأخري

الفلاسفة وهذا لا يروج حتى

وقد ردّ ابن تيمية على ابن حزم في نقد مراتب الإجماع ص/ ١٦٨ .

لنقله الإجماع على أن الله لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، وأن المخالف بذلك كافر باتفاق المسلمين، فقال ابن تيمية بعد كلام ما

نصه: "وأعجب من ذلك حكايته الإجماع على كفر من نازع أنه سبحانه لم يزل وحده ولا شيء غيره معه" . ١ هـ . وعبارته هذه صريحة في

اعتقاده أن جنس العالم أزلي مع الله .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٢١) ما نصه: "قال شيخنا- يعني العراقي- في شرح الترمذي: الصحيح في تكفير منكر الإجماع تقييده بإنكار ما يعلم وجوبه من الدين بالضرورة كالصلوات الخمس، ومنهم من عبر بإنكار ما علم وجوبه بالتواتر، ومنه القول بحدوث العالم، وقد حكى القاضي عياض وغيره الإجماع على تكفير من يقول بقدم العالم، وقال ابن دقيق العيد: وقع هنا من يدعي الحذف في المعقولات ويميل إلى الفلسفة فظن أن المخالف في حدوث العالم لا يكفر لأنه من قبيل مخالفة الإجماع، وتمسك بقولنا: إن منكر الإجماع لا يكفر على الإطلاق حتى يثبت النقل بذلك متواتراً عن صاحب الشرع، قال: وهو تمسك ساقط إما عن عمى في البصيرة أو تعام، لأن حدوث العالم من قبيل ما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل" اهـ. ١٥ وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث، فإذا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين بل وكل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفة الإجماع القطعي" اهـ. ١٦

فقول ابن تيمية رحمه الله تعالى بأزلية نوع العالم مخالف للقرآن والحديث الصريح وإجماع الأمة وقضية العقل.

أمّا القرآن فقوله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ) (سورة الحديد/٣)، فليس معنى هو الأول إلا أنه هو الأزلي الذي لا أزلي سواه أي أن الأوليّة المطلقة لله فقط لا تكون لغيره .

وأما الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري في كتاب بدء الخلق وغيره: "كان الله ولم يكن شيء غيره" الذي توافقه الرواية الأخرى رواية أبي معاوية: (كان الله قبل كل شيء) ، ورواية: (كان الله ولم يكن معه شيء). ولا يجوز ترجيح رواية: (كان الله ولم يكن شيء قبله" على رواية: "كان الله ولم يكن شيء غيره" لأن ظاهر رواية: "كان الله ولم يكن شيء قبله" يوافق ما يدعيه أصحاب القدم النوعي للمخلوقات ، كما أشار لذلك الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عند ذكر حديث: "كان الله ولم يكن شيء قبله" فقال :- فيما حاول الإمام ابن تيمية من ترجيح هذه الرواية على تلك الرواية توصلاً إلى إثبات حوادث لا أول لها- ما نصه: "وهذه من أشنع المسائل المنسوبة له" - يعني ابن تيمية- . اهـ. وكذلك رواية مسلم : "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء" ترد إلى رواية البخاري: "كان الله ولم يكن شيء غيره" فإن لم ترد ورجحت رواية مسلم كان ذلك رجوعاً إلى قول الفلاسفة وإلغاء لرواية البخاري.

مغالطة الشيخ الموجان :يقول الشيخ الموجان: فإن كلامه (ابن دقيق العيد) حول مسألة حدوث العالم أو قدم العالم ومسألتنا على قدم أفعال الرب تعالى . فحرف المسألة أن الحوادث إما أن يراد بها فعل الرب فلا أول لها ، أو أنها المخلوقات

٤١٤ نهاية المبتدئين ص ٤٠

٤١٥ فتح الباري (١٢ / ٢٥٢).

٤١٦ إتحاف السادة المتقين (٢ / ٩٤)

فهذه لها أول من حيث أفرادها وآحادها، لأنها مسبقة بعدم، أما من حيث جنسها ونوعها فهي قديمة لتعلقها بأفعال الرب تعالى. أ. هـ ١٧ هذا هو معتقد الموجان بحروفه من كتابه. هداه الله. والقارىء يعلم أن الموجان بهذا الكلام وقع في عقيدة القدم النوعي تعصباً.

والجواب: ١. قدم أفعال الرب: لا بد أن يفهم الكاتب الفرق بين قدم صفات التكوين أو ما تسمى بالأفعال وبين قدم الأفعال نفسها بنوعها أو فردها. فقدم الصفة كصفة الخلق ومعناها أن الله متصف بكونه يستطيع أن يخلق فهذا لا نزاع فيه وإن كان الأشاعرة يردونه إلى القدرة، والماتردية إلى صفة التكوين وعلماء الحنفية من بلاد ما وراء النهر يردونه إلى كل صفة منها باستقلالها كصفة الخلق والرزق والإحياء والأمانة فالنزاع في ذلك لا يترتب عليه شيء كما بين ابن الهمام وابن أبي شريف في كتاب المسامرة شرح المسامرة. وأما الفعل: فهو إيجاد المخلوقات من العدم إلى الوجود عملياً. وأنا مضطر لهذا الأسلوب في التعليم ليفهم الجميع فهذا أيضاً موطن إجماع كما قال ابن حزم في مراتب الإجماع قال ابن حزم: اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له، خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء معه، ثم خلق الأشياء. أنهى فهذا الموطن هو الذي اعترض فيه ابن تيمية على ابن حزم وادعى القدم النوعي للمخلوقات، لا للصفات. ٢. قولك يا أخي: ((المخلوقات فهذه لها أول من حيث أفرادها وآحادها، لأنها مسبقة بعدم، أما من حيث جنسها ونوعها فهي قديمة لتعلقها بأفعال الرب تعالى)). هنا المصيبة التي تخالف النقول والعقول والإجماع. فتأمل في قولك: المخلوقات.. من حيث جنسها ونوعها فهي قديمة. فهذا القول شرك بالله في الأزلية، وإن كان القائل به قد يكون جاهلاً، فراجع نفسك ودع التعصب غفر الله لنا ولك. فحتى لا أحسن الظن. وإن كان خلاف القطعي من ظاهر كلامك. فلنرفض أنك تقصد الصفات لا الأفعال فلا يقال أن المخلوقات من حيث نوعها قديمة لتعلق الصفة بها لأن قدم الصفة شيء ووجود أثرها شيء آخر، فلو لم يخلق الله مخلوقاً قط لم يسلبه ذلك صفة الخالق لأن صفات الله متعلقة بذاته لا مكتسبة من مخلوقاته. وهو صريح الآيات، والأحاديث، والإجماع وهو صريح قول الطحاوي في العقيدة الطحاوية: (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق).

تنبيه: رأى ابن تيمية قول ابن حزم [وأن الله تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه] فعلق ابن تيمية قائلاً: [هذه العبارة ليست في كتاب الله، ولا تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ... ولا نعرف هذه العبارة عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين] ١٨

الجواب: قد قال الرسول صلى الله عليه وسلم [كان الله ولم يكن شيء غيره]؟! ١٩. ومعناها منقول عن عدد من أئمة المسلمين منهم يزيد بن هارون. شيخ الإمام أحمد. والإمام أحمد، وابن جرير الطبري، والطحاوي في الطحاوية، وابن حبان، والبيهقي، والقاضي الفراء، وغيرهم، وجاء معناها في الاعتقاد القادري الذي كتب للخليفة العباسي القادر بالله!!! فكيف غفل ابن تيمية عن هذا؟! وابن تيمية ينقل في معرض الثناء والإقرار قول عمرو بن عثمان المكي رحمه الله:

١٧ الرد الشامل ص ٨٥

١٨ نقد مراتب الإجماع المطبوع بنهاية مراتب الإجماع ص ٣٠٤

١٩ صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده.

[الله تعالى واحد لا كالأحاد ، ... خلصت له الأسماء السنية ، فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق ، ... فكان هادياً سيهدي ، وخالقاً سيخلق ، ورازقاً سيرزق ، وفاعلاً سيفعل] ^{٤٢٠} .

أخيراً : فليعلم الجميع أن المسألة قطعية لا اجتهادية ، ولا يجوز المداهنات في هذا ، والواجب هو النصح والبيان فالدين النصيحة .

قال ملا علي القاري في شرح الفقه أكبر ما نصه: "ثم اعلم أن المراد بأهل القبلة الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الدين، كحدوث العالم وحشر الأجساد، وعلم الله بالكليات ،والجزئيات ،وما أشبه ذلك من المسائل، فمن واطب طول عمره على الطاعات ،والعبادات ،مع اعتقاد قدم العالم، أو نفي الشر، أو نفي علمه سبحانه بالجزئيات لا يكون من أهل القبلة" اهـ. ^{٤٢١}

وأخيراً فالمسائل المختلف فيها أكثر مما ذكر . وإنما أردت فقط توضيح بعض الانحرافات العقديّة عن مسار أهل السنة والجماعة بما فيهم أهل الحديث ، وعسى أن يكون في ذلك نفع للأمة وللإخوة طلاب الحق ممن ينشدون طريق أهل السنة، وكم من مريد للحق لم يصله؟ إما لأن الهادي إليه مغرر به فيشتبه عليه الحق . وإما أن يكون مكابراً معانداً ينشد مدحاً، أو مركزاً وصل إليه، أو مغروراً بنفسه، غره تطويل العوام له، فهو لا يقبل الحق أنفة من ترك جاهه، وسمعته . وكما قيل حب الظهور يقصم الظهور .

وهذه نصيحة أردت بها وجه الله والدار الآخرة ، سأتذكرها مع الكاتبين في الموقف الأكبر بإذن الله ، فأسأل الله أن يكون تذاكرنا يسعد به الجميع ، وأن يهدينا جميعاً للصواب ، وأن يجعل في هذا ذباً عن علماء لأمة كابن حجر ، والنووي ، والعز بن عبد السلام ، والغزالي ، والرازي ، وابن عساكر وغيرهم الآف مؤلفة ، وكذا فيه اعتذار عن الإمام ابن تيمية وغيره ممن تعصب لغير الحق .

^{٤٢٠} مجموع فتاوى ابن تيمية: ٥ / ٦٣ . وعمربون عثمان المكي ترجمه الذهبي في سير أعلام النبلاء توفي بعد الثلاثمائة ١٤ / ٥٧ -

٥٨ . ورد الشيخ صلاح الدين بن أحمد الإدلي

^{٤٢١} شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٥٤ - ١٥٥)

الخاتمة

اسأل المولى عزوجل أن أكون قد وفقت لما فيه صلاح أمتنا الإسلامية، وأن ينفعني بما كتبت يوم ألقاه، وأن يهدي بها أحبة لنا لهم عظيم الهمم في بلوغ الحق والرجوع إليه، فإن الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل . وحيهلاً باجتماع لأهل السنة والجماعة . وتوفير لحسنات ضاعت في غيبتهم والاستهزاء بهم، وتوفير لنقود صرفت في ثلبهم وأستنقاصهم في فضائيات، وكتب، ومجلات وأشرطة، ودورات باطلة، تُبنى على الظلم والتجني والتقليد الأعمى . وتحريك للهمم لطلب العلم وفق منهج العلماء رحمهم الله تعالى ، واستفادة من درر علمهم وخزائن معارفهم . وتوجه طلبة العلم لدعوة الناس للإسلام والرد على العلمانيين، والحدائين ، وتكثيف الجهود في ذلك. وفي الخاتمة نسأل الله حسن الخاتمة . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه : غيث بن عبدالله الغالبى

١	مقدمة الإصدار الأول
٢	مقدمة الإصدار الثاني
٤	المقدمة الأولى في التعريف بالأشاعرة
٦	شبهة الأطوار الثلاثة للأشعري
١٠	ذكر أسماء بعض الأشاعرة والمارتدية في شتى العلوم
١١	فتوى الإمام ابن رشد في منتقص الأشاعرة
١٣	التحريف في كتاب الإبانة
١٤	توبة الإمام ابن تيمية
١٨	بداية الرد على الرسالة
٢٢	حقيقة علم الكلام الذي نعى عنه السلف من كلام ابن تيمية والأشعري
٣٠	الرد على دعوى تضليلهم في المذاهب الأربعة
٣٢	النقول عن الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين في إثباتهم الاستواء والعلو
٤٧	دعوى تراجع كبار الأشاعرة عن مذهب الأشاعرة
٤٨	معنى الفطرة عند الكاتب والعلماء
٥٥	الاستدلال بفهم العوام من الناس
٥٦	عقيدة الجهة
٦١	مقارنة بين رأي الجهوية والدهرية
٦٤	ضعف تمسكهم بالأدلة العقلية ، مع صورة للفضاء .
٧٥	دعوى ضد علماء من أهل السنة
٧٧	تكفيرهم للعلماء بأعيانهم
٨١	تحامل ابن تيمية غفر الله له على الرازي
٨٦	تقييم الكاتب للإمام ابن حجر والنووي
٨٩	ما هو مصدر التلقي عند الأشاعرة
٩٥	اعتراضه على الإمام السنوسي
٩٧	دعوى أن علماء الأشاعرة يردون السنة
١٠٢	دعوى أن كتب عقائد الأشاعرة لا يوجد فيها آية أو حديث
١٠٢	حكم الاحتجاج بالأدلة العقلية عند الإمام أحمد وسائر أهل السنة
١٠٤	دعوى أن أهل السنة لا يعرفون إلا دليلاً يتيماً
١٠٨	تنبيه على دعوى الموجان أن أصل عقيدة أهل السنة قام على الجوهر الفرد
١٠٩	التوحيد

١١٣	الخطأ تقرير توحيد الربوبية
١١٧	استشكال الكاتب حول مسألة النظر وخلاف الأشاعرة في ترتيب ذلك
١٢٢	استشكالات الكاتب حول الإيمان
١٣٦	مسألة كلام الله
١٤٠	سبب تسمية الصفة بالكلام النفسي
١٥٢	دعوى الموجان أن أفعال الله تحدث في ذاته
١٥٦	مسألة القدر
١٦٠	الجبر عند الرازي هو الجبر عند ابن تيمية
١٦٦-١٧٠	مسألة الإرادة غير الرضا عند الأشاعرة .
١٧٣	مسألة السببية نقول نفيسة
١٧٦	الفروق الجوهرية بين العقيدة الصحيحة وعقيدة الكاتب في الأسباب
١٧٩	العلة الغائية
١٨٢	دعوى نفي الأشاعرة للحكمة
١٨٣	هل يجب بدليل العقل على الله أن يثيب المطيع ويعذب العاصي
١٨٤	دعوى الموجان أن الأشاعرة لم يثبتوا أصلاً أفعالاً لله
١٨٧	مسألة النبوات
١٩٣	التحسين والتقبيح
١٩٧	مسألة الصفات
٢٠٥	لاوجود للتفويض الذي ذكره ابن تيمية
٢٠٦	نماذج من تأويلات علماء الأمة
٢٢٣	أنواع الأدلة والبراهين في إثبات الاعتقاد
٢٢٥	مسألة التكفير
٢٢٧	مجازفات
٢٣٠	أنواع الخبر
٢٣٢	خبر الواحد يفيد الظن عند الإمام أحمد والجمهور
٢٣٣	كيف يكون أهل السنة والجماعة على ثلاثة مسالك
٢٣٦	تضليل الكاتب للأشاعرة وأهم تحت المشيئة
٢٤١	من أقوال علماء أهل السنة والجماعة في بيان من هم أهل السنة والجماعة؟
٢٤٢	موقع الإسلام اليوم ينقل فتوى لبعض العلماء في السعودية تبشر بخير
٢٤٥	الفرق بين عقيدة أهل السنة وعقيدة الكاتب

تأليف: غيث بن عبدالله

الرسالة الثانية: في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية من هم أهل السنة؟
الغالب

٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٦ م

- مصر - الأحد ٢٩ / رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ

٢٥٨	مغالطة الموجان في قوله بقدّم العالم النوعي
٢٦٢	الخاتمة